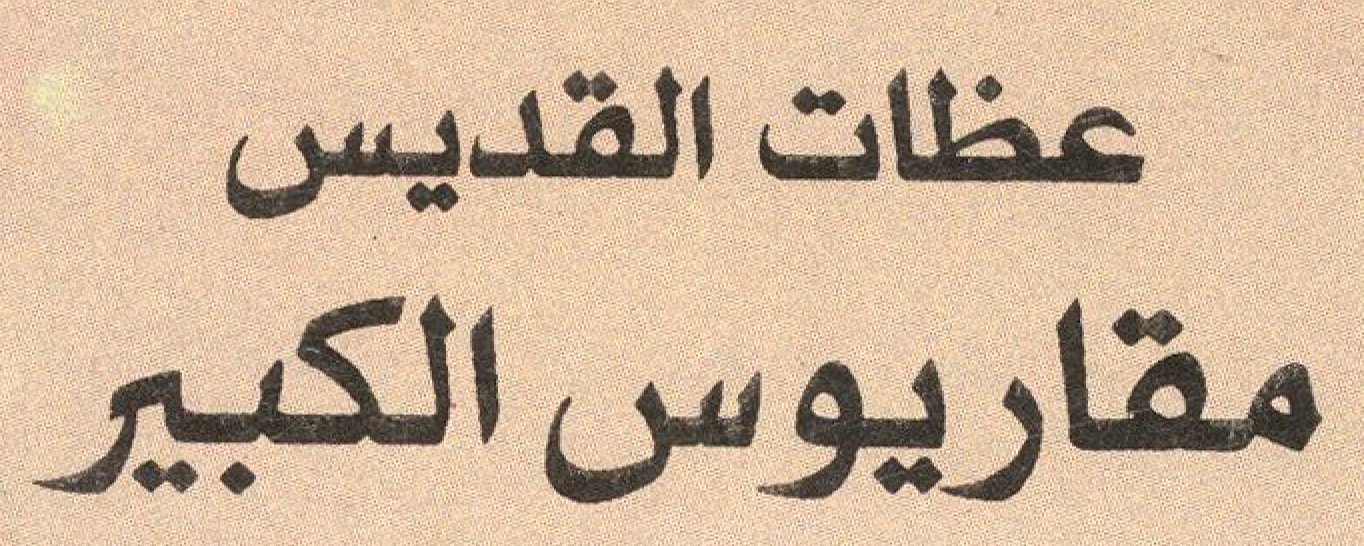


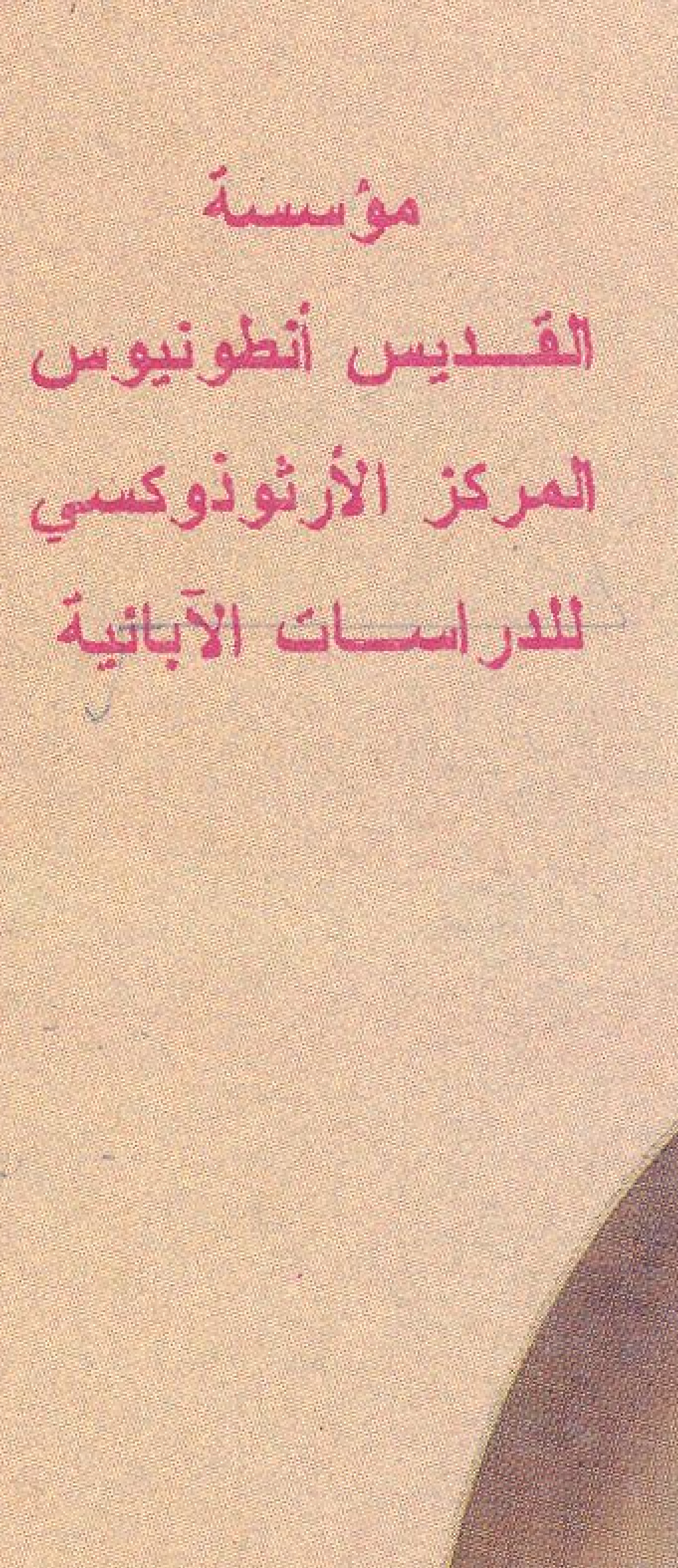


نصوص آبائية

- ٥٠ -



عظات القديس
مقاريوس الكبير



مؤسسة
القديس أنطونيوس
المركز الأرثوذوكسي
للدراسات الآبائية

مؤسسة القديس أنطونيوس
المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية
نصوص آبائية
ـ ٥٠ ـ

عظات
القديس مقاريوس الكبير

طبعة ثالثة منقحة

ترجمة

دكتور نصحى عبد الشهيد

سبتمبر ٢٠٠٠

أيقونة الغلاف :

القديس مقاريوس وهو يعلّم تلميذيه مكسيموس ودوماديوس.

وهى أيقونة قبطية بكنيسة السيدة العذراء والدة الإله بلوس أنجلوس بكاليفورنيا، رسم الفنان د. إيزاك فانوس .

اسم الكتاب : عظات القديس مقاريوس الكبير

اسم المؤلف : القديس مقاريوس الكبير (أنبا مقار)

اسم المترجم : دكتور نصحى عبد الشهيد بطرس

الطبعة : الأولى ١٩٧٨م ــ ١٩٨٠ إصدار بيت التكريس لخدمة الكرازة

: الثانية ١٩٩١م إصدار مركز دراسات الآباء.

: الثالثة ٢٠٠٠م

اسم الناشر : مؤسسة القديس أنطونيوس ــ المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية بالقاهرة: ٨(ب) ش إسماعيل الفلكى، محطة المحكمة ، مصر الجديدة، تليفاكس: ٢٤١٤٠٢٣

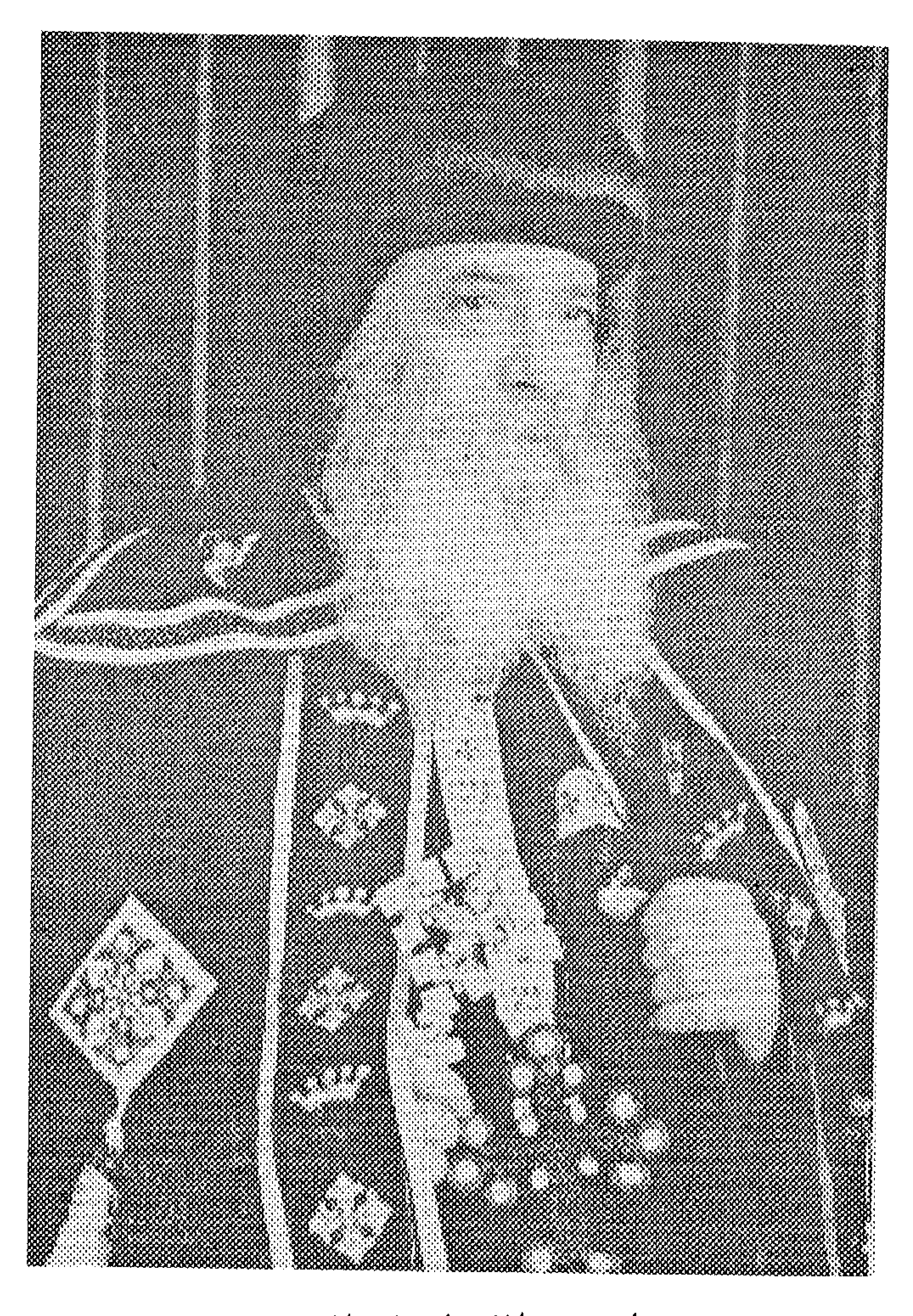
E-Mail: santonio@ritsec3.com.eg

اسم المطبعة : المركز المصرى للطباعة

١ش جلال عبد الجواد منشية السد العالى، حى السلام ت: ٢٩٧٧٥٢٢

رقم الإيداع : ١٤١٤٠ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : *I.S.B.N. 977-5057-30-2*



صاحب القداسة والغبطة

البابا شنودة الثالث

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة الطبعة الثالثة

نظرًا للطلب المستمر من كثيرين ، منذ نفاد الطبعة الثانية ، قمنا بإصدار هذه الطبعة الثالثة وهى إعادة طبع للطبعة الثانية كما هى بعد تنقيح الأخطاء المطبعية .

والمجد لإلهنا المحب كل حين وإلى الأبد . آمين ،

دكتور نصحى عبد الشهيد

٢٥ أغسطس ٢٠٠٠م

١٩ مسرى ١٧١٦ ش

عيد إعادة جسد القديس مقاريوس

إلى برية شيهيت

مقدمة الطبعة الأولى

" أولئك الذين يكونون أغنياء بالروح القدس ، **الذين عندهم الغنى السماوى** حقًا وشركة الروح القدس فى داخل نفوسهم ، حينما يكلمون أحدًا بكلمة الحق أو حينما يتحدثون بالأحاديث الروحانية ، ويريدون أن يعزّوا النفوس فإنهم يتكلمون ويخرجون **من الغنى والكنز الخاص الذى يمتلكونه فى داخل نفوسهم ومن هذا الكنز يعزون ويفرحون نفوس الذين يسمعون أحاديثهم** ... فعندما نجد الرب أولاً فى نفوسنا لمنفعتنا أى للخلاص والحياة الأبدية فحينئذٍ يمكننا أن ننفع الآخرين أيضًا إذ يصير هذا ممكنًا لأننا نأخذ من المسيح الذى هو الكنز الموجود فى داخلنا ونخرج منه كل الصلاح الذى للكلمات الروحانية **ونكشف أمامهم أسرار السماء** " .

هذا الكلام الذى يقوله القديس مقاريوس الكبير (المصرى)عن غنى وكنز الروح القدس هو ما يمكن أن نصف به عظات هذا **القديس العظيم** . فإن علماء " الآباء " ودارسى كتابات القديس مقاريوس يصفون عظاته ورسائله بأنها : " كلام إنسان يسكن السماء ، أى إنسان سماوى . وأنه بالنسبة إلى شخص مثله ـــ وصل إلى أقصى الكمال الممكن للبشر ، فإن العالم الروحى بكل قوانينه يكون مكشوفًا وظاهرًا أمامه ، إنه أيضًا ينظر النفس ويرى كل ما يحدث فيها من حركات ، ويوضح لها الطريق إلى الحياة الكاملة . لقد كان القديس مقاريوس فى معظم الأوقات فى حالة اختطاف عقلى فى رؤية الله وفي حالة دهش وذهول فى الإلهيات كما يقول بلاديوس فى تاريخه الرهبانى .

إن الأسرار العظمى للعالم السماوى كانت مكشوفة أمام عينيه . ولذلك كان يتكلم بما يرى فى داخله بقوة وفيض الروح القدس .

ويقول البروفيسور إيفان م.كونتزيفيش، أستاذ الباترولوجى الأرثوذكسى فى مقدمة الترجمة الإنجليزية لعظات القديس مقاريوس الكبير " إن عظات القديس مقاريوس تقوم على اختبار شخصى ، وأسلوبها واضح ، ومُعبّر ، وغنى بالتصويرات والتشبيهات بطريقة واضحة وبقوة غير عادية ، ويُلاحظ فى عظاته معرفته العميقة جدًا بالكتاب المقدس ، وشرحه لآيات الكتاب المقدس يكشف دائمًا عن أعمق معنى روحى للآية . وأن كتاباته تتحدث إلينا عن التأليه (أى شركة الطبيعة الإلهية) وأن القديس مقاريوس يكشف فلسفة الشركة مع الله رغم أنه (أى مقاريوس) لا يبنى أى نظام فلسفى " إن الحكمة والفلسفة الحقيقية هى : العمل الروحى ، واقتناء الروح القدس روح الحكمة والفهم . إن الإنسان الحامل لله الذى ينظر أو يتأمل أسرار الله هو الحكيم الحقيقى ، أى محب الحكمة " .

ويستطرد الأستاذ كونتزيفيش فى مقدمته قائلاً : " إن القديس مقاريوس يتحدث عن اقتناء الروح القدس، وأن المجهودات الخارجية من صوم وسهر وصلاة ليست غاية في ذاتها ولكنها مجرد وسائل فقط إلى هذه الغاية التى هى اقتناء الروح القدس . إن هذا التعليم عن اقتناء الروح القدس يأتى إلينا عبر القرون منذ مقاريوس حتى سيرافيم[1] ، الذى كشف للعالم المعاصر هذا التعليم الابائى القديم عن اقتناء الروح القدس الذى كثيرًا ما يُنسى تمامًا " .

---

[1] القديس سيرافيم الراهب الروسى فى القرن ١٩ ــ الذى تحدث حديثه الشهير عن اقتناء الروح القدس وهو غاية المسيحية ، أنظر كتاب " لهيب وسط الثلوج " للقمص ويصا السريانى ، نشر مكتبة المحبة ــ الذى يحوى سيرة الراهب سيرافيم الروسى وحديثه عن " اقتناء الروح القدس " .

ويُلاحظ فى عظات القديس مقاريوس أنه يتحدث إلى المسيحيين عامة وليس إلى الرهبان بوجه خاص وهذا يدل على وعيه المستنير ، إن الحياة فى المسيح أو الحياة فى الروح هى لكل الذين يعتمدون باسم الرب يسوع المسيح ويؤمنون به ويحبونه من كل قلوبهم وأن الروح القدس الذى يُعطى للمعتمدين باسم المسيح هو مصدر الحياة فى المسيح وأساسها ، وأن الحياة بقوة هذا الروح هى التى تجعل الإنسان روحيًا وليس أى شكل خارجى حتى ولو كان شكل دينى أو رهبانى ، كما يتضح من عظته الخامسة عن "خليقة المسيحيين الجديدة " ، وكما يتضح أيضًا من القصة المشهورة فى سيرة الآباء عن زيارته للسيدتين المتزوجتين فى الأسكندرية وأنه قال بعد مقابلتهما كلمته المأثورة " حقًا أنه ليس عذراء (أنظر أيضًا العظة ١٧:١٣) ولا متزوجة وليس راهب ولا علمانى إنما استعداد القلب هو الذى يطلبه الله وهو يعطى الجميع نعمة الروح القدس الذى يعمل فى الإنسان ويقود حياة كل من يرغب فى الخلاص " [٢].

وكما يذكر كتاب "**التعاليم النسكية لكبار آباء القرن الرابع المصريين**" .. أن " القديس مقاريوس كان يوجه كلامه " للإنسان " **لكل إنسان متعطش إلى حياة القداسة** " [٣].

وقد يتساءل البعض بعد قراءته لعظات القديس مقاريوس ، لماذا لم يذكر الأسرار الكنسية فى عظاته ، خاصة فى عظة مثل العظة الثلاثون التى يتحدث فيها عن الولادة من الروح القدس دون أن يذكر المعمودية . لهؤلاء نقول إن صمت القديس مقاريوس عن ذكر الأسرار فى عظاته لا

---

[٢] كتاب سير الآباء Vita Patrum III. 97.

[٣] اقتباس فى كتاب الرهبنة القبطية للأب متى المسكين صفحة ١٣٦.

يقود دليلاً على عدم أهمية الأسرار فى الحياة الروحية، بل أن القديس مقاريوس يتحدث إلى المسيحيين أى الذين نالوا سر المعمودية ويعرفون الأسرار الكنسية ويمارسونها ولا يحتاج أن يحدثهم عن الأسرار ، بل أن هدف عظاته هو الحياة حسب الروح أو الحياة فى القداسة أو " الكمال المطلوب من المسيحيين الذين يجب عليهم أن يَجِدّوا فى طلبه " كما جاء فى فاتحة العظة الأولى فى الترجمة العربية القديمة سنة ١٩٠١، ولذلك فإن أحاديثه كلها روحية عملية تواجه الإنسان لينظر إلى نفسه ، ولتعرف النفس سر حالتها وتكتشف حقيقتها وترجع بمواجهة نور الحق فى الداخل لتتغير وتصير روحانية مقدسة ، ونجد مثلاً واضحًا لطريقته هذه فى عظته الأولى التى تحوى تفسيرًا روحانيًا رائعًا لرؤيا حزقيال فبعد أن يتحدث عن " السر الذى كان مخفيًا حقيقة عن العصور والأجيال، ولكنه أُظهر بظهور المسيح، فإن السر الذى رآه (حزقيال) هو سر النفس التى كانت مزمعة أن تقبل سيدها وأن تصير هى ذاتها كرسيًا لمجده (العظة الأولى : ٢) وبعد أن يشرح كل تفاصيل رؤيا حزقيال العجيبة المجيدة يقول للقارئ أو السامع :

" لذلك فحينما تسمع بهذه الأشياء **أنظر إلى نفسك جيدًا**، هل أنت حاصل على هذه الأشياء ومالك لها بالفعل والحق فى داخل نفسك أم لا ؟ فإنها ليست مجرد كلمات تُقال بل هى فعل الحق الذى يحدث فى داخل نفسك، **فإن لم تكن مالكًا لها بل أنت معدم من مثل هذه الخيرات الروحانية، ينبغى لك أن تكتئب وتحزن وتسعى بلهفة كإنسان لا يزال ميتًا ومنفصلاً عن الملكوت وكإنسان مجروح أصرخ دائمًا إلى الرب واطلب منه بإيمان أن يمنحك أنت شخصيًا هذه الحياة الحقيقية** " (العظة الأولى: ١٠) .

ولأهمية العلاقة بين الأسرار وبين الخلاص والحياة الروحية ، أو بين الأسرار والحياة فى المسيح ؛ نُعيد هنا نشر ما سبق أن كتبناه فى مقدمة كتاب " الأسرار للقديس أمبروسيوس " الذى ترجمناه وقمنا بنشره سنة ١٩٦٧ في الحلقة ٣ من سلسلة كتابات الآباء .

الأسرار والحياة فى المسيح :

توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس (أع ٢:٣٨) . هذا هو الجواب الشافى الذى أجاب به القديس بطرس الرسول على تساؤل القلوب التى نخستها كلمات الكرازة الرسولية فى يوم الخمسين داعية إياها إلى الخلاص . وإننا لنجد فى هذه الكلمات القليلة مثلاً واضحًا لحقيقة كثيرًا ما تغيب عن أذهان الكثيرين ، هذه الحقيقة هى أن الحديث عن الرب يسوع المسيح ودعوة الناس إلى التوبة والإيمان باسمه مرتبط كل الارتباط بالمعمودية وغيرها من الأسرار . لقد أوضح لنا سفر الأعمال ، المنهج الرسولى الذى به يستطيع الإنسان أن يتمتع ببركات الخلاص الذى صنعه الرب يسوع بصلبه على الصليب وقيامته من الأموات، إذ يشهد روح الله على لسان بطرس الرسول أنه لكى يحصل الإنسان على الخلاص لابد أن يتوب ويعتمد على اسم يسوع المسيح. هذا هو بداية الطريق المؤدى إلى الحياة الأبدية .

ويشهد الروح القدس على لسان الرسول بولس أن كل من " ***يعتمد بالمسيح فإنه يلبس المسيح*** " (غلا٣:٢٧) . وبالمعمودية ندفن مع المسيح ونقوم معه فنصير متحدين معه بشبه موته وقيامته (رو٦:٤،٥) ، "مدفونين معه فى المعمودية التى فيها أقمتم أيضًا معه بإيمان عمل الله الذى أقامه من

الأموات ، وإذ كنتم أمواتًا بالخطايا وغلف جسدكم أحياكم معه مسامحًا لكم بجميع الخطايا " (لو٢:١٣،١٤) .

واضح إذن من هذه الشهادات أن المعمودية ليست مجرد ممارسة خارجية بل إنها ترتبط بصميم حياتنا فى المسيح ، إذ فيها نتحد بشخص المسيح فى موته وقيامته ، وبها ندخل فى علاقة جديدة مع الله إذ نصير أولادًا له لا باستحقاق منا بل بسبب لبسنا للمسيح ابن الله الوحيد واتحادنا به بالروح . هذا هو غنى نعمة الله الفائق الوصف وإحسانه ولطفه علينا فى المسيح يسوع بمقتضى رحمته التى خلصنا بها بحميم الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس (تى٣:٥،٦) .

إذن فبعمل الروح القدس فى المعمودية نلبس المسيح ونتحد به فى موته وقيامته .

وباختصار فإننا بالمعمودية نبتدئ فى الدخول فى حالة اتحاد بالمسيح واندماج فيه وشركة حية معه فى الروح ، ثم بعد أن يعدنا الروح ويطهرنا بالمعمودية ويجعلنا أبناء لله فإنه يأتى ويسكن فى قلوبنا ، إذ أننا بعد أن نعتمد نُمسح بالروح القدس " *... فتقبلوا عطية الروح القدس* " (أع٢:٣٨). " *ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخًا يا أبا الآب* " (غلا٤:٦) ، " ***لأن الذى يثبتنا معكم فى المسيح وقد مسحنا هو الله*** *. الذى ختمنا أيضًا وأعطى عربون الروح فى قلوبنا* " (٢كو١:٢١،٢٢) .

هذا الاندماج وهذه الشركة مع المسيح تتم بالدفن فى مياه المعمودية ولكنها أيضًا تستلزم توفر رغبة الإنسان وإرادته ، وهذا ما يعبر عنه بالنسبة للمُعمد بالإيمان والتوبة " *من آمن واعتمد خلص* " ، "*توبوا وليعتمد كل واحد منكم* " (مر١٦:١٦ ، أع٢:٣٨) .

ففى حالة الذين يعتمدون كبارًا لابد من توفر الإيمان الحى بالمسيح واستعداد التوبة كشرط سابق للمعمودية حتى أن القديس كيرلس الأورشليمى يحذر الموعوظين (الذين كانوا على أهبة قبول المعمودية) قائلاً : " إن ظللت في سوء استعدادك فالذى يكلمك ليس مسئولاً ، ولكن لا تنتظر قبول النعمة ، لأنك ستنزل فى الماء ولكن الروح سوف لا يقبلك . فإذا كان أحد مجروحًا فليضمد جروحه وإذا كان أحد ساقطًا فليقم " [٤] .

أما فى حالة الذين يعتمدون أطفالاً (المولودين من أبوين مسيحيين)، فإن الأشبين (الوصى) يتولى مؤقتًا نيابة عن الطفل جحد الشيطان والاعتراف بإيمان المسيح والتعهد بالحياة فى محبته وطاعته ، على أساس أنه عندما يكبر الطفل المُعمد يجب أن يعرف بواسطة أشبينه بما جرى نيابة عنه فى طفولته أى يجب أن يكون للإنسان بإرادته وحريته، حالة الإيمان والسير وراء المسيح إن أراد أن يكون له نصيب وشركة مع المسيح هنا فى غربة هذا الدهر وفى دهر الحياة الأبدية . أو بمعنى آخر لابد أن يستمر لابسًا للمسيح بإرادته " *ألبسوا الرب يسوع المسيح* " (رو١٣:١٤). هذا ما يحتاجه كل من اعتمد طفلاً لكى يتمتع الآن بالتجديد الذى سبق أن ناله بعمل الروح القدس فى المعمودية .

فعلى كل مسيحى أن يراجع نفسه الآن هل هو فى شركة مع المسيح أم أنه منفصل ومبتعد عنه بقلبه وروحه ، لأن ابتعادنا عنه وسلوكنا بحسب الجسد وبحسب العالم يعنى أننا نجهل أو نتجاهل عهد معموديتنا ، ولكن إن رجعنا إليه بقلب صادق فى يقين الإيمان وعزم التوبة فإنه يعيدنا من جديد إلى حالة الشركة معه والتمتع بمحبته أى يجعلنا نلبسه من جديد ، لأنه

---

[٤] كيرلس الأورشليمى ــ تعاليم للموعوظين ــ المقدمة ــ فقرة ٤

مشغول بنا ومشتاق إلينا حتى إن كنا قد بددنا كنوز الروح فى كورة الخطية البعيدة .

هذا هو ما جعل الكنيسة تنظر إلى **سر التوبة كمعمودية ثانية** ، إذ **بالتوبة يستعيد الإنسان قوة تجديد المعمودية** التى فقدها بالبعد عن المسيح والسلوك فى الخطية وشهوات العالم .

لذلك فبعد **التوبة الصادقة يرجع الإنسان إلى حالة التمتع بسكنى الروح القدس فيه** (الذى سبق أن ناله فى سر المسحة)ــ والتى حُرم منها طوال فترة تغربه عن المسيح ــ فيشتعل فيه النور الإلهى من جديد ويُشرق فى إنسانه الباطن. لكن الحياة الجديدة فى المسيح التى ننالها كبذرة حية فى المعمودية والتى نستعيدها بالتوبة لا تتوقف عن النمو، لذلك يلزم للإنسان السائر فى طريق الملكوت أن يثبت فى المسيح ويستمر **لابسًا إياه كل الحياة.** لابد للمُعمد أن يطلب ما فوق **ويهتم بما فوق** "*إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق، حيث المسيح جالس.. اهتموا بما فوق لا بما على الأرض لأنكم قد متم..*" (كو٣: ١ــ٣). هذه هى الشهادة الصحيحة على إخلاصه لعهد معموديته. لابد أن **يهتم بما فوق وأن يموت إراديًا عن محبة العالم . يجب أن يضع المسيح أمامه كهدفه وغايته دائمًا ويسلك على هذا الأساس تابعًا سيده ومخلصه حاملاً الصليب كل يوم.** إن معموديتنا معناها إننا **صرنا من فوق ، من السماء لا من هذا العالم** ، فلنربط قلوبنا **بمحبة وإخلاص شديد للمسيح** ونسلك فى الطريق المضمون الذى به نحيا إلى الأبد معه . وهو قد رتب لنا ما يلزمنا فى الطريق إذ أعطانا **غذاء وقوة لحياتنا الجديدة** فى كلمة الإنجيل وفى جسده ودمه الذى سلمه للكنيسة **لنتحد به فنحيا بحياته الإلهية** . وأعطانا وصية السهر والصلاة فى كل حين ،

والوصية الجديدة " *أن نحب بعضنا بعضًا كما أحبنا* " كل هذه أعطاها لنا لنتسلح ونتقوى بها فى الطريق ونحيا بقوته ، وروحه القدوس الساكن فينا مستعد دائمًا للعمل فينا ومعنا لنتقوى حسب شدة قوته .

بهذه الوسائل والمجارى التى تتدفق منها **نعمة الروح القدس** ، والتى **فيها يعطينا الرب ذاته** بصورة متجددة لنلبسه ونتحد به أكثر فأكثر تكون لنا القدرة على الجهاد في طريق الرب حتى الدم ، مادام الهدف أمام قلوبنا لا يتغير . هذه هى العلاقة بين الأسرار وبين جهادنا الروحى . إننا لا نجاهد بقوتنا ، نحن لسنا وحدنا فى الطريق ، إن روح الرب فينا ومعنا "*يمكث معكم ويكون فيكم* " (يو ١٤:١٦،١٩) .

الروح القدس المنبثق من الآب والمُرسل للكنيسة بالمسيح يوم الخمسين والعامل إلى الآن فى المؤمنين الحقيقيين هو يعطينا أن نتذوق منذ الآن بعين الإيمان قوة الدهر الآتى ، فبنعمة الملكوت الآتى نستطيع ونحن أمام مائدة الرب أن نرى فى الخبز المكسور جسد المسيح الحى ، الذبيحة التى تُحيى الكل ، الحمل القائم فى وسط عرش الله كما رآه يوحنا فى الرؤيا ، وبنعمة الملكوت الآتى نستطيع أن نرى فى الكأس المقدسة ، الدم النابع من جنب المخلص ، والذى به دخل إلى الأقداس السماوية فوجد لنا فداءً أبديًا (عب٩:١٢)، حتى إن كانت العين الجسدية لا تستطيع أن ترى إلاّ خبزًا عاديًا ومشروبًا عاديًا. وبعمل الروح فينا الذى يغيرنا ويحولنا إلى طبيعة المسيح ــ طبيعة المحبة ــ نستطيع أن نرى فى اخوتنا وجه المسيح حيث لا ترى عين الجسد سوى وجه اللحم من أجل اللذة أو الغضب.

كل هذا يمكن أن نتمتع به لأننا بقيامة المسيح التى نشترك فيها بالمعمودية نشهد عجائب الروح الذى يُغير العالم من الداخل ، الروح الذى

لا يعرفه العالم ولكن يعرفه جميع الذين حياتهم مستترة مع المسيح فى الله (كو٣:٣) .

بقوة هذا الروح الإلهى نحن نجاهد ونسير فى الطريق فنزداد اتحادًا بالمسيح كلما سرنا معه ، واضعين أمام قلوبنا يوم مجيئه المجيد السعيد على السحاب ليأخذنا معه ، كغاية ورجاء نتطلع إليه باشتياق وحنين وثقة ، وكلما أكلنا جسده وشربنا دمه باستعداد فإننا نتذكر العهد الذى أقامه بيننا وبينه بدم صليبه مجددين التعهد فى كل مرة أن نثبت فى محبته ، مُخبرين بموته معترفين بقيامته، ونذكره إلى أن يجيء(١كو ٢٦:١١،القداس الإلهى).

أما اخوتنا (من غير الأرثوذكس) الذين يشتركون معنا فى الإيمان بربنا يسوع المسيح ولكنهم لا يشتركون معنا فى الإيمان بفاعلية الروح القدس فى الأسرار فنحن يؤلمنا أن يحرموا أنفسهم من هذه الكنوز الإلهية ، ولكننا لانرى أن علاج الأمر يكون بالدخول فى مناقشات جدلية معهم لأن المسألة ليست نظريات وبراهين عقلية بل مسألة **رؤية وإيمان** ، فإن الإيمان نفسه هو برهان الأمور التى لا تُرى. ولكن إن كان أحد يبحث عن الحق بإخلاص وتهمه الحقيقة فى ذاتها ، ومع هذا لم يكتشف بعد حقيقة الأسرار كما استلمتها الكنيسة منذ العصر الرسولى ، مثل هذا نقول له بلسان أسقف أوخريدا (اليوغسلافى) فى حديثه الذى وجهه إلى البروتستانت فى مؤتمر لوزان عن أسرار الكنيسة " **من شاء أن يسأل فليسأل الله بالصوم والصلاة والدموع، فيكشف له الحقيقة التى كشفها دائمًا للقديسين...** فكل ما قلناه عن الأسرار المسيحية العظمى ليس هو رأينا .(فلو كان رأينا فلا قيمة له) بل هو اختبار الرسل فى الأزمنة القديمة والقديسين على مر العصور حتى أيامنا الحاضرة ، لأن كنيسة الله لا تحيا بالظن ولا بالرأى ، بل بخبرة

القديسين كما فى البداية هكذا حتى أيامنا هذه . فقد يكون رأى أذكياء البشر غاية فى الحذق وخاطئًا فى الوقت ذاته بينما خبرة القديسين صحيحة دائمًا لأنها الله ذاته الصادق بالنسبة إلى ذاته فى قديسيه"[°].

القديس مقاريوس وتاريخ عظاته :

القديس مقاريوس صاحب هذه العظات هو القديس مقاريوس الكبير الذى وُلد فى سنة ٣٠٠ ميلادية وتنيح سنة ٣٩٠م ، وهو أب رهبنة الأسقيط كلها ، وقد لُقب بمقاريوس المصيرى تمييزًا له عن القديس مقاريوس الأسكندرى (أب القلالى بالقرب من نتريا) الذى كان من منطقة قريبة من الأسكندرية ، ولكن اللقب الذى ارتبط باسم القديس مقاريوس صاحب هذه العظات هو لقب " الكبير " وهكذا يُذكر فى معظم المراجع الآبائية وفى قواميس الدراسات الآبائية ولهذا فضلنا أن نستخدم لقب "الكبير" بدلاً من " المصرى " فى هذه العظات التى تُسمى فى أصلها اليونانى " بالعظات الروحانية " وقد نشرتها الترجمة العربية السابقة (سنة ١٩٠١) باسم " العظات الروحانية للقديس أنبا مقاريوس المصرى " .

وُجدت " العظات الروحانية " للقديس مقاريوس وحُفظت فى عدة مخطوطات باليونانية بعد نياحته بفترة قصيرة، وقد نُشر الأصل اليونانى للعظات مطبوعًا لأول مرة سنة ١٥٥٩ بواسطة جوهانس بيكوس Johannes Picus الذى نشر ترجمة لاتينية مع الأصل اليونانى.. وأُعيد طبعها بعد ذلك فى "مجموعة الآباء باليونانية" للراهب الكاثوليكى مينى

° هذا الجزء من الحديث الذى وجهه الأسقف نيقولاوس فليمروفتش متروبوليت أوخريدا إلى المندوبين البروتستانت فى مؤتمر لوزان سنة ١٩٢٧ باعتباره أحد المندوبين الأرثوذكس .

J.P. Migne, Patrologiae Graeca في باريس بين١٨٥٧ــ ١٨٦٦، PG34.

وهذه "العظات الروحانية" أعطت لصاحبها "القديس مقاريوس الكبير" مكان الصدارة في تاريخ الروحانية المسيحية للعصور الأولى وصارت مصدرًا للالهام والتأثير القوى على المتصوفين المسيحيين فى الغرب فى العصور الحديثة : لذلك فإن مؤلف كتاب " المسيحية الحقيقية De Vero Christianismo جون أرندت John Arndt سنة ١٧٠٨، يعرف عظات مقاريوس كلها يحفظها عن ظهر قلب، أما جوتفريد أرنولد Gottfried Arnold فقد ترجمها إلى الألمانية منذ ١٦٩٦، وقد قام جون وسلى J. Wesly صاحب "حركة القداسة" فى أنجلترا، ومؤسس "كنيسة الميثودست" Methodists بأول ترجمة لعظات مقاريوس إلى الإنجليزية سنة١٧٤٩ وتظهر ترانيمه الكثيرة التى ألفها وكان يستعملها فى اجتماعاته، تأثره الواضح بعظات القديس مقاريوس . كما يقول كواستن Quasten أستاذ الباترولوجى ، وأُعيد طبع ترجمة وسلى الإنجليزية هذه سنة ١٨١٩ بلندن.

ثم قام A. Mason ماسون ــ بترجمة جديدة من اليونانية إلى الإنجليزية ونشرتها له جمعية نشر المعارف المسيحية بلندن S.P.C.K سنة ١٩٢١م.

وقد وُجدت مخطوطات لعظات القديس مقاريوس بالسريانية وبالعربية فى مكتبة الفاتيكان ، وتُوجد نسخة مخطوطة بالعربية فى مكتبة البطريركية القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة ، وهى التى يشير إليها يوسف منقريوس ناظر المدرسة الإكليريكية ، أن قداسة البابا كيرلس الخامس أعطاها له عند إعادته نشر الترجمة العربية السابقة ١٩٠١.

وقد اكتُشفت حديثًا مخطوطة لعظات مقاريوس باللغة الروسية تحوى ٥٧ عظة مثل مخطوطة أكسفورد لعظات القديس مقاريوس باليونانية .

عظات مقاريوس بالعربية :

وقد قام المرحوم يوسف منقريوس ناظر المدرسة الإكليريكية سنة ١٩٠١ بنشر " العظات الروحانية للقديس أنبا مقاريوس المصرى " مطبوعة باللغة العربية ، ويظهر من المقدمة التى كتبها لطبعة ١٩٠١ ، أنه قام بإعادة طبع ترجمة عربية للعظات عن الإنجليزية ، أى أن العظات ظهرت مترجمة بالعربية ومطبوعة قبل سنة ١٩٠١ ، ثم قام هو بأخذ الترجمة العربية وأعاد طبعها ، إذ يقول فى المقدمة " ظلت (عظات مقاريوس) محفوظة حتى توفق الإنجليز لطبعها بلغتهم بعد مقابلتها مع النسخة اليونانية ثم تُرجمت إلى اللغة العربية وهى النسخة التى عولنا عليها إعادة طبعها اليوم مع بذل جهد المستطاع فى ضبط عباراتها ومراجعة شواهدها الكتابية " .

وطبعة يوسف منقريوس هذه نُشرت سنة ١٩٠١ ، هى نفسها التى قامت كنيسة مارجرجس باسبورتنج بالأسكندرية ، بطبعها مرة أخرى كما هى سنة ١٩٧٦، ويبدو أن الذى حرك كنيسة مارجرجس باسبورتنج[٦] لطبع " عظات مقاريوس " هو تأثير كتاب " الروح القدس وعمله داخل النفس " للأب متى المسكين الذى أورد أجزاء كثيرة من عظات القديس مقاريوس عن عمل الروح القدس فى النفس ، إذ تقول طبعة اسبورتج فى المقدمة :

" لقد كان الفضل فى كشف أسرار وعظمة هذه العظات لدير القديس أنبا مقار فى كتابه " الروح القدس وعمله داخل النفس " فقد كشف عن

---

[٦] الأب القمص بيشوى كامل الذى تنيح ٢١ مارس سنة ١٩٧٩.

العمق الروحي لهذه العظات مع بساطة التطبيق العملى فى حياة النفس الداخلية ".

وقد وجدنا بعض الصعوبة فى لغة الطبعة العربية السابقة (طبعة ١٩٠١ التى هى طبعة ١٩٧٦) مما جعل كثيرون ينصرفون عن متابعة قراءتها والاستفادة منها بسبب أسلوبها العربى القديم ، وعدم الوضوح فى بعض الأحيان ، رغم أهمية هذا التراث الآبائى الروحى الرائع ، ولذلك فكرنا فى ترجمتها من الإنجليزية إلى العربية ترجمة جديدة ، وقد رتب الرب هذا الأمر بأن أرسل لنا الدكتور رودلف ينى مرقس بأميركا نسخة هدية من الترجمة الإنجليزية التى ترجمها أ. ماسون سنة ١٩٢١ والتى أعيد نشرها بأمريكا ١٩٧٤ بواسطة هيئة " الكتب الشرقية الأرثوذكسية " Eastern Orthodox Books بكاليفورنيا ، مع مقدمة عن " حياة وتعاليم القديس مقاريوس الكبير " بقلم البروفيسور إيفان م. كونتزيفيش أستاذ اللاهوت الأرثوذكسى (المتوفى ١٩٦٥).

وقد قمنا بوضع عنوان رئيسى وكذلك عناوين جانبية لكل عظة من العظات الخمسين لم تكن موجودة فى الأصل اليونانى ، ولا فى الترجمة العربية القديمة (١٩٠١). أما الملخص الموجود تحت كل عنوان رئيسى لكل عظة بخط صغير فهو موجود فى الترجمة الإنجليزية كما فى الترجمة العربية القديمة .

ولإلهنا القدوس الاب والابن والروح القدس كل مجد وتسبيح وسجود الآن وإلى الأبد . آمين .

عيد العنصرة ١٩٧٨م **د. نصحى عبد الشهيد**

بيت التكريس لخدمة الكرازة

مقدمة الطبعة الثانية

صدرت الطبعة الأولى للترجمة العربية الجديدة " لعظات القديس مقاريوس " الخمسين فى ٧ أجزاء فى الفترة من يونيو ١٩٧٨ ـــ وأغسطس ١٩٨٠ ، ولم تكن العظات مرتبة بالتسلسل فى أول جزء منها ، وقام " بيت التكريس لخدمة الكرازة " بنشرها .

أما هذه الطبعة الثانية للترجمة العربية الجديدة لهذه العظات فتصدر كلها فى مجلد واحد ، منقحة ومرتبة بالتسلسل كما هى فى الأصل . ويقوم بنشرها " مركز دراسات الآباء " التابع لمؤسسة القديس أنطونيوس ـــ بمصر الجديدة .

ولإلهنا القدوس ، المحبة ، الآب والابن والروح القدس كل سجود الآن وإلى الأبد . آمين .

٥ أبريل ١٩٩١م

٢٧ برمهات ١٧٠٧ ش

الموافق تذكار

صلب الرب يسوع المسيح (سنة ٢٩م)

جمعة الآلام عام ١٩٩١م

وعيد نياحة القديس مقاريوس

دكتور نصحى عبد الشهيد

بيت التكريس لخدمة الكرازة

المحتويات

العظة الأولى :

النفس عرش الله وهو قائدها

" تفسير مجازى للرؤيا الموصوفة فى سفر حزقيال النبى "

١ ــ يقص حزقيال النبى المبارك ، الرؤيا المجيدة الملهمة التى رآها ، ووصفه لهذه الرؤيا يبين أنها مليئة بالأسرار التى لا يُنطق بها .

لقد رأى مركبة[1] الشاروبيم وهى عبارة عن أربعة كائنات روحانية حية، لكل منها أربعة أوجه، واحد منها وجه أسد، وآخر وجه نسر، وآخر وجه ثور، والرابع وجه إنسان. ولكل وجه أجنحة بحيث لا توجد أجزاء خلفية لأى واحد منهم، وظهورهم مملوءة عيونًا، وكذلك بطونهم مشحونة ومزدحمة بالعيون، وليس فيهم أى جزء لم يكن مملوءاً عيونًا. وكان أيضًا لكل وجه بكرات ، بكرة فى وسط بكرة وكان الروح فى البكرات .

ورأى حزقيال منظر شبه إنسان قدميه كمنظر حجر العقيق (الياقوت) الأزرق. **ومركبة الشاروبيم** والكائنات الحية كانت تحمل الرب الذى جلس فوقهم. وحيثما شاء أن يسير فإنه يسير والوجه إلى الأمام. ورأى تحت الشاروبيم كمثل يد إنسان تسند وتحمل.

٢ ــ وهذا الذى رآه النبى كان فى جوهره حقيقيًا وأكيدًا، ولكنه يشير كظل مسبق، إلى شئ آخر، سرى وإلهى ــ السر المكتوم بالحقيقة منذ الدهور ومنذ الأجيال (كو١:٢٦)، ولكنه أُظهر فى الأزمنة الأخيرة (١بط ١:١٠) بظهور المسيح، فإن السر الذى رآه هو سر النفس التى كانت

---

[1] حزقيال النبى لم يستعمل كلمة " مركبة " فى الإصحاح الأول ولكن الكلمة استُعملت فى النسخة السبعينية لسفر حزقيال إصحاح ٤٣:٣.

ستستقبل ربها وتصير هى ذاتها عرشًا لمجده (مت٢٥:٣١). لأن النفس التى تتمتع بامتياز الاشتراك فى روح ونور الله وتتشرب بأشعة جمال مجده غير الموصوف ـ وهو الذى هيأها لتكون كرسيًا ومسكنًا له ـ فإنها تصير كلها نورًا وكلها عينًا ! ولا يكون فيها جزء غير مملوء بعيون النور الروحانية. أى ليس فيها جزء مظلم بل تصير بكليتها نورًا وروحًا، وتمتلئ كلها عيونًا ، فلا يكون لها جزء خلفى بل فى كل اتجاه يكون وجهها إلى الأمام بواسطة الجمال الذى يفوق التعبير الذى لمجد نور المسيح الجالس والراكب عليها .

وكما أن الشمس هى بكليتها ذات شبه واحد، بدون أى جزء من الخلف أو من أسفل، بل هى مكسوة بالنور من كل ناحية، وهى بالحقيقة كلها نور، بدون اختلاف بين أجزائها، أو كما أن النار، أى نفس نور النار، هى متشابهة كلها، وليس فيها أول أو آخر، أو أكبر أو أصغر، **هكذا أيضًا النفس التى تتشبع تمامًا بالجمال الذى لا يُوصف، جمال مجد نور وجه المسيح وتكون، فى شركة تامة مع الروح القدس وتنال الامتياز بأن تكون محل سكن الله وعرشًا له** ، فإنها تصير كلها عينًا ، وكلها نورًا، وكلها وجهًا، وكلها مجدًا، وكلها روحًا، والمسيح الذى يقودها، ويرشدها، ويحملها، ويسندها، هو الذى يصنعها ويجعلها هكذا وينعم عليها ويزينها هكذا بالجمال الروحانى، لأن الكتاب يقول: ويد إنسان كانت تحت الشاروبيم [٢] لأنه هو ذاك الذى يركب عليها ويوجهها .

[٢] حزقيال١:٨ ، يفسر القديس مقاريوس "الإنسان" هنا بأنه المسيح ويد إنسان كانت تحت الشاروبيم لأنه هو الذى يركبها ويوجهها .

الشاروبيم رمز لقوى النفس :

٣ ــ والكائنات الحية الأربع التى حملت المركبة إنما كانت رمزًا للملكات (أى القوى) الحاكمة للنفس. فكما أن النسر هو ملك الطيور والأسد ملك الوحوش الضارية، والثور ملك الحيوانات والبهائم ، والإنسان ملك المخلوقات عمومًا ؛ هكذا النفس أيضًا لها ملكاتها الحاكمة. وهذه الملكات هى الإرادة، والضمير، والعقل، وملكة الحب. فهذه الملكات تضبط مركبة النفس، وعليها يستريح الله. وبحسب تفسير آخر فإن الرمز يشير إلى كنيسة القديسين فى السماء. فكما يُقال هنا إن الكائنات الحية كانت مرتفعة جدًا ، ومملوءة عيونًا وأنه لم يستطع أحد أن يدرك عدد العيون أو الارتفاع ، لأننا لم نُعطَ معرفة ، وكما أنه ــ قد أُعطى لجميع الناس ــ فيما يخص نجوم السماء ، أن ينظروا النجوم ويتعجبوا منها ، ولكن لم يُعطَ لهم أن يعرفوا ويدركوا عددها ، وكذلك هو الحال مع نباتات الأرض، التمتع بها أُعطى للجميع ، ولكن مستحيل أن يعرف أحد عددها، فهكذا أيضًا الحال فيما يخص كنيسة القديسين فى السماء . فالدخول إليها والتمتع بها قد أُعطى لكل الذين يرغبون ويجاهدون فى طلبها، أما كيفية رؤية وإدراك العدد الذى فيها . فهذا خاص بمعرفة الله وحده. فالراكب إذن تنقله وتحمله مركبة أو عرش الكائنات الحية التى كلها عيونًا، أو بمعنى آخر تحمله النفس التى أصبحت عرشًا له وكرسيًا، وهى الآن عين ونور. إنه يصعد عليها ويحكمها بزمام الروح ويقودها بحسب فكره هو. وكما أن الكائنات الروحانية الحية لم تذهب إلى حيث شاءت بل إلى حيث يعرف ويشاء ذاك الذى يجلس عليهم ويوجههم، هكذا الحال هنا، فإنه هو نفسه الذى يمسك الزمام ويقود قوى النفس بروحه، حينما تتجه للسير إلى السماء، فهى تسير حسب قيادته وليس بحسب مشيئتها الخاصة. فأحيانًا يطرح الجسد، ويقود

النفس ويأخذها بالفكر إلى السماء، وأحيانًاــ حينما يشاء هو ــ يأتى بها للعمل فى الجسد وشئونه، وأحيانًا ــ متى شاء ــ يأتى بها إلى أقاصى الأرض ويكشف للنفس أسرارًا بلا حجاب. آه ، **يا لسموه وصلاحه. ذلك القائد الحقيقى الوحيد (للنفس)!**. وبنفس الطريقة، فإن أجسادنا أيضًا ستنال الامتياز فى القيامة، بعد أن تكون النفس قد سبقت وتمجدت منذ الآن على الأرض وامتزجت مع الروح فى الحياة الحاضرة.

أنتم نور العالم :

٤ ــ وأما أن نفوس الأبرار تصير نورًا سماويًا، فهذا هو ما أعلنه الرب للرسل، عندما قال " *أنتم نور العالم* "(مت٥:١٤) لأنه صيّرهم نورًا أولاً، ثم بعد ذلك أمر بأن يستنير بهم العالم إذ يقول " *لا يوقدون سراجًا ويضعونه تحت المكيال، بل على المنارة فيضئ لكل من فى البيت، فليضئ نوركم هكذا قدام الناس* " (مت٥:١٥،١٦).

وبمعنى آخر، لا تخفوا الموهبة التى قبلتموها منى، بل أعطوا لكل الذين يرغبون أن ينالوها. وقال أيضًا " *سراج الجسد هو العين فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيرًا. وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلمًا. فإن كان النور الذى فيك ظلامًا فالظلام كم يكون* " (مت ٦:٢٢،٢٣ ، لو ١١:٣٤)، فكما أن العينين هما نور الجسد ــ وطالما هما بحالة جيدة ــ فالجسد كله يكون نيرًا، ولكن إن حدث لهما حادث فأظلمتا، يصير الجسد كله فى ظلمة، هكذا قد جعل الرسل ليكونوا عيونًا ونورًا للعالم كله. لذلك فإن الرب أمرهم بهذا القول. فأنتم الذين هم نور الجسد ، إن كنتم تثبتون ولا تنصرفون عنى، فحينئذ يستنير جسد العالم كله، وأما إن كنتم وأنتم النور تكونون مظلمين فما أعظم تلك الظلمة، التى هى ليست

شيئًا أقل من العالم. وهكذا فإن الرسل إذ كانوا هم أنفسهم نورًا، فقد أعطوا النور لأولئك الذين آمنوا، إذ أناروا قلوبهم بذلك النور السماوى ــ نور الروح الذى كانوا هم أنفسهم مستنيرين به.

الملح والذبيحة والكاهن :

٥ ــ وإذ كانوا هم أنفسهم ملحًا فإنهم حفظوا وملّحوا كل نفس مؤمنة بملح الروح القدس؛ لأن الرب قال لهم " *أنتم ملح الأرض* " (مت٥:١٣)، ويقصد بالأرض قلوب الناس. إنهم أعطوا لنفوس الناس من الداخل الملح السماوى ــ ملح الروح ــ فيملحونهم ويجعلونهم أحرارًا من الفساد والتعفن، بدلاً من تلك الحالة الكريهة التى كانوا فيها. إن اللحم، إن لم يُملّح، يفسد ويمتلئ برائحة كريهة، حتى أن الناس كلهم يبتعدون من الرائحة العفنة، ويدب الدود فى اللحم الفاسد ويسكن فيه ويتغذى عليه ويختبئ فيه؛ ولكن حينما يلقى عليه الملح يموت الدود الساكن فيه وتنتهى الرائحة الكريهة لأن هذه هى خاصية الملح أن يقتل الدود ويزيل الرائحة الكريهة .

وبنفس الطريقة فإن كل نفس لا تُصلّح وتُملّح بالروح القدس ولا تشترك فى الملح السماوى الذى هو قوة الله فإنها تفسد وتمتلئ برائحة الأفكار الرديئة الكريهة حتى أن وجه الله يتحول عن الرائحة المرعبة النتنة رائحة أفكار الظلمة الباطلة وعن الشهوات التى تسكن فى مثل هذه النفس. والدود الشرير المرعب، الذى هو أرواح الشر وقوات الظلمة، تتمشى وتتجول فيها، وتسكن هناك، وتختبئ وتدب فيها وتأكلها وتأتى بها إلى التحلل والفساد. كما يقول المزمور "*قد أنتنت وقاحت جراحاتى* " (مز٣٨:٥).

ولكن حينما تهرب النفس إلى الله لأجل الخلاص وتؤمن وتطلب ملح الحياة الذى هو الروح الصالح المحب للبشر، فحينئذ يأتى الملح السماوى

ويقتل تلك الديدان المرعبة ويزيل الرائحة النتنة، ويطهر النفس بعمل قوته الفعال، وهكذا تصير النفس سليمة صحيحة وحرة من الاضمحلال بواسطة ذلك الملح الحقيقى وتُرد وتُعاد لتكون نافعة لخدمة السيد السماوى وهذا هو السبب الذى من أجله أمر الله، فى الناموس مستعملاً الرمز أن كل ذبيحة ينبغى أن تُملح بملح (لا٢:١٣، أنظر مرقس٩:٤٩).

٦ ــ فالذبيحة ينبغى أولاً أن تُذبح بواسطة الكاهن، وتموت، ثم تُقطع قطعًا وتُملح، وبعد ذلك توضع على النار. فإن لم يذبح الكاهن الخروف أولاً ويموت، فإنه لا يُملح ولا يُقرب كقربان محرقة للرب. **هكذا نفسنا أيضًا ينبغى أن تأتى إلى المسيح رئيس الكهنة الحقيقى ليذبحها، وتموت عن هوى فكرها الخاص وعن حياة الخطية الشريرة التى كانت تعيشها قبلاً.** يجب أن تخرج منها الحياة حياة الأهواء الشريرة. كما أن الجسد إذ خرجت منه النفس يموت، ولا يعود يعيش بالحياة التى سبق أن عاشها، فلا يسمع ولا يمشى، **كذلك المسيح،** رئيس **كهنتنا السماوى ــ حينما يذبح نفسنا بنعمة قوته، ويميتها عن العالم، فإنها تموت عن حياة الشر التى كانت تعيشها،** فلا تعود تسمع أو تتكلم أو يكون لها شركة وتوطن فى ظلمة الخطيئة **لأن حياتها ــ التى هى الأهواء الشريرة قد خرجت منها بواسطة النعمة.** والرسول يصرخ قائلاً: "*قد صُلب العالم لى وأنا صُلبت للعالم*"(غلا٦:١٤).

فالنفس التى لا تزال تحيا فى العالم وفى ظلام الخطيئة ولم تُمات بواسطة المسيح ولا يزال روح الخبث فى داخلها أعنى نشاط ظلمة أهواء الشر، التى تتحكم فيها فإن هذه النفس لا تنتمى إلى جسد المسيح، لا تنتمى إلى جسد النور، بل هى فى الحقيقة جسد الظلمة ولا تزال جزءً لا ينفصل من الظلمة، أما الذين **لهم حياة روح النور، أعنى قوة الروح القدس فإنهم جزء لا ينفصل من النور.**

٧ ــ ولكن قد يسألنى أحدكم قائلاً: كيف تدعو النفس بلقب جسد الظلمة فى حين أنها لم تخلق من الظلمة؟ أصغ لى، وأفهمنى جيدًا. كما أن ثوبك الذى تلبسه قد صنعه آخر غيرك، وأنت تلبسه، وكما أن بيتك قد بناه آخر وأنت تسكن فيه، هكذا حينما تعدى آدم وصية الله وأطاع الحية الخبيثة، صار مُباعًا أو باع نفسه للشيطان فاكتست النفس ــ تلك الخليقة الحسية التى صورها الله على صورته الخاصة ــ اكتست بنفس الشرير مثل رداء. لذلك يقول الرسول: "*إذ جرد الرياسات والسلاطين، ظفر بهم فى الصليب*" (كو٢:١٥)، **وهذا هو الغرض الذى من أجله جاء الرب (إلى العالم)**، لكيما يطرحهم خارجًا **ويسترجع بيته وهيكله**، أى الإنسان. لهذا السبب تُسمى النفس "جسد ظلمة الخبث" طالما أن ظلمة الخطية موجودة فيها. لأنها تحيا لعالم الظلمة الشرير، وهى ممسوكة بشدة هناك. لذلك يسميها الرسول **جسد الخطيئة أو جسد الموت**، قائلاً: "*ليبطل جسد الخطية* " (رو٦:٦). وأيضًا "*من ينقذنى من جسد هذا الموت* " (رو٧:٢٤)، **ومن الجهة الأخرى فإن النفس التى قد آمنت بالرب وأُنقذت من الخطية وأميتت عن حياة الظلمة وقد نالت نور الروح القدس كحياة لها، وبهذه الطريقة قد انتقلت من الموت إلى الحياة حقًا، فإنها تصرف زمانها بعد ذلك فى نفس هذه الحياة، لأنها تكون هناك ممسوكة بشدة بقوة نور اللاهوت.** فإن النفس فى ذاتها لا هى من طبيعة اللاهوت، ولا هى من طبيعة ظلمة الخبث، بل هى خليقة عاقلة، جميلة، عظيمة، وعجيبة، وحسنة كمثال وصورة الله. وإنما عن طريق التعدى دخل فيها خبث أهواء الظلمة.

ضرورة المجىء إلى المسيح لنموت ونحيا :

٨ ــ إذن فما تختلط به النفس فإنها تكون متحدة معه في حركات إرادتها، فإما يكون لها نور الله في داخلها، وتعيش في النور، في كل الفضائل، وتنتسب إلى نور الراحة. وإما يكون لها ظلمة الخطيئة فتقابل الدينونة. **فالنفس التى تشتهى أن تعيش مع الله فى الراحة والنور الأبدى يجب أن تأتى ــ كما قلنا سابقًا ــ إلى المسيح رئيس الكهنة الحقيقى لتُذبح وتموت عن العالم وعن حياة ظلمة الخبث السابقة. وتنتقل إلى حياة أخرى وإلى سيرة إلهية.** وكما يحدث عندما يموت إنسان فى مدينة ما فإنه لا يسمع صوت الناس الساكنين فيها ولا أحاديثهم ولا الضوضاء التى يصنعونها، بل هو يصير ميتًا مرة واحدة، وينتقل إلى منطقة أخرى حيث لا يوجد أصوات ولا صرخات من تلك المدينة التى خرج منها، **كذلك النفس أيضًا حينما تنذبح مرة وتموت عن مدينة الأهواء الشريرة التى تسكن وتعيش فيها** فإنها لا تعود تسمع فى داخلها صوت أفكار الظلمة، ولا يعود يُسمع فيها حديث وصراخ المنازعات الباطلة الشريرة أو ضجيج أرواح الظلمة بل **تنتقل إلى مدينة مملوءة بالصلاح والسلام، إلى مدينة نور اللاهوت وتعيش هناك، وتسمع وتستوطن وتتكلم وتشارك، وهناك تعمل أعمالها الروحانية التى تليق بالله.**

فلنصلِّ لكى ننذبح بقوته :

٩ ــ **لذلك فلنصلِّ لكى ننذبح بواسطة قوته ونموت عن عالم الظلمة الخبيث ولكى يموت فينا روح الخطية، ولكيما نلبس وننال حياة الروح السماوى، وننتقل من شر الظلمة إلى نور المسيح، لكى نستريح فى الحياة إلى مدى الدهور.** فكما أن المركبات تتسابق فى الميدان والمركبة التى

تسبق الأخرى تصير لها مانعًا وحاجزًا وعائقًا حتى أنها لا تستطيع أن تتقدم وتصل إلى النصرة، هكذا أيضًا سباق أفكار النفس والخطيئة فى الإنسان. **فإذا حدث أن سبق فكر الخطيئة فإنه يعوق النفس ويحجزها ويمنعها، حتى أنها لا تستطيع أن تقترب إلى الله وتنال النصرة منه. ولكن حيث يركب الرب ويمسك بزمام النفس بيديه فإنه دائمًا يغلب لأنه بمهارة يدير ويقود مركبة النفس إلى ذهن سماوى ملهَم إلى الأبد.** وهو ــ أى الرب ــ لا يحارب ضد الخبث إذ له دائمًا القوة الفائقة والسلطان فى نفسه، بل هو يصنع النصرة بنفسه. فالكاروبيم إذن لا تسير حيث تشاء من نفسها أن تسير، بل إلى حيث يقودها ويوجهها الراكب عليها. وهى تسير حيث يريد هو، وهو يسندها لأن الكتاب يقول " *ويد إنسان كانت تحتها* " (حز ١:٨).

فهذه النفوس المقدسة تنقاد وتسير بروح المسيح الذى يمسك بزمامها ويقودها إلى حيث يشاء ــ فأحيانًا يشاء أن تقيم فى التأملات السماوية ، وأحيانًا يشاء أن تلبث فى الجسد، وهكذا حيثما يشاء هو فإنها تقوم بالخدمة.

وكما أن أجنحة الطائر هى له بمثابة الرجلين كذلك فإن النور السماوى أى نور الروح يجعل أجنحة أفكار النفوس المستحقة، ويقودها ويدبرها كما يعرف هو أنه الأحسن لها .

أنظر إلى نفسك جيدًا :

١٠ ــ لذلك فحينما تسمع بهذه الأشياء **أنظر إلى نفسك جيدًا**، هل أنت حاصل على هذه الأشياء ومالك لها بالفعل والحق فى داخل نفسك أم لا ؟ فإنها ليست مجرد كلمات تُقال بل هى فعل الحق الذى يحدث فى داخل نفسك، **فإن لم تكن مالكًا لها بل أنت معدم من مثل هذه الخيرات الروحانية، ينبغى لك أن تكتئب وتحزنَ وتسعى بلهفة، كإنسان لا يزال ميتًا ومنفصلاً عن**

الملكوت. وكإنسان مجروح أصرخ دائمًا إلى الرب واطلب منه بإيمان أن يمنحك أنت شخصيًا هذه الحياة الحقيقية .

وحينما صنع الله جسدنا هذا فإنه لم يمنحه أن تكون له حياة لا من طبيعة الله الخاصة ولا أن يحيا الجسد بذاته، وهكذا دبر له الطعام والشراب واللباس والأحذية، وهكذا عين الله له أن يأخذ كل حاجات الحياة من الخارج إذ أنه صنع الجسد نفسه عريانًا. ولا يمكن للجسد أن يعيش بدون الأشياء الخارجة عنه، أى بدون الطعام والشراب واللباس، فإن حاول أن يعتمد على طبيعته وحدها دون أن يأخذ شيئًا من الخارج فإنه يضمحل ويموت. وهذا هو نفس الحال بالنسبة للنفس أيضًا فهى لا تملك النور الإلهى رغم أنها مخلوقة على صورة الله وهكذا نظم الله أحوالها وقد أراد بأن **لا تحصل على الحياة الأبدية من طبيعتها الخاصة، ولكن من لاهوته، أى من روحه، ومن نوره**، تنال طعامًا وشرابًا روحانيًا، ولباسًا سماويًا وهذه هى حياة النفس، أى الحياة بالحقيقة.

١١ ــ وكما رأينا أن حياة الجسد ليست من ذاته، ولكن من خارجه، أى فى الأرض، وبدون الأشياء التى من خارجه لا يمكنه أن يعيش **هكذا أيضًا النفس إن لم تولد الآن إلى " *أرض الأحياء* " (مز٢٧:١٣) وتستمد غذاءً روحيًا منها وتنمو نموًا روحيًا أمام الرب وتكتسى من اللاهوت بحلل الجمال السماوى التى تفوق الوصف، فإنها بدون ذلك القوت لا يمكنها أن تعيش من نفسها فى فرحة وراحة.** إن الطبيعة الإلهية فيها خبز الحياة الذى قال *أنا هو خبز الحياة* " (يو٦:٣٥)، "*والماء الحى*" (يو٤:١٠)، "*والخمر التى تفرح قلب الإنسان* " (مز١٠٤:١٥)، " *وزيت الابتهاج*" (مز٤٥:٧)، وجميع أصناف طعام الروح السماوى ولباس النور، تلك التى تأتى من الله. **وفى**

هذه الأشياء تكون حياة النفس الأبدية. ويل للجسد حينما يعتمد على طبيعته الخاصة لأنه حينئذ يضمحل ويموت، **وأيضًا ويل للنفس إن استندت على طبيعتها الخاصة ولم تضع ثقتها فى شئ سوى أعمالها الخاصة، ولم تنل شركة روح الله، فإنها تموت إذ أنها لم تحصل على حياة اللاهوت الأبدية الممنوحة لها.** ففى حالة المرض بالجسد، بمجرد أن يفقد الجسد القدرة على تقبل الغذاء، لا يعود هناك أمل فى هؤلاء المرضى، ويبدأ أصدقاؤهم الحقيقيون وأقرباؤهم ومحبيهم فى البكاء وذرف الدموع، **وبنفس الطريقة فإن الله والملائكة يبكون على النفوس التى لا تتغذى بطعام الروح السماوى، ولم تأت إلى الحياة فى عدم الفساد.** ومرة أخرى أقول: إن هذه الأشياء ليست مجرد كلمات تُقال، بل هى عمل الحياة الروحانية، عمل الحق الذى يتحقق فى النفس الأمينة المستحقة.

ليكن لنا حسًا سريعًا :

١٢ ــ فإن كنت قد صرت عرشًا لله، وجلس فوقك الراكب السماوى، ونفسك كلها قد صارت عينًا روحانية، وصارت نفسك كلها نورًا، وإذا كنت قد تغذيت بذلك الغذاء، غذاء الروح القدس، وإن كنت قد سُقيت من ماء الحياة، وإن كنت قد لبست ملابس النور الذى لا يُوصف، وثبت إنسانك الداخلى فى اختبار هذه الأمور بملء الثقة واليقين، فإنك تكون حيًا، إنك تحيا الحياة الأبدية الحقيقية، وإن نفسك هى فى الراحة مع الرب منذ الآن فصاعدًا. أنظر فها أنت قد قبلت هذه الأشياء من الرب وامتلكتها بالحق، لكيما تحيا الحياة الحقيقية. ولكن إذا وعيت نفسك ووجدت أنه ليس عندك شئ من هذه الأشياء (التى سبق ذكرها) فحينئذ يلزم أن تبكى وتنوح وتحزن لأنك حتى الآن لم تجد الغنى السماوى الأبدى.

لذلك ينبغى أن تتوجع بسبب فقرك المدقع، وتتضرع إلى الرب ليلاً ونهارًا لأنك قد سقطت فى فقر الخطيئة المرعب.

يا ليت كل إنسان يصير له إحساس سريع وتوجع بسبب فقره، ولا نسير فى الحياة بلا مبالاة، مكتفين كأننا قد امتلأنا !، **لأن الذى يحس بشدة فقره، ويأتى إلى الرب ويسأله بالصلاة باستمرار، فإنه يحصل على الفداء والكنوز السماوية**، كما قال الرب فى ختام حديثه عن القاضى الظالم والأرملة " *أفلا ينصف الله الذين يصرخون إليه ليلاً ونهارًا، نعم أقول لكم إنه ينصفهم سريعًا* " (لو١٨:٧) الذى له المجد والقوة إلى الأبد آمين.

❖❖❖❖❖❖❖

العظة الثانية :

الإنسان العتيق والإنسان الجديد

" عن ملكوت الظلمة ــ أى ملكوت الخطيئة ــ وأن الله هو القادر وحده أن ينزع منا الخطيئة ويخلصنا من عبودية رئيس الشر "

١ ــ إن ملكوت الظلمة، أى الرئيس الشرير، لمّا أسر الإنسان فى البدء، قد غمر النفس وكساها بقوة الظلمة كما يكسو الإنسان إنساناً غيره "لكيما يجعلوه ملكًا، ويلبسونه الملابس الملوكية من رأسه إلى قدمه" [1] وبنفس هذه الطريقة قد كسا الرئيس الشرير، النفس وكل جوهرها بالخطيئة. ولوثها بكليتها، وأخذها بكليتها أسيرة إلى ملكوته، ولم يدع عضوًا واحدًا منها حرًا منه، لا الأفكار، ولا القلب، ولا الجسد، بل كساها كلها بأرجوان الظلمة.

لأنه كما أن الجسد لا يتألم منه جزء أو عضو بمفرده، بل الجسد كله يتألم معًا، هكذا النفس بكليتها تألمت بأوجاع الشقاء والخطيئة. فالشرير كسا النفس كلها التى هى الجزء أو العضو الأساسى فى الإنسان، كساها بشقائه الخاص، الذى هو الخطيئة، ولذلك أصبح الجسد قابلاً للألم والفساد (الاضمحلال).

---

[1] الاقتباس ــ لم يذكر مصدره ــ وهو ليس اقتباسًا من الكتاب المقدس، والقصد منه ــ على أى حال، هو إعطاء فكرة التغطية الكلية بالملابس.

الإنسان العتيق :

٢ ــ لأنه عندما يقول الرسول : " *اخلعوا الإنسان العتيق* " (كو٣:٩)، فهو يقصد إنسانًا بتمامه، فيه عيون مقابل عيون، وآذان مقابل آذان، وأيدى مقابل أيدى، وأرجل مقابل أرجل، لأن الشرير قد لوث الإنسان كله، نفسًا وجسدًا، وأحدره، وكساه " بإنسان عتيق " أى **إنسان ملوث، نجس، فى حالة عداوة مع الله**، " *وليس خاضعًا لناموس الله* " (رو٩:٧)، بل هو بكليته خطيئة، حتى أن الإنسان لا يعود ينظر كما يشاء هو **بل ينظر بعين شريرة، ويسمع بأذن شريرة، وله أرجل تسرع إلى فعل الشر، ويديه تصنع الإثم، وقلبه يخترع شرورًا. لذلك فلنتوسل إلى الله أن ينزع منا الإنسان العتيق، لأنه هو وحده القادر على نزع الخطيئة منا.** لأن الذين قاموا بأسرنا ولا يزالون يستبقوننا فى مملكتهم، هم أقوى منا. **ولكنه قد وعدنا بأن يحررنا من هذه العبودية المؤلمة.** فعندما تكون هناك شمس ساخنة وتهب معها الريح فإن كلاً من الشمس والريح لها كيان وطبيعة خاصة بها، ولكن لا يستطيع أحد أن يفصل بين الشمس والريح إلاّ الله الذى يستطيع وحده أن يمنع الريح من الهبوب، وبنفس المثال، فإن الخطيئة ممتزجة بالنفس، مع أن لكل منهما طبيعته الخاصة.

٣ ــ فمن المستحيل الفصل بين النفس والخطيئة، إن لم يوقف الله ويسكت الريح الشرير، الذى يسكن فى النفس وفى الجسد.

وكما أن الإنسان إذا رأى عصفورًا يطير، فإنه يشتاق أن يطير هو أيضًا، ولكنه لا يستطيع، لأنه لا يملك أجنحة يطير بها. كذلك أيضًا فإن إرادة الإنسان حاضرة (رو٦:٨) وقد يشتهى أن يكون نقيًا، وبلا لوم، وبلا

عيب، وأن لا يكون فيه شئ من الشر، بل أن يكون دائمًا مع الله، ولكنه لا يملك القوة ليكون كذلك. وقد تكون شهوته هى أن يطير إلى الجو الإلهى، وحرية الروح القدس، ولكن لا يمكنه ذلك إلاّ إذا أُعطيت له أجنحة (لتحقيق هذه الغاية). **فلنلتمس من الله أن ينعم علينا " بأجنحة " (مز٥٥:٦) ، ولكى يفصل الريح الشرير ويقطعه من نفوسنا وأجسادنا، ذلك الريح الذى هو الخطية الساكنة فى أعضاء نفوسنا وأجسادنا. ليس أحد إلاّ هو (الروح القدس) الذى يستطيع أن يفعل هذا الأمر.**

يقول الكتاب: " *هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم* " (يو١:٢٩) ، إنه وحده الذى أظهر هذه الرحمة لأولئك الأشخاص الذين يؤمنون به، إذ أنه يخلصهم من الخطيئة، **وهو يحقق هذا الخلاص الذى لا يُنطق به لأولئك الذين ينتظرونه دائمًا ويضعون رجاءهم فيه ويطلبونه بلا انقطاع.**

٤ ــ وكما أنه يحدث فى أحد الليالى المظلمة الكئيبة أن تهب ريح عاصفة وتحرك وتفتش كل الزروع والنباتات وتهزها، **وهكذا حينما يسقط الإنسان تحت سلطة ظلام ليل الشيطان، ويصير فى الليل والظلمة، فإنه يتكدر بواسطة ذلك الريح المرعب ريح الخطيئة الذى يهب (عليه) فيهزه ويقلبه ويفتش أعماق طبيعته كلها: نفسه وأفكاره، وعقله، ويهز أيضًا كل أعضاء جسده، ولا ينجو عضو سواء من أعضاء النفس أو أعضاء الجسد ويبقى بمأمن من الخطيئة الساكنة فينا. وبالمثل فهناك نهار النور والريح الإلهى، ريح الروح القدس، الذى يهب وينعش النفوس التى تكون فى نهار النور الإلهى. والروح القدس ينفذ فى جوهر النفس كلها وفى أفكارها وكل كيانها، وكذلك ينعش ويريح كل أعضاء الجسد براحة إلهية تفوق الوصف.** وهذا هو

ما أعلن عنه الرسول عندما قال: "*لسنا أبناء ليل أو ظلمة، بل جميعنا أبناء نور وأبناء نهار* " (١تس٥:٥).

الإنسان الجديد :

وكما أنه هناك فى الحالة الأولى ــ حالة الخطيئة والسقوط ــ فإن الإنسان القديم قد لبس إنسان الفساد بكليته، أى لبس ثوب مملكة الظلمة، ورداء التجديف وعدم الإيمان، وعدم المبالاة والمجد الباطل والكبرياء والجشع والشهوة، وكل الفخاخ الأخرى الوسخة غير الطاهرة البغيضة التى لمملكة الظلمة، **هكذا يحدث هنا أن كل الذين خلعوا الإنسان العتيق، الذى هو من تحت ــ من الأرض ــ كل الذين خلع عنهم يسوع رداء مملكة الظلمة ــ قد لبسوا الإنسان الجديد السماوى ــ أى يسوع المسيح ــ** بكل عضو مقابل **(العتيق):** عيون مقابل عيون، آذان مقابل آذان، رأس مقابل رأس، ليكون الإنسان كله نقيًا بارتدائه الصورة السماوية.

٥ ــ هؤلاء قد ألبسهم الرب لباس ملكوت النور الذى لا يُنطق به، لباس الإيمان والرجاء والمحبة والفرح والسلام والصلاح واللطف وكل الملابس الأخرى الإلهية الحية التى لنور الحياة، ملابس الراحة التى لا يُعبر عنها، **حتى كما أن الله نفسه هو محبة وفرح وسلام ولطف وصلاح، فكذلك يكون الإنسان الجديد بالنعمة.**

وكما أن مملكة الظلمة والخطيئة تبقى خفية فى النفس إلى يوم القيامة، الذى فيه سوف تُغمر أجساد الخطاة أيضًا بالظلمة المختفية الآن فى النفس، هكذا مملكة النور، والصورة السماوية ــ يسوع المسيح ــ يضئ الآن سرًا داخل النفس، **ويملك فى نفوس القديسين ولكنه مخفى عن عيون الناس،**

وعيون النفس فقط هى التى ترى المسيح حقًا حتى يأتى يوم القيامة، الذى فيه سيُغمر الجسد أيضًا بنور الرب ويتمجد به، ذلك النور المختفى الآن فى نفس الإنسان، ليملك الجسد أيضًا مع النفس التى تنال منذ الآن ملكوت المسيح وتستريح مستنيرة بالنور الأبدى. فالمجد لمراحمه وحنانه وشفقته، لأنه هكذا يعطف على عبيده وينيرهم، وينقذهم من مملكة الظلمة ويمنحهم نوره الخاص وملكوته الخاص. له المجد والقدرة إلى الأبد آمين.

العظة الثالثة :

الشركة الأخوّية ومقاومة أفكار الشر والخلاص بيسوع وحده

" إن الاخوة ينبغى أن يعيشوا فى إخلاص وبساطة ومحبة وسلام مع بعضهم البعض، وأن يصارعوا أفكارهم الداخلية ويحاربوها "

الشركة الأخوية :

١ ــ ينبغى أن يسكن الاخوة معًا فى محبة كثيرة، وسواء كانوا يصلون أو يطالعون الكتب المقدسة، أو يمارسون أى نوع من العمل، يتأسسون على أساس المحبة المتبادلة. وبهذه الطريقة، فإن الميول المتنوعة تكون مقبولة، فالذين يصلون والذين يقرأون، والذين يعملون يستطيعون أن يعيشوا جميعًا فى إخلاص وبساطة بعضهم مع بعض لأجل منفعتهم . فما هو المكتوب ؟ " *لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض* " (مت ٦:١٠) ، لأنه كما أن الملائكة فى السماء يسكنون معًا باتفاق عظيم، وسلام ومحبة، ولا يكون بينهم لا كبرياء ولا حسد بل يعيشون معًا فى محبة وإخلاص، هكذا ينبغى أن يسكن الاخوة معًا. وقد يوجد ثلاثون شخصًا تحت تدبير واحد ولا يمكنهم أن يستمروا نهارًا وليلاً فى شئ واحد. لذلك فالبعض يعطون أنفسهم للصلاة لمدة ستة ساعات ثم بعد ذلك يميلون إلى القراءة، والبعض عندهم استعداد لخدمة الغير، بينما البعض الآخر يعملون أى نوع من العمل.

٢ ــ فمهما كان انشغال الاخوة، فينبغى أن يقوموا به في محبة وبشاشة نحو بعضهم البعض. فالذى يشتغل منهم فليقل عن الذى يصلى " إن الكنز الذى يجده أخى هو كنز مشترك ولذلك فهو كنزى "، والذى يصلى يقول عن الذى يقرأ " إن كل ما استفاده أخى من القراءة هو لمنفعتى "، والذى يعمل فليقل " إن ما أعمله من الخدمة هو لمنفعة الجميع ". كما أن أعضاء الجسد كثيرة لكنها جسد واحد (١كو١٢:١٢) وتساعد بعضها البعض، وكل عضو يؤدى وظيفته الخاصة، ولكن العين تنظر لحساب الجسد كله، واليد تعمل لأجل الأعضاء كلها، والقدم تمشى وتحمل كل الأعضاء، وعضو يتألم مع كل الأعضاء بالمثل، هكذا فليكن الاخوة بعضهم مع بعض، فلا يدين المصلى ذلك الذى يعمل بسبب قلة صلاته. ولا يدين الذى يعمل ذلك الذى يصلى قائلاً: " إنه يستريح بينما أنا أعمل ". ولا يدين الذى يخدم ويعمل أخًا آخر بل فليفعل كل واحد ما يفعله لمجد الله. فالذى يقرا ليقبل الذى يصلى بمحبة ولطف وهو يقول فى نفسه " إنه يذكرنى فى صلاته "، والمصلى فليفكر فى الذى يعمل قائلاً فى نفسه: " إن ما يعمله إنما هو لخيرنا ومنفعتنا جميعًا ".

٣ ــ وهكذا يكون اتفاق عظيم وسلام ووحدانية فى رباط السلام تربطهم جميعًا، ويستطيعون أن يعيشوا معًا فى إخلاص وبساطة وفى نعمة الله. ولكن لا شك أن الأمر الرئيسى هو المداومة على الصلاة. **وهناك أمر واحد لازم للجميع، وهو أن يحصل الإنسان فى داخل نفسه على كنز، وعلى الحياة فى عقله، هذه الحياة التى هى الرب نفسه ــ حتى أنه سواء كان يشتغل أو يصلى أو يقرأ فلا يزال حاصلاً على ذلك النصيب الذى لا يزول، الذى هو الروح القدس.**

محاربة الأفكار واستئصال الخطية :

ولكن البعض يفكرون هكذا ـــ إن الرب لا يطلب من الإنسان سوى الثمار المنظورة وأما الخفيات فإن الله هو الذى يصلحها. ولكن الحقيقة ليست هكذا. بل كما أن الإنسان يدافع عن نفسه فيما يخص شخصه الخارجى، كذلك يجب عليه أن يداوم الصراع والحرب فى أفكاره الداخلية. **فالرب يطلب منك أن تغضب على نفسك وتتعارك مع عقلك، ولا ترضى بأفكار الشر أو تتصالح معها.**

٤ ـــ ومع ذلك **فإن استئصال الخطية والشر الساكن فينا فهذا لا يمكن تحقيقه إلاّ بواسطة القوة الإلهية.** فإنه ليس مستطاعًا للإنسان ولا هو فى إمكانه وطاقته أن يستأصل الخطية بقوته الخاصة، وإنما فى قوتك أن تصارع ضدها وتحاربها، **وأما استئصالها فهذا عمل الله.**

الانتصار والخلاص بيسوع :

لأنه لو كان مستطاعًا للإنسان أن يستأصلها فأى حاجة كانت تدعو إذن لمجىء الرب إلى العالم؟ فكما أن العين لا تستطيع أن تنظر بدون نور، وكما أن الإنسان لا يستطيع أن يتكلم بدون لسان، أو يسمع بدون آذان أو يمشى بدون قدمين، أو يعمل بدون يدين، **هكذا لا يستطيع الإنسان أن يخلص بدون يسوع وبدونه لا يستطيع الدخول إلى ملكوت السموات.** وأما إن قلت: " إنىّ فى سلوكى الخارجى أنا لا أرتكب الزنا والفسق، ولا أنا حسود ولذلك فأنا مستقيم" فأنت تخطئ فى هذا لأنك تظن أنك تممت كل شئ. فالخطية ليست هى ثلاثة أنواع فقط التى يجب الإنسان أن يحفظ نفسه منها، بل هى عشرة آلاف. فأين الغطرسة والوقاحة وعدم الإيمان

والكراهية والغيرة والخداع والرياء؟ ألاّ ينبغى أن تصارع وتحارب ضد هذه فى أفكارك الخفية؟ فإذا دخل لص إلى المنزل فإنك تضطرب فى الحال، ولا يدعك فى راحة، إنما تبدأ فى المضاربة والمقاومة معه. هكذا ينبغى على النفس أن تضارب وتقاوم وتواجه القوة بقوة.

٥ ــ وما نتيجة ذلك؟ .. إنه بالمقاومة وتحمل الآلام تنال الإرادة معونة وارتفاعًا وحتى إذا سقطت تقوم ثانية. وقد تلقيها الخطية فى عشرة أو عشرين معركة، وقد تُغلب النفس فيها، ولكن النفس بعد وقت تغلبها فى معركة واحدة، فإن كانت النفس تصبر ولا تفزع فإنها تبتدئ تنال القوة وتتعقب العدو وتحمل غنائم الظفر بالخطية. **ولكن إن تفحصنا هنا بدقة وجدنا أن الخطية قاسية وشديدة على الإنسان " إلى أن يصل إلى إنسان آخر إلى قياس قامته " (١كو١٥:٢٦) ، فيغلب الموت تمامًا، لأنه مكتوب " *آخر عدو يبطل هو الموت* " (أف٥:٢٦)، وهكذا سيسودون على الشيطان وينتصرون.**

ولكن، كما ذكرنا سابقًا أن قال أحد " أنا لا أرتكب الزنا والفسق، ولا أنا طامع فى المال وهذا يكفى، فهذا قد وضع فى حسابه أنه حارب ضد ثلاث قوات ولكنى أقول له أن هناك عشرين آخرين تحارب بها الخطية ضد النفس وهو لم يحاربها ولذلك فهو ينغلب. **فينبغى عليه أن يحارب ضدها جميعًا وأن يجاهد، لأن العقل كما قلت مرارًا كثيرة منافس معادل لها، ويملك قوة معادلة ضد الخطية ليقف ويرفض إيحاءاتها.**

٦ ــ فإذا قلت أن القوة المضادة هى قوية جدًا وأن الشر له سيادة كاملة على الإنسان، فإنك بذلك تنسب الظلم لله حينما يدين البشر بسبب **خضوعهم** للشيطان لأن الشيطان قوى جدًا ويخضع للبشرية بقوة لا تقاوم. " إنك تجعل الشيطان أعظم وأقوى من النفس، ثم تقول لى لا تخضع للشيطان. فهذا مثل معاركة شاب مع طفل صغير، والطفل حينما يُغلب يدان بسبب انغلابه. فهذا ظلم عظيم " .

ولكنى أقول لك حينئذ إن العقل البشرى هو معادل صالح للعدو وموازن مساو ضده، **فكل نفس بهذا الشكل حينما تطلب فإنها تجد المعونة والحماية، ويُمنح لها الفداء.** فالحرب والصراع ليست متكافئة.

فلنمجد الآب والابن والروح القدس إلى الأبد آمين .

العظة الرابعة :

السعى للملكوت الأبدى
محبة الله الشديدة للإنسان

" ينبغى على المسيحيين أن يتمموا سعيهم فى هذا العالم بحرص وحذر، لكى يربحوا المديح السماوى من الله والملائكة "

١ ــ نحن الذين نرغب أن نحيا الحياة المسيحية بكل إخلاص وأصالة، ينبغى قبل كل شئ آخر أن نجتهد بكل قوتنا فى تربية الملكة المميزة والمفرزة فى النفس (ملكة التمييز والإفراز)، حتى إذا حصلنا على إحساس دقيق وإدراك للفرق بين الخير والشر وصرنا دائمًا مميزين الأشياء الغريبة التى اختلطت بالطبيعة النقية بشكل غير طبيعى، **فإنه يمكننا أن نسلك باستقامة، وبلا عثرة وباستعمال قوة التمييز هذه كأنها عين، يمكننا أن نحفظ أنفسنا أحرارًا من أى ارتباط أو اتحاد، مع إيحاءات الخطية، وهكذا يمكن أن تُمنح لنا الموهبة السماوية التى نصير بها أهلاً للرب.**

ولنأخذ مثلاً لإيضاح ذلك من العالم المنظور، فإنه يوجد تشابه بين الجسم والنفس، بين أمور الجسد وأمور النفس، وبين الأشياء المنظورة والأشياء المستترة.

تشبيه عين الجسد والسير فى الغابات :

٢ ــ فالجسد له عين لترشده وتقوده. والعين بواسطة الإبصار، تقود الجسد كله باستقامة. فتخيل إنسانًا يسير فى مناطق غابات، مملوءة بالأشواك والأوحال، وحيث تكون هناك نار مشتعلة، وفى الأرض سيوف

منتصبة، وهناك أيضًا مهاوى ومياه كثيرة، فالمسافر المُجد وهو مسافر حريص ذكى، استعماله قيادة عينه، يعبر تلك الأماكن الصعبة بانتباه شديد، ويرفع ملابسه من كل ناحية بيديه لئلا تتمزق من الأدغال والأشواك، أو تتلوث بالوحل أو تُقطع بأحد السيوف. فعينه تقود الجسم كله. فعينه هى بمثابة نور له، تخلصه من الوقوع فى المهاوى والمنحدرات، أو من الغرق فى المياه وتحفظه من أى ضرر آخر. فالإنسان الذى هو نشط هكذا وحذر، يسير بكل حرص، إذ يلف عباءته على جسمه لتلتصق به، وكل هذا تحت قيادة عينه، فيحفظ نفسه من الأذى ويحفظ عباءته التى يلبسها من الاحتراق والتمزق. ولكن إذا كان المسافر فى مثل هذه الأمكنة كسولاً متوانيًا ومتفائلاً وثقيلاً غير مبالٍ، فإن ثوبه يتهدل حوله من هنا ومن هناك، فيتمزق بواسطة الأدغال والأشواك أو يحترق بالنار لأنه لم يلفه بحزم حول جسمه ليحفظه، أو ربما يتقطع الثوب إلى قطع بواسطة السيوف المنصوبة فى الطريق، أو يتلوث بالوحل ــ وبطريقة أو بأخرى فإنه بسرعة يتلف ثوبه الجميل الجديد، وذلك لقلة حرصه وإهماله وتكاسله، وإذا لم ينتبه الانتباه الجيد المناسب لما تخبره به عينه، فإنه هو نفسه يسقط فى حفرة أو ربما يغرق فى المياه.

٣ ــ وبنفس الطريقة، فإن النفس التى تلبس رداء الجسد الحسن ككساء لها، تملك ملكة وقوة التمييز لتوجيه وقيادة النفس كلها مع الجسد، بينما هى تعبر وسط أدغال وأشواك الحياة، والوحل والنار والمهاوى التى هى الشهوات واللذات وغيرها من أشياء هذا العالم الخاطئة، ينبغى لها أن تتحزم وتصون نفسها ولباسها الذى هو الجسد بحرص وتحفّظ من كل ناحية، وبحزم وغيرة وعناية، وتحفظ نفسها من أن تتمزق بأدغال وأشواك

العالم ـ أى الهموم والانشغالات والمعوقات الأرضية ومن أن تحترق بنار الشهوة. وإذ هى لابسة هكذا، فإنها تحول نظرها عن رؤية المناظر الشريرة وتحول إذنها عن الإنصات للمذمة، ولسانها عن التكلم بالكلام الباطل، ويديها وقدميها عن المسالك الشريرة. فالنفس لها إرادة، يمكن أن تحول بها وتحجز أعضاء الجسم عن المناظر القبيحة، وعن الأصوات الشريرة المخزية وعن الكلام البذىء وعن المساعى العالمية الشريرة.

٤ ـ وهى تحول نفسها أيضًا عن الخيالات الشريرة وتحفظ القلب كى لا يدع أعضاء فكره تتجول فى العالم. وهكذا إذ تسعى بجد واجتهاد وبحرص عظيم تضبط أعضاء الجسد من كل جهة عن كل ما هو ردىء **فإنها تحفظ ذلك الثوب الحسن أى الجسد، غير ممزق، غير محترق، غير ملوث، وهى نفسها تُحفظ بواسطة إرادة مبصرة عارفة ومميزة، وكل هذا يتم بقوة الرب، فبينما هى تجمع نفسها بكل قوتها وتتحول عن كل الشهوات العالمية فإنها تنال المعونة من الرب لتُحفظ حقيقةً من الكوارث التى تكلمنا عنها.** لأنه حينما ينظر الرب أى إنسان يعطى ظهره بشجاعة للذات ولمعوقات الحياة الأرضية، والاهتمامات المادية والعلاقات الأرضية، ولخيالات الأفكار الباطلة، فإنه يعطيه معونة نعمته الخاصة ويحفظ تلك النفس بلا سقوط، بينما هى تعبر بسمو ونبل خلال هذا "*العالم الحاضر الشرير*" (غل١: ٤) وهكذا تربح النفس المديح السماوى من الله والملائكة لأنها حفظت ثوب جسدها وذاتها أيضًا حسناً، معرضة بكل ما تملك من قوة عن كل شهوات العالم، وبمعونة الله نجحت بسمو فى شوط سباق هذا العالم.

٥ ــ ولكن إن كان الإنسان يسير في طريقه فى هذه الحياة بتراخى وإهمال، وبدون حرص، **ولا يتحول عن كل شهوة العالم، ولا يطلب الرب ــ والرب وحده ــ بكل شوقه، فإن أشواك وأدغال العالم تنغرس فيه وثوب الجسد يحترق هنا وهناك بنار الشهوة، ويتلوث بوحل اللذات، وبذلك فإن النفس تُحرم من الدالة (الثقة) فى يوم الدينونة (١يو٤:١٧)** ، إذ أنها لم تنجح فى حفظ ثوبها بلا عيب، بل أفسدته بأمور هذا العالم الخادعة، ولهذا السبب فإنها تُطرح خارج الملكوت. فما الذى يستطيع أن يفعله الله مع الإنسان الذى يسلم نفسه بإرادته واختياره للعالم وينخدع بلذاته وينجذب بالمتاهات المادية؟ فالله يعطى المعونة للإنسان الذى يتحول عن اللذات المادية وعن سيرته السابقة التى تُعوّد عليها **ويوجه عقله باجتهاد كل حين نحو الرب، وينكر نفسه ويطلب الرب وحده.** هذا هو الإنسان الذى يعتنى به الرب ويحفظه تحت عنايته الخاصة ويحرس نفسه من كل جهة، من فخاخ وشباك هذا العالم المادى، **إنه هو ذلك الإنسان الذى تمم خلاصه بخوف ورعدة (فى٢:١٢)، إنه هو الذى يسير بكل حرص وسط فخاخ وشباك وشهوات هذا العالم، ويطلب نعمة الرب وعونه، ويترجى برحمته أن يخلص بالنعمة.**

مَثل العذارى :

٦ ــ أنظر وفكر فى الخمس عذارى الحكيمات اللواتى كن ساهرات مستيقظات وقد أخذن فى أوعية قلوبهم ذلك الذى لم يكن من طبيعتهن الخاصة ــ وهو الزيت، **الذى يعنى نعمة الروح من فوق، أولئك تمكنَّ من الدخول مع العريس إلى العرس السماوى،** ولكن الأُخر الخمس الجاهلات اللواتى اكتفين بطبيعتهن الخاصة فلم يتيقظن ولم يشغلن أنفسهن بنوال

" *زيت البهجة* " (مز ٤٥:٧) فى آنيتهن أثناء وجودهن فى الجسد، بل غرقن كما فى نوم الإهمال والتغافل والكسل والجهل، أو لادعائهن البر، ولذلك أُغلق أمامهن عرس الملكوت إذ لم يتمكنّ من إرضاء العريس السماوى. فإذا قد رُبطن برباط العالم وبمحبة أرضية، لم يوجهن كل حبهنّ ولم يقدمنّ عواطفهنّ الحارة للعريس السماوى، فلم يُزودن بالزيت. **فالنفوس التى تطلب تقديس الروح الذى هو من خارج طبيعتها تعلق حبها كله بالرب وتسير فيه، وفى الرب تصلى، وبه تنشغل أفكارها، تاركين كل ما هو سواه، ولهذا السبب يُحسبون أهلاً لنوال زيت النعمة السماوية، وينجحون فى عبور هذه الحياة بلا سقوط مقدمين إرضاءً وإشباعًا كاملاً للعريس السماوى. وأما النفوس التى تكتفى بما لطبيعتها الخاصة فقط فإنها تهبط بفكرها على الأرض. وتنشغل أفكارها بالأرض، ويكون عقلها كله فى الأرض. وهى تظن فى ذاتها أنها تختص بالعريس وتتزين بفرائض الجسد، ولكنها غير مولودة من الروح القدس من فوق ، ولم تنل زيت البهجة.**

٧ ــ فحواس النفس الخمس العاقلة، إن هى حصلت من فوق على النعمة وتقديس الروح كانت حقًا عذارى حكيمات حاصلات على حكمة النعمة من فوق. ولكن إن بقينّ فى راحة مكتفيات بطبيعتهن فإنهن يكن جاهلات وينكشف أنهن من أبناء العالم. ولم يكن قد خلعن روح العالم، رغم أنه فى ظنهن أنهن عرائس العريس بسبب بعض المظاهر الخاصة والشكل الخارجى. فكما أن النفوس التى تلتصق بكليتها بالرب. تكون فيه بفكرها، تصلى فيه وتسير فيه وتشتاق لمحبة الرب، هكذا من الجهة الأخرى، تلك النفوس المُقيدة والمربوطة بحب العالم، تريد أن تصرف

وجودها على الأرض وتسعى وتفكر فيها وهناك يسكن ويوجد عقلها. ولهذا السبب فإنهم لا يقدرون أن يتحولوا إلى حكمة الروح الصالحة التى هى غريبة عن طبيعتهن ــ أعنى النعمة السماوية ــ **التى يلزم أن تلتحم بطبيعتنا وتمتزج بها، لكى نستطيع الدخول مع الرب إلى عرس الملكوت السماوى ولننال الخلاص الأبدى.**

٨ ــ لأنه بمعصية الإنسان الأول دخل فينا شئ غريب عن طبيعتنا، الذى هو كارثة الفساد والأهواء وقد اتخذ هذا الفساد مكانه كأنه جزء من طبيعتنا بطول العادة والميل، **وهذا الشيء الغريب يجب أن يطرد ثانية بواسطة الضيف الآخر، ضيف طبيعتنا أى موهبة الروح القدس السماوية، لكيما نستعيد النقاوة الأصلية ، وإن لم نحصل الآن على محبة الروح من السماء بالتضرع الكثير، والتوسل، والإيمان، والصلاة، والتحول عن العالم، وإن لم تلتصق طبيعتنا ــ التى كانت قد تلوثت بالسر ــ إن لم تلتصق بالمحبة، التى هى الرب، وتتقدس بمحبة الروح، وإن لم نثبت إلى النهاية غير عاثرين، سالكين بجد وتدقيق فى كل وصاياه، فلا يمكننا الحصول على الملكوت السماوى.**

حنان الله ومحبته الشديدة للإنسان :

٩ ــ وأريد أن أتكلم بعمق ودقة فى هذا الموضوع بأقصى قدراتى ، فاسمعوا لى إذن بانتباه وذكاء : إن الله غير المحدود، الذى لا يُدنى منه ، غير المخلوق، بصلاحه وحنانه الذى يفوق العقل ، قد جسّد نفسه ، وإن جاز القول ــ صَغّر نفسه (**أخلى نفسه) من مجده الذى لا يُدنى منه، ليتمكن من الاتحاد بخلائقه المنظورة، مثل نفوس القديسين ، والملائكة،**

وذلك حتى يستطيعوا هم أن يشتركوا فى حياة اللاهوت، فإن كل واحد من هذه (الخلائق) ، بحسب نوعه، هو جسم، سواء كان ملاكًا أو نفسًا أو شيطانًا . وبرغم لطافة طبيعة كل منهم بحسب نوعها ، فإنهم فى جوهرهم وصفتهم وصورتهم، لا يزالون أجسامًا لطيفة، كما أن جسدنا هذا هو فى جوهره جسم كثيف. وأكثر من ذلك فإن النفس ، التى هى لطيفة جدًا، قد جمعت لنفسها لتنظر بها، والأذن لتسمع بها، واللسان لتتكلم به، واليد، بل وكل الجسد وأعضاءه قد جمعتها النفس واتحدت بها، وعن طريقها تقوم بكل واجبات الحياة.

١٠ـ وبنفس الطريقة، فإن الله غير المحدود ، الذى يفوق الإدراك، فى صلاحه ورحمته، أنقص نفسه (أخلى نفسه) ، ولبس أعضاء هذا الجسد، متخليًا عن المجد الذى لا يُدنى منه، وبرأفته ومحبته للإنسان يصير هو بنفسه جسدًا ، **ويأخذ إليه النفوس المقدسة المرضية الأمينة ، ويختلط معها، بل ويصير معها روحًا واحدًا** كما قال الرسول بولس (١كو٦:١٠) ونفسًا فى نفس، وإن أمكن أن أقول هكذا : وجوهرًا فى جوهر، **حتى أن النفس تستطيع أن تعيش فى اتحاد، وتتذوق الحياة غير المائتة وتصير شريكة فى المجد الذى لا يفسدُ ــ أعنى إذا كانت النفس مؤهلة ومرضية عنده.**

فإن كان الله ، مما لم يكن، قد خلق الخليقة المنظورة، بمثل هذا التنوع والاختلافْ، وقبل أن تُخلق لم يكن لها وجود ــ وهكذا شاء فصنع بسهولة، من العدم ، جواهر كثيفة وجامدة ، مثل الأرض والجبال والأشجار ــ وهاأنت ترى مدى الصلابة التى فى الطبيعة ــ وأيضًا خلق المياه

المتوسطة، وأمر بأن تخرج منها الطيور ــ وصنع أيضًا مخلوقات ذات طبيعة ألطف، كالنار والرياح وأشياء أخرى تصل فى لطفاتها إلى حد عدم إمكان رؤيتها بعين الجسد.

١١ ــ فإن كانت المهارة غير المحدودة التى لا يعبر عنها ــ مهارة " *حكمة الله المتنوعة* " (أف٣:١٠) تستطيع أن تخلق من العدم أجسامًا كثيفة وأخرى لطيفة وأخرى ألطف جدًا ، كلٍ بحسب نوع جوهره، وذلك بحسب مشيئته، فهل لا يستطيع بالأحرى جدًا ، ذلك الذى يفعل كما يشاء وما يشاء، وبرحمته التى لا توصف وصلاحه **الذى يفوق العقل، أن يغير** وينقص نفسه ويصبح مشابهًا لنا **مجسمًا نفسه بحسب سعة النفوس المقدسة المستحقة الأمينة ، حتى أنه وهو غير المنظور ، يمكن أن ينظروه، وغير الملموس يحسوه على حسب لطافة طبيعة النفس ــ ولكيما يشعروا بحلاوته ويختبروه اختبارًا حقيقيًا إذ يتمتعون بجمال وبهاء نوره الذى يفوق الوصف؟ وحينما يريد يصير نارًا محرقة لكل هوى خبيث دخل إلى النفس، "** ***لأن إلهنا نار آكلة*** **"(عب١٢:٢٩). وحينما يريد يصير راحة لا يُنطق بها ولا يُعبر عنها، لكى تستريح النفس فى راحة اللاهوت الخاصة. وحينما يريد يصير فرحًا وسلامًا للنفس، ومدللاً ومعانقًا لها.**

١٢ ــ وبالحقيقة ، إذا سُرّ الله أن يتشبه بإحدى خلائقه ــ لأجل بهجة وفرح خلائقه العاقلة ــ مثلاً كأورشليم مدينة النور، أو صهيون[1] الجبل

---

[1] يبدو أن القديس مقاريوس يقصد أن (أورشليم) و(صهيون) ، فى مثل هذه الحالات هى تعبير عن الله نفسه، فالله يجعل نفسه مسكن النفس وحصنها .

السماوى، فإنه يستطيع أن يفعل كل ما يريد ، بحسب المكتوب " *قد أتيتم إلى جبل صهيون، إلى مدينة الله الحى أورشليم السماوية* " (عب١٢:٢٢) ، فكل الأشياء سهلة ويسيرة عنده، وقد يتشكل بأى شكل يختاره لأجل منفعة النفوس الأمينة التى تستحقه. **فليسعَ الإنسان فقط ، أن يكون صديقًا له ومرضيًا إياه، فيرى فى اختبار وشعور حقيقى ، الخيرات السماوية، ومباهج اللاهوت التى لا يُعبر عنها وغناه غير المحدود، "** ***الذى لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر*** **" (١كو٢:٩)، أعنى روح الرب، الذى يجعل نفسه راحة وفرحًا وبهجة وحياة أبدية للنفوس المستحقة.** لأن الرب يجسم نفسه حتى فى الطعام والشراب كما هو مكتوب فى الإنجيل " *من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد* " (يو٦:٥٨) ، لكى يعطى النفس راحة لا يُنطق بها ، ويملأها بهجة روحانية ، لأنه هو يقول " *أنا هو خبز الحياة* " (يو٦:٢٥). وهو يجسم نفسه فى شراب الينبوع السماوى، كما يقول " *كل من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية* " (يو٤:١٤)، وأيضًا يقول الرسول " *وجميعنا سُقينا شرابًا واحدًا* " (١كو١٢:١٣مع ١كو١٠:٤).

ظهورات الله المتنوعة للنفوس :

١٣ ــ وقد ظهر لكل واحد من الآباء القديسين بالطريقة التى أرادها واستحسنها لهم ــ فظهر لإبراهيم بطريقة ولإسحق بأخرى وليعقوب بطريقة غيرها، وبغيرها لنوح، ولدانيال، ولداود، ولسليمان ، ولإشعياء ، ولكل واحد من الأنبياء القديسين، وبطريقة لإيليا ، وبأخرى لموسى. وفى اعتقادى أن موسى فى كل ساعة على الجبل طوال صوم الأربعين يومًا ، كان يقترب إلى تلك المائدة الروحانية ويتلذذ بها متمتعًا ببهجتها. وظهر

لكل واحد من القديسين ، بحسب ما شاء هو ، ليعطيهم راحة وخلاصًا وليقودهم إلى معرفة الله . وأى شئ يشاءه هو سهل عنده . فكما يريد ، فهو ينقص نفسه ببعض التجسيم، ويصيّر نفسه قابلاً لأن تنظره عيون أولئك الذين يحبونه، مظهرًا نفسه ، لأولئك الذين يستحقون ، فى مجد نور لا يُدنى منه، وذلك بحسب محبته العظيمة والتى لا يُنطق بها، وبواسطة قوته الخاصة. والنفس التى حُسبت أهلاً ، باشتياق شديد وانتظار لله ، وإيمان ومحبة، لأن تنال تلك القوة من الأعالى، أى محبة الروح السماوية، وقد نالت النار السماوية، نار الحياة غير المائتة، فإنها تنفك حقًا من كحل محبة عالمية وتنطلق حرة من كل رباط الشر.

تغيير النفس بنار المحبة الإلهية :

١٤ ــ فكما أن الحديد، والرصاص والذهب، أو الفضة، حينما تُلقى فى النار تنصهر وتتغير من صلابتها الطبيعية إلى قوام لين، وطوال إقامتها فى النار تستمر منصهرة ومتغيرة عن تلك الطبيعة الصلبة، بواسطة شدة حرارة النار، كذلك النفس التى أنكرت العالم وثبتّت شوقها نحو الرب وحده، بتفتيش كثير وآلام وصراع النفس، وتداوم على انتظار الرب انتظارًا غير منقطع بالرجاء والإيمان، والتى قد نالت تلك النار السماوية ، نار اللاهوت ونار محبة الروح، فهذه نفس تنفك حينئذ بالحقيقة من كل محبة العالم وتنطلق حرة من كل فساد الأهواء وتطرح كل شئ من نفسها وتتغير من عادتها الطبيعية وصلابة الخطية، وتعتبر كل الأشياء بلا قيمة بالمقارنة مع العريس السماوى الذى قبلته، مستريحة فى حبه الشديد الذى يفوق الوصف.

١٥ ــ وأقول لكم بالحقيقة إنه حتى الاخوة المحبوبين جدًا الذين تبصرهم هذه النفس بعينها ، إذا أعاقوها عن تلك المحبة فإنها تتحول عنهم. لأن حياة النفس وراحتها هى فى تلك العشرة الخفية الفائقة الوصف مع الملك السماوى. لأنه إن كانت شركة المحبة الأرضية تتسبب فى مفارقة الإنسان لأبيه وأمه واخوته بل وكل الأشياء تبتدئ تصير فى نظر الزوجين خارجة عنهما، ورغم أنهما يظلان يحبونهم فإنهما يحبونهم محبة أكثر سطحية ، بينما يكون انشغال الإنسان كله موجهًا نحو علاقته بعروسه ــ لذلك يقول الكتاب " *من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدًا واحدًا* " (تك٢:٢٤). فأقول إن كانت المحبة الجسدية تجعل الإنسان ينفك من كل محبة أخرى **فكم بالأحرى جدًا أولئك الذين حُسبوا أهلاً للدخول حقًا فى شركة الروح ، ذلك الروح السماوى المحبوب، ينفكون من كل محبة عالمية ويصبح كل شئ آخر عديم القيمة بالنسبة لهم لأنهم غُمروا بشهوة سماوية وصاروا بكليتهم فى ألفة وانسجام معها.**

١٦ ــ حسنًا يا اخوتى الأحباء ، فحينما توضع مثل هذه الخيرات أمامنا وقد وعدنا الرب بمثل هذه المواعيد العظيمة، فلنطرح عنا كل العوائق ونهجر كل محبة العالم، ونعطى أنفسنا لذلك الصالح الوحيد بسعى واشتياق، لكى نصل إلى ذلك الحب الذى لا يُنطق به، أى محبة الروح التى أوصانا بخصوصها القديس بولس حاثًا إيانا أن نجّد فى طلبها قائلاً : " *اتبعوا المحبة* " (١كو١٤:١) **لكيما نتغير من قساوتنا بواسطة يمين العلى، ونأتى إلى الحلاوة والراحة الروحانية، بعد أن ننجرح بالمحبة العتيقة ، محبة الروح الإلهى.**

إن الرب محب جدًا للإنسان وبرحمته يبقى فى انتظار أن نتحول تحولاً كاملاً إليه ونتحرر من كل الأشياء المضادة. وبالرغم من أننا فى جهلنا العظيم، وحماقتنا وميلنا إلى الشر، نبتعد عن الحياة ونضع عوائق كثيرة فى طريقنا ، غير راغبين أن نتوب حقيقة، لكنه هو **مع ذلك مملوء بالحب والشفقة علينا، ويطيل أناته إلى أن نتوب ونأتى إليه، ونستنير فى إنساننا الباطن** لكى لا تخزى وجوهنا فى يوم الدينونة .

محبة الله الشديدة لنا ومواعيده العظيمة :

١٧ ــ فإن كان الأمر يبدو لنا صعبًا بسبب مشقة ممارسة الفضيلة، ويبدو أكثر صعوبة بسبب مشورات العدو الغادرة، فانظروا أحشاء رحمته وطول أناته من نحونا وهو منتظر رجوعنا ، وحينما نخطئ فهو يمد يده، فى انتظار توبتنا . حينما نسقط، لا يستحى أو يخجل من قبولنا واحتضاننا ثانية، كما يقول النبى " *هل يسقطون ولا يقومون أو يرتد أحد ولا يرجع* " (إر٨:٤). فلنكن فقط صاحين متيقظين ، ولنا نية صالحة أكيدة ، ولنتحول حالاً باستقامة ونطلب منه المعونة وهو مستعد أن يخلصنا. وهو يتطلع وينظر إلى إرادتنا ورغبتنا فى الرجوع إليه برغبة حارة بأقصى طاقة عندنا، ويتطلع إلى الإيمان والغيرة النابعة من القصد الصالح، أما نجاح المسعى كله فهذا هو عمله الخاص. لذلك فلنسع ، أيها الأحباء أولاد الله ، تاركين جانبًا كل انشغال ، وإهمال وتكاسل، ونتشجع ونكون مستعدين لاتباعه . ولا نتأخر من يوم إلى يوم ، غير ملاحظين إلى أى مدى تجرحنا الخطية. إننا لا نعرف متى يأتى وقت انتقالنا من الجسد .**إن المواعيد المعطاة والمقدمة للمسيحيين هى مواعيد عظيمة ولا يُنطق بها، عظيمة جدًا حتى أن كل مجد وبهاء السماء والأرض وكل زينة أخرى بكل نوع**

وكل كنوز وجمال الأشياء المنظورة لا تساوى شيئًا بالمرة بالنسبة للإيمان والكنز الذى لنفسٍ واحدةٍ .

محبته وطول أناته وانتظاره لحظة توبتنا ورجوعنا :

١٨ ــ فكيف نستطيع إذن أن نرفض بقلوبنا قبول مثل هذه الدعوات والمواعيد من الرب ونأبى المجيء إليه وتخصيص نفوسنا له ، منكرين كل شئ " حتى *نفوسنا أيضًا* " (لو ١٤:٢٦) كما يقول الإنجيل ، وأن نحبه وحده وليس شئ آخر معه ، ولكن بالرغم من كل هذه الأشياء ، والمجد العظيم الذى قد أُعطىّ ، وبالرغم من كل تدبيرات الرب منذ أزمنة البطاركة والأنبياء ــ كم من مواعيد عظيمة قد أُعطيت ، وما أكثر النصائح التى قُدمت ، وما أعظم الشفقة التى أظهرها لنا السيد منذ البداية ! وأخيرًا ، فى مجيئه الخاص بيننا هنا ، برهن على محبته التى لا يُعبر عنها من نحونا، بصلبه من أجلنا، ليحولنا وينقلنا إلى الحياة ــ وأما نحن فلا نزال غير راغبين فى ترك مشيئتنا وترك محبة العالم وترك ميولنا وعاداتنا الرديئة. وبهذا نبرهن على أننا قليلى الإيمان، أو عديمى الإيمان ، وبالرغم من هذا كله فإنه **لا يزال محبًا رحيمًا حافظًا إيانا فى الخفاء ومحتضنًا لنا ، ولا يسلمنا بحسب آثامنا ــ إلى سلطان الخطية إلى الأبد، ولا يدعنا نهلك بغرور العالم، بل فى رحمته العظيمة وطول أناته يجعل نظره مثبتًا علينا فى انتظار اللحظة التى نرجع فيها ونتحول إليه.**

١٩ ــ أخاف أنه فى يوم من الأيام بينما نحن متعلقون بأفكارنا المخزية وسائرون وراء أهوائنا، تصدق فينا كلمات الرسول " *أم تستهين بغنى*

لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة " (رو٢:٤)؟

خطورة الاستهانة بلطفه وطول أناته :

ولكن إن كنا نقابل طول الأناة هذا واللطف والإمهال بعدم الرجوع بل بزيادة الخطايا ، وبإهمالنا واحتقارنا نشترى لأنفسنا دينونة أعظم فيتحقق حينئذ بقية قول الرسول " *ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضبًا فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة* " (رو٢:٥). إن الله قد استعمل صلاحًا عظيمًا يفوق الوصف فى علاقته مع جنس البشر بل **وطول أناة يفوق التعبير، ويبقى فقط أن نكون راغبين فى استعادة ورجوع أنفسنا، ونسعى أن نتحول إليه تمامًا ، لكيما نجد الخلاص .**

أمثلة من معاملات الله فى الكتاب المقدس :

٢٠ ــ وإن أردت أن تعرف طول أناة الله ولطفه العظيم فلنتعلمها من الكتب الموحى بها . **أنظر** إلى إسرائيل، الذى منه جاء الآباء ، الذين لهم أُعطيت المواعيد، ومنهم جاء المسيح حسب الجسد والذين بهم اختصت خدمات " *العبادة والعهد* " (رو٩:٤،٥) ، كيف أخطأوا خطيئة عظيمة، وكم من مرة حادوا عن الطريق ، ومع ذلك فلم يطرحهم إلى الأبد بل من وقت إلى وقت كان يسلمهم للتأديبات إلى حين لأجل منفعتهم مريدًا أن يليّن قساوة قلوبهم بالضيقات والأحزان، وكان يعود إليهم ويشجعهم ، ويرسل لهم الأنبياء. وكم من مرة أخطأوا وأغاظوه ، ولكنه كان يطيل أناته عليهم وحينما يرجعون إليه يقبلهم بفرح، وحينما يرتدون ثانية عن طريقة لم يتخلَ عنهم ، بل كان يدعوهم من جديد بواسطة الأنبياء أن يرجعوا إليه ، وكم

من المرات الكثيرة تحولوا عنه ثم رجعوا فكان يحتملهم بلطف ويقبلهم إليه برأفة، إلى أن سقطوا فى النهاية فى التعدى الذى فاق الكل وذلك حينما ألقوا أيديهم على سيدهم الذى تعلموا بواسطة تقاليد الآباء والأنبياء القديسين أن ينتظروه كمنقذ لهم ومخلص وملك ونبى. وحينما جاء لم يقبلوه بل بالعكس بعد أن قدموا له الإهانة تلو الإهانة عاقبوه أخيرًا بالموت صلبًا على الصليب، وبهذا الإثم العظيم والتعدى الذى فاق كل التعديات تزايدت خطاياهم أكثر من الحد وامتلئت كأسهم. ولذلك تُركوا إلى النهاية، وهجرهم الروح القدس منذ أن انشق حجاب الهيكل. ولذلك أعطى هيكلهم للأمم وهُدم، وصار خرابًا حسب إنذار الرب " *إنه لا يُترك هنا* حجر *على* حجر *لا يُنقض* " (مت٢٤:٢). هكذا سُلموا أخيرًا للأمم وتشتتوا فى الأرض كلها بواسطة الملوك الذين أسروهم ومُنعوا من الرجوع إلى أماكنهم الأصلية .

٢١ــ وهذا هو نفس ما يعمله الله مع كل واحد منا حتى الآن، فإنه كملك وإله صالح يطيل أناته علينا وهو يرى كم يخطئ كل واحد منا ، فيمسك يده ويسكت وينتظر أن يعود الإنسان إلى نفسه ويرجع عن الخطية تائبًا فيرحب بالخاطئ الراجع بمحبة عظيمة وفرح كثير. فهذا هو ما يقوله " *يكون فرح بخاطئ واحد* يتوب " (لو١٥:١٠). وأيضًا يقول " *هكذا ليست* مشيئة *أمام أبيكم الذى فى السموات أن يهلك* أحد *هؤلاء الصغار* " (مت ١٨:٤). ولكن إن كان أحد ، تحت هذه الرحمة العظيمة وطول أناة الله الذى لا يسرع بالانتقام من كل خطيئة خفية أو ظاهرة بمجرد ارتكابها، بل ينظر ويسكت منتظرًا توبة الخاطئ ، **أقول إن كان الإنسان يزدرى هكذا بالرحمة ويضيف خطيئة على خطيئة ويجمع كسلاً على كسلٍ ويكوّم إثمًا**

فوق إثمٍ، فإنه يملأ مكيال خطاياه، ويأتى فى النهاية إلى إثم عظيم جدًا لا يمكنه القيام منه أبدًا ، بل يتهشم تهشمًا ويُسلم للشرير للهلاك الأبدى.

٢٢ــ **وهذا هو الذى حدث مع سدوم** . فإنهم مرات كثيرة أخطأوا وبدون رجوع استمروا يخطئون حتى وصلوا إلى قصدهم الشرير نحو الملائكة طالبين أن يرتكبوا الإثم معهم على أنهم رجال، حتى أنهم لم يستطيعوا أن يتوبوا بعد ذلك بل رفضوا نهائيًا ، لأنهم ملأوا مكيال خطاياهم بل تعدوه ولذا أُحرقوا بنار النقمة الإلهية. **وهكذا حدث أيضًا فى أيام نوح** ، فإنهم كانوا يخطئون ولا يتوبون ووصلت كثرة خطاياهم لدرجة أن الأرض كلها فسدت تمامًا وهلكت. **وهكذا حدث مع المصريين** أنهم أخطأوا كثيرًا وتعدوا على شعب الله، وكان الله لطيفًا ولم يرسل عليهم ضربات كالأوبئة لكى تفنيهم كلية، بل لأجل تأديبهم ورجوعهم وتوبتهم أرسل عليهم جلدات أسواطه الصغيرة صابرًا عليهم ومنتظرًا توبتهم. ولكنهم كانوا يخطئون ضد شعب الله ثم يندمون ، ولكنهم يعودون مرة أخرى ويثبتون فى عدم الإيمان القديم، الناتج عن قصد شرير، ويضيّقون على شعب الله من جديد، وأخيرًا حين أخرج الله الشعب من مصر بعجائب كثيرة بواسطة موسى فإنهم (المصريون) ارتكبوا الإثم العظيم بسعيهم وراء شعب الله، الذى بسببه أهلكتهم النقمة الإلهية وأفنتهم ، واكتسحتهم فى المياه إذ حسبتهم غير مستحقين حتى لهذه الحياة المنظورة.

٢٣ ــ وبنفس الطريقة كما قلنا سابقًا فإن إسرائيلَ كثيرًا ما ارتكبوا آثامًا وخطايا، وقتلوا أنبياء الله وفعلوا أشياء أخرى شريرة كثيرة. وبينما كان الله محتملاً وساكنًا، منتظرًا بصبر توبتهم ، انتهوا بارتكاب إثم عظيم

بسببه سحقوا حتى أنهم لم يستطيعوا أن يقوموا ثانية. ولهذا السبب تخلى عنهم الرب تمامًا ورفضهم ونُزعت منهم النبوة والكهنوت والعبادة وأُعطيت للأمم الذين آمنوا كما قال الرب : " *إن ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأمة تعطى أثماره* " (مت٢١:٤٣) فقد ظل الله إلى ذلك الحين مطيلاً أناته عليهم محتملاً إياهم ولم يتخلى عنهم وذلك بكثرة شفقته عليهم، ولكن حينما ملأوا مكيال آثامهم وزادوا عن حدودها جدًا ، وبإلقاء أيديهم على سيدهم الكريم صاروا مهجورين تمامًا من الله .

لنرجع ونتوب بسرعة ولا نيأس من الخلاص :

٢٤ ـ أيها الأحباء لقد تناولنا هذه الأمور بنوع من التفصيل مبرهنين من أفكار الكتب المقدسة أنه **يجب علينا أن نرجع ونتحول بسرعة، ونبادر إلى الرب** ، الذى بسبب لطفه يتأنى علينا متوقعًا أن ننفك تمامًا من كل شر وميل خبيث، وهو الذى يرحب بفرح عظيم بتوبتنا ولا يريد أن يزداد احتقارنا من يوم إلى يوم ولا أن تتجمع خطايانا وتزداد علينا فتسبب غضب الله علينا. **فلنسعَ إذن بحماس وغيرة أن نأتى إليه بقلب تائب حقًا، غير يائسين من الخلاص لأن اليأس هو نفسه خطيئة وإثم وذلك حينما يتملك علينا تذكر الخطايا السالفة فيقود الإنسان إلى اليأس وقطع الرجاء وإلى التراخى والإهمال والكسل، لكى لا يعود ويرجع إلى الرب لينال الخلاص؛ حيث أن إحسان الرب العظيم ولطفه هو ممتد لكل جنس البشر.**

هو الذى يغيّر ويحول ويجدد النفس :

٢٥ــ وإن كان يظهر لنا أن الرجوع من الخطايا الكثيرة أمر عسير ومستحيل وذلك بسبب أننا صرنا مستعبدين لها ــ فإن هذا الفكر ــ كما

قلت هو خدعة من الشرير وتعويقًا لحصولنا على الخلاص ـ فلنتذكر ونعتبر كيف أن ربنا حينما جاء بصلاحه بيننا على الأرض ، أعطى البصر للعميان وشفى المشلولين، وشفى كل أنواع المرض وأقام الأموات بعد أن فسدت واضمحلت أجسادهم، وجعل الصم يسمعون وأخرج جيشًا من الشياطين من إنسان واحد وأعاده إلى عقله بعد أن كان فى غاية الجنون. **فكيف لا يغير ولا يحوّل ـ بالأحرى جدًا ، النفس التى ترجع إليه طالبة رحمته وهى محتاجة إلى حمايته، ويحضرها إلى حالة سعيدة، حالة التحرر من الشهوات وحالة الثبات المستمر فى كل فضيلة وتجدد الذهن، ويغيرها إلى الصحة والإبصار العقلى ، وأفكار السلام، بدلاً من العمى والصمم وموات عدم الإيمان والجهالة وعدم المبالاة ، ويأتى بها إلى اتزان الفضيلة ونقاوة القلب.** فالذى خلق الجسد هو الذى خلق النفس أيضًا، وكما أنه فى سعيه على الأرض حينما كان يجيء الناس إليه طالبين منه المعونة والشفاء فإنه بلطف كان يمنحهم ولا يضن عليهم بحسب ما تكون احتياجاتهم كمثل طبيب صالح، بل الطبيب الحقيقى الوحيد، فهكذا يكون الأمر فى الاحتياجات الروحية.

٢٦ ـ فإن كان قد تحرك بمثل هذه الشفقة على الأجساد التى تضمحل وتموت ، وبلطف شديد أعطى لكل واحد حاجته التى كان يطلبها، فكم بالأحرى جدًا يصنع للنفس غير المائتة التى لا تفسد ولا تضمحل، وهى تئن تحت وطأة مرض الجهل والشر وعدم الإيمان واللامبالاة وكل أمراض الخطيئة الأخرى. **فحينما تأتى إلى الرب وتلتمس معونته وتثبت أنظارها على رحمته، وترغب أن تنال منه نعمة الروح لأجل إنقاذها وخلاصها وتحررها من كل شر ومن كل شهوة، أفلا يمنحها بأكثر استعداد خلاصه**

الشافى ، بحسب كلمته هو " *أفلا ينصف الآب السماوى مختاريه الصارخين إليه نهارًا وليلاً* " ؟ (لو١٨:٧) ويضيف قائلاً " *نعم أقول لكم إنه ينصفهم سريعًا* " (لو١٨:٨).

وفى موضع آخر يحثنا " *اسألوا تعطوا لأن كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد ومن يقرع يُفتح له* " (لو١١:٩،١٠) ، ويختم هذا الحديث بقوله " *كم بالحرى أبوكم السماوى يعطى الروح القدس للذين يسألونه ... الحق أقول لكم وإن كان لا يقوم ويعطيه لكونه صديقه فإنه من أجل لجاجته يقوم ويعطيه قدر ما يحتاج* " (لو١١:٨ـ١٣).

التماس عطية النعمة بلجاجة :

٢٧ـ **فباللجاجة إذن، وبدون انقطاع، وبلا كلل يستحثنا فى كل هذه الكلمات أن نلتمس منه عطية النعمة. فإنه جاء إلى العالم لأجل الخطاة ، لكى يحولهم ويرجعهم إلى نفسه ويشفى ويخلص الذين يؤمنون به**، لذلك فلنتجنب الوساوس الشريرة ، على قدر طاقتنا ، ونبغض المقاصد الرديئة وخداع العالم، **ونعطى ظهورنا للأفكار الشريرة الباطلة ، ونلتصق بالرب بأقصى طاقتنا، وهو على استعداد أن يسرع بإعطائنا معونته . فمن أجل هذه الغاية هو رحيم ومحيى وشافى للأمراض التى لا شفاء لها**. وهو يصنع الخلاص لأولئك الذين يدعونه ويرجعون إليه ، مبتعدين بأقصى طاقتهم ـ بالإرادة والقصد ـ من كل تعلق عالمى ، ويبعدون عقولهم بعيدًا عن الأرض ويثبتونها فيه بتوسل واشتياق. **فعلى مثل هذه النفس يسبغ الله نعمته، تلك النفس التى تحسب كل شئ آخر بلا أهمية أو ضرورة، ولا تستريح على شئ فى العالم، بل تتطلع لتجد الراحة والفرح فى حضن**

لطفه ومحبته، وهكذا بعد أن تنال الموهبة السماوية بمثل هذا الإيمان، تحصل على إشباع رغبتها بيقين تام بواسطة النعمة . ومنذ ذلك الحين فصاعدًا تخدم الروح القدس باتفاق ولياقة ، وتتقدم نامية كل يوم فى كل مكان فى كل ما هو صالح وتثبت فى طريق البر، وإذ تلبث غير متزعزعة أو مساومة مع الشر ، ولا تحزن النعمة فى شئ ، فإنها تمنح الخلاص الأبدى مع كل القديسين لأنها قد عاشت فى العالم كشريكة ورفيقة لهم متمثلة بهم آمين .

العظة الخامسة :

الخليقة الجديدة
وبيت الروح الأبدى

"الخليقة الجديدة التى للمسيحيين والفرق العظيم بينها وبين أهل هذا العالم . فأولئك الذين لهم العالم، هم مربوطون بقلوبهم وعقولهم بالرباطات الأرضية .. أما الذين لهم روح المسيح، فإنهم يشتاقون لمحبة الآب السماوى ، واضعينه أمام عيونهم بمحبة كثيرة " ..

١ ــ إن عالم المسيحيين من جهة طريقة حياتهم ، وعقلهم ، وكلامهم وعملهم **هو شئ مختلف تمامًا** عن طريقة حياة أهل هذا العالم وعقلهم وكلامهم وعملهم . فأولئك شئ وهؤلاء شئ آخر والفرق بين هؤلاء وأولئك فرق عظيم .

حالة أهل هذا العالم :

فسكان الأرض أى أبناء هذا الدهر ، هم مثل القمح الذى يُلقى فى غربال هذه الأرض ، فيغربلون بالأفكار القلقة التى لهذا العالم، وتتقاذفهم ــ بلا انقطاع ــ أمواج الأمور الأرضية والشهوات والتصورات المادية المتشابكة، بينما يحرك الشيطان نفوسهم ، إذ أنه يغربل فى هذا الغربال ــ أى غربال الهموم الأرضية ــ كل الجنس البشرى الخاطِئ ، وذلك منذ سقط آدم بتعدى الوصية وصار تحت سلطان رئيس الشر .

ومنذ ذلك الوقت الذى حصل فيه الشيطان على هذا السلطان إلى الآن ، فإنه لا يفعل شيئًا سوى أن يغربل أبناء هذا الدهر بأفكار الخداع والتهييج ويقذف بهم بعنف على غربال هذه الأرض.

٢ ـ فكما أن القمح فى الغربال يقلبه المغربل ويرتج دائمًا من جهة إلى أخرى متحركًا ومتصادمًا فى داخل الغربال ، كذلك فإن رئيس الشر يمسك كل الناس بواسطة الأمور الأرضية، وعن طريقها يرجهم ويقلبهم ويهيجهم، ويضربهم بأفكار التخيلات الباطلة والرغبات الدنيئة ، ورباطات العالم الأرضية، وهو يقوم دائمًا بأسر كل جنس آدم الخاطئ عن طريق إثارتهم وإغرائهم، كما سبق الرب وحذر الرسل كيف أن الشرير سيقوم ضدهم: "*هو ذا الشيطان قد طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة ولكنى طلبت من أجلكم لكى لا يفنى إيمانكم*" (لو٢٢: ٣١، ٣٢) . فالكلمة التى قيلت لقايين من خالقه، وذلك القصاص الذى نطق به الله له "*تائهًا وهاربًا تكون فى الأرض* " ، بالإضافة معناه الظاهر فهو **نموذج ومثال لما يحدث لكل الخطاة فى السر فى باطنهم** (أى أنين وارتعاد واضطراب). فإن جنس آدم بعد أن سقط من الوصية ودخل فى الحالة الخاطئة ، أصبحت له تلك الصورة فى الإنسان الخفى، **فتتقاذفه أفكار متقلبة من الخوف والرعب وكل أنواع الاضطراب إذ أن رئيس هذا العالم يقلب كل نفس على أمواج من كل نوع وصنف من أنواع اللذة والشهوة ، إلاّ إذا كانت مولودة من الله**، وكما أن القمح يتحرك بلا انقطاع فى الغربال ، هكذا فإن الشرير يحرك أفكار الناس ويقلبهم فى اتجاهات مختلفة ويرجهم ويغويهم جميعًا بواسطة الشهوات العالمية ولذات الجسد والمخاوف والاضطرابات.

٣ ــ لقد أظهر الرب أن أولئك الذين يتبعون خداعات ورغبات الشرير، ممن يحملون صورة شر قايين، وذلك حين وبخهم وقال " *وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. وذاك كان قتالاً للناس منذ البدء ولم يثبت فى الحق* " (يو٨:٤٤) ، حتى إن كان جنس آدم الخاطئ قد حصلوا على هذا الحكم فى باطنهم ، **وهو الأنين والرعب والتقليب** في غربال هذه الأرض بيد الشيطان. فكما أنه من آدم انتشر كل جنس البشر على الأرض، هكذا فإن نوع واحد من الأهواء الشريرة سرى وتعمق فى جنس البشر الخاطئ حتى أن رئيس الشر يمكنه أن يغربلهم جميعًا بغربلة التصورات المادية المقلقة. فكما أن ريحًا واحدًا تكفى لتحريك وهز كل النباتات والزروع ، أو كما أن ظلام الليل الواحد يعم على كل الأرض المسكونة، **هكذا فإن رئيس الشر هو نفسه الظلام الروحىَ ــ ظلام الخطية والموت ــ وهو ريح عاصف ، وأن كان خفيًا ، فإنه يهز كل جنس البشر على الأرض ويقودهم بالأفكار القلقة الطائشة ويغوى قلوب الناس بشهوات العالم ، ويملأ كل نفس بظلام الجهل والعمى والنسيان، إلاّ أولئك الذين قد وُلدوا من فوق وانتقلوا بقلوبهم وعقولهم إلى عالم آخر كما هو مكتوب " *إن مدينتنا هى فى السموات* "** (فى٣:٢٠).

الخليقة الجديدة التى تميز المسيحيين الحقيقيين :

٤ ــ فهذا هو ما يشكل الفرق بين المسيحيين الحقيقيين وبين بقية البشر، والفرق بين الاثنين فرق عظيم كما قلنا سابقًا . فقلب المسيحى وعقله وطريقة تفكيره هى دائمًا فى المجال السماوى، **فالمسيحيون الحقيقيون ينظرون الخيرات الأبدية كما فى مرآة ، وذلك بسبب حصولهم على الروح القدس وشركته**، لسبب كونهم مولودين من الله من فوق ولأنهم

نالوا الامتياز أن يصيروا أولاد الله بالحق وبالفعل، إذ يصلون ـــ بعد حروب وأتعاب لفترة طويلة إلى **حالة ثابتة مستقرة من الحرية والتحرر من الاضطراب**، حالة الراحة ، فلا يعودون يُغربلون ويموجون بالأفكار القلقة الباطلة .

بهذا هم أعظم وأفضل من العالم لأن **عقلهم واهتمام نفسهم هو فى سلام المسيح ومحبة الروح** فعن مثل هذا تكلم الرب حينما قال " *إنهم قد انتقلوا من الموت إلى الحياة* " (يو٥:٢٤) فالعلامة المميزة للمسيحيين ليست هى فى الأساليب والأشكال الخارجية فكثيرون يظنون أن الفرق الذى يميزهم عن العالم إنما هو فى الشكل أو الأساليب الظاهرة ، ويا للأسف فإنهم فى عقولهم وتفكيرهم هم مثل العالم إذ أنهم يُقلبون ويهتزون بقلق الأفكار غير الثابتة مثل أهل العالم وهم **مثلهم أيضًا فى عدم الإيمان والحيرة والاختلاط والخوف مثل كل الناس الآخرين. وقد يختلفون عن العالم فى الشكل الخارجى والمظهر، ويختلفون عن العالم أيضًا فى نقطة قليلة من الممارسات الدينية، ولكن فى القلب والعقل هم مربوطون بالرباطات الأرضية إذ لم يحصلوا أبدًا على الراحة فى الله وسلام الروح السماوى فى قلبهم، لأنهم لم يطلبوها من الله ولم يؤمنوا أنه سيمنح لهم هذه الأشياء.**

٥ ـــ فإن ما يميز الخليقة الجديدة التى للمسيحيين عن كل أهل العالم هو: تجديد القلب، وسلام الأفكار، والمحبة **والشهوة السماوية للرب**. وهذا هو الغرض الذى لأجله جاء الرب إلى العالم، أن يهب هذه البركات لأولئك الذين يؤمنون به حقًا . فإن المسيحيين لهم مجد وجمال وغنى سمائى يفوق

الوصف والتعبير، وهذه تُكتسب بالآلام والعرق والتجارب ومحاربات كثيرة ولكن الكل يتحقق بنعمة الله.

فإن كان منظر ملك أرضى يصير موضوع اشتهاء كل الناس ، حتى أن كل من يسكن فى مدينة الملك يرغب فى الحصول على نظرة خاطفة لجماله ، وبهاء ملابسه ومجد أرجوانه ، وجمال لآلئه ، ولمعان تاجه البهى وكرامة حاشيته الجذابة ــ فيما عدا الناس الروحانيين ، فإنهم لا يعتبرون كل هذه الأشياء ، **بسبب حصولهم على اختبار مجد آخر هو مجد سماوى وخارج عن الجسد ولأنهم جُرحوا بجمال آخر لا يُنطق به** ، وصار لهم اهتمام وانشغال بغنى آخر وقد شعروا فى الإنسان الباطن بروح آخر وصاروا شركاء له ــ فإن كان أهل هذا العالم الذين لهم روح العالم يرغبون بشدة أن يلقوا ولو نظرة على الملك الأرضى بكل جماله ومجده ــ بسبب أن نصيبه من الخيرات المنظورة أكبر من غيره من الناس ، وهكذا فإن رؤيته هى امتياز وموضوع اشتهاء للجميع ، وكل إنسان يقول فى نفسه سرًا " ليت أحدً يعطينى ذلك المجد والجمال والعظمة " ، وينسب السعادة لذلك الإنسان ــ أى الملك ، رغم أنه مثله من الأ{رض وله شهوات مثله ومائت أيضًا ، ولكنه موضوع اشتهاء بسبب الجمال والمجد واللذان يتزين بهما لفترة محدودة من الزمن .

٦ ــ وأقول أيضًا إن كان الناس الجسديين يشتهون مجد ملك أرضى ، فكم بالأكثر **أولئك الذين تساقط عليهم ندى روح الحياة أى ندى اللاهوت ، وجرح قلوبهم بحب إلهى للمسيح الملك السماوى ، وارتبطوا بذلك الجمال وبذلك المجد الفائق الوصف والحسن غير المائت، والغنى الذى يفوق**

التصور ، **غنى المسيح الملك الحقيقى الأبدى** ، وبرغبة يشتاقون نحو ذلك الذى أسرهم بحبه واستعبدهم ، وبكل كيانهم يميلون إليه ، **ويشتهون** نوال تلك الخيرات التى تفوق الوصف، التى يرونها بالروح كما فى مرآة ، ومن أجله يعتبرون كل بهاء الملوك والرؤساء على الأرض ومحاسنهم وأمجادهم وكرامتهم وغناهم ، كلها كلا شئ بالمرة، **لأنهم مجروحون بالجمال الإلهى وقد تساقطت قطرات حياة الخلود السماوية على نفوسهم . لذلك فإن شهوتهم موجهة نحو محبة الملك السماوى ، ويضعونه أمام عيونهم بحب عظيم ، ومن أجله يتخلون عن كل محبة عالمية ، ويبتعدون عن كل رباط أرضى** حتى تكون لهم الحرية دائمًا أن يحفظوا فى قلوبهم تلك الشهوة وحدها ، ولا يخلطون بها شيئًا آخر .

بيت الروح الأبدى :

٧ ــ ويخبرنا الرسول المبارك بولس بما ينبغى لكل واحد منا أن يسعى للحصول عليه فى هذه الحياة إذ يقول " *إننا نعلم أنه إن نقض بيت خيمتنا الأرضى فلنا بناء من الله ، بيت غير مصنوع بالأيدى ، بل هو أبدى فى السموات* " (١كو٥:١) لذلك يجب علينا جميعًا أن نجتهد ونسعى بكل نوع من الفضيلة، وأن نؤمن أننا سنقتنى ذلك البيت ونمتلكه منذ الآن. لأنه إن كان بيت جسدنا ينقض فليس لنا بيت آخر للنفس لكى تدخل فيه . يقول الرسول " *وإن كنا لا بسين لا نوجد عراة* " (٢كو٥:٣) **يعنى عراة من شركة الروح القدس والاندماج فيه ، هذا الروح الذى فيه وحده تستطيع النفس المؤمنة أن تجد راحة.**

لهذا السبب فإن المسيحيين الذين هم مسيحيون بالحق وبالفاعلية يكون لهم ثقة ويفرحون عند خروجهم من الجسد لأن لهم ذلك البيت غير المصنوع بالأيدى ، **ذلك البيت الذى هو قوة الروح الساكن فيهم.** لذلك فحتى إن نقض بيت الجسد فلا يخافون لأن لهم البيت السماوى **بيت الروح والمجد الذى لا يفسد، ذلك المجد الذى سوف يبنى بيت الجسد أيضًا ويمجده فى يوم القيامة** كما يخبرنا الرسول " *فالذى أقام المسيح من الأموات سيحى أجسادكم المائتة أيضًا بروحه الساكن فيكم* " (رو٨: ١١)، وقال أيضًا "*لكى تظهر حياة يسوع أيضًا فى جسدنا المائت* " (٢كو٤: ١١)، وأيضًا "*لكى يُبتلع المائت من الحياة* " (٢كو٥: ٤).

٨ ــ **فلنسعَ إذن بالإيمان والحياة الفاضلة أن نقتنى ذلك اللباس هنا،** حتى حينما نخلع الجسد لا نوجد عراة، إذ لا يكون هناك شئ فى ذلك اليوم يجعل جسدنا ممجد . لأن كل واحد بقدر ما يُحسب أهلاً ــ **بواسطة الإيمان والاجتهاد ليصير شريكًا للروح القدس بقدر ذلك يتمجد جسده فى ذلك اليوم . فكل ما خزنته النفس فى داخلها فى هذه الحياة الحاضرة ، سوف يعلن حينئذ وينكشف من الخارج ظاهرًا فى الجسد .**

وكما أن الأشجار التى تجوز الشتاء ، حينما تدفئها الحرارة غير المنظورة التى للشمس ، والرياح فإنه ينشئ من باطنها كساء من الأوراق يغطيها ، وكما أن فى ذلك الموسم تخرج زهور العشب من باطن الأرض وتتغطى الأرض وتكتسى بها، ويكون العشب مثل تلك الزنابق التى قال عنها الرب " *إنها ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها* " (مت ٦: ٢٩) لأن كل هذه أمثال ونماذج ورموز عن المسيحيين فى القيامة .

كذلك كل النفوس التى تحب الله أعنى المسيحيون الحقيقيون فإنه يأتيهم أول الشهور الذى يسمى نيسان : الذى هو يوم القيامة . **وبقوة شمس البر يخرج مجد الروح القدس من الداخل فيكسو ويغطى أجساد القديسين ـــ ذلك المجد الذى كان لهم سابقًا ، ولكنه كان مخفيًا فى داخل نفوسهم. فإن ما يكون للإنسان الآن ، سوف يظهر بعينه خارجًا من الداخل وينكشف فى جسده.**

٩ ـــ يقول الرب " *هذا الشهر سيكون أول شهور السنة* " (خر١٢:٢) ، وهو يجلب الفرح للخليقة كلها فإنه يكسو الأشجار العالية ويفتح الأرض وهو يبهج جميع الكائنات الحية ويعطى المرح للكل، هذا بالنسبة للمسيحيين هو نيسان أول الشهور الذى هو موسم القيامة ، **الذى فيه ستتمجد أجسادهم بواسطة النور الفائق الوصف الذى هو فيهم منذ الآن ـــ وأعنى به قوة الروح القدس ـــ والذى سوف يصير لهم فيما بعد كساءًا وطعامًا وشرابًا وبهجة وفرحًا وسلامًا ، ورداء وحياة أبدية، لأن كل جمال البهاء والبريق السماوى سوف يصير لهم من روح اللاهوت ذلك الذى حُسبوا أهلاً لقبوله فى هذه الحياة الحاضرة.**

١٠ ـــ فكم ينبغى إذن لكل واحد منا **أن يؤمن ويجتهد وأن يجد فى كل سيرة فاضلة ، وبرجاء كثير وصبر نطلب أن نحسب أهلاً ونحن فى هذا العالم ، لننوال تلك القوة من السماء ومجد الروح القدس فى نفوسنا فى الداخل،** حتى حينما تنحل أجسادنا يكون عندنا حينئذٍ ما سوف يكسونا ويحيينا . كما يقول الرسول " *وإن كنا لا بسين لا نوجد عراة* " (٢كو٥:٣)، وأيضًا إنه " *سيحيى أجسادنا المائتة أيضًا بروحه الساكن فينا* " (رو٨:١١).

لأن موسى النبى المبارك أرانا فى مثال ــ بواسطة مجد الروح الذى سطع على وجهه الذى لم يستطع أحد أن يتفرس فيه ــ كيف أنه فى قيامة الأبرار ستتمجد أجساد أولئك المستحقين ، بمجد تحصل عليه منذ الآن النفوس المقدسة الأمينة إذ تُحسب أهلاً لاقتناء هذا المجد فى داخلها ، فى الإنسان الباطن. لأن الرسول يقول : " ***ونحن ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف ــ أى فى الإنسان الباطن ــ كما فى مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد*** " (٢كو٣:١٨). وكذلك كُتب عن موسى أنه لمدة أربعين يومًا وأربعين ليلة "*لم يأكل خبزًا ولم يشرب ماءً* " (خر٢٤:٧٨) ولم يكن ممكناً بطبيعة جسده أن يعيش طول هذه المدة بدون طعام إن لم يكن قد اشترك فى نوع آخر من الطعام الروحانى ، **هذا الطعام هو الذى تشترك فيه نفوس القديسين منذ الآن بموهبة الروح بطريقة غير منظورة.**

١١ ــ لذلك فإن موسى المبارك بيَّن بطريقتين **ما هو مجد النور وما هى أطعمة الروح اللذيذة** غير المادية **التى سيحصل عليها المسيحيون الحقيقيون فى القيامة، والتى تُمنح لهم منذ الآن بطريقة خفية**، ولذلك فسوف تظهر حينئذٍ وتنكشف أيضًا على أجسادهم ، **لأن المجد الذى يحصل عليه القديسون الآن فى نفوسهم ــ أى فى الحياة الحاضرة ــ هو بعينه،** كما قلنا سابقًا **سوف يغطى ويكسو أجسادهم العارية ويختطفهم إلى السماء، فنستريح هناك مع الرب فى ملكوته جسدًا ونفسًا إلى الأبد.**

فإنه حينما خلق الله آدم لم يزوده بأجنحة جسدية مثل الطيور ولكن قصد له فى الأصل أن تكون له أجنحة الروح القدس، تلك الأجنحة التى قصد أن

يعطيها له فى القيامة لترفعه وتختطفه إلى حيث يشاء الروح ــ **هذه الأجنحة التى تنال النفوس المقدسة امتياز الحصول عليها منذ الآن،** وتطير فى عقولها إلى المجال السماوى .

فالمسيحيون لهم عالم مختلف خاص بهم، ومائدة أخرى وثوب آخر ونوع آخر من **التمتع والتنعم ، وشركة أخرى وطريقة أخرى للتفكير والعقل،** ولهذا السبب فإنهم أعلى من باقى البشر . **إن لهم الامتياز أن ينالوا قوة هذه الأمور فى داخل نفوسهم منذ الآن بواسطة الروح القدس.** لذلك فإن أجسادهم تُحسب أهلاً فى القيامة للاشتراك فى خيرات الروح الأبدية هذه ، وسوف **تختلط بذلك المجد الذى قد عرفته نفوسهم بالاختبار فى هذه الحياة.**

١٢ ــ لذلك يجب على كل واحد منا أن **يجتهد ويسعى ويجد فى كل فضيلة، وان يؤمن ويطلب من الرب لكى يجعل الإنسان الباطن شريكًا فى ذلك المجد هنا منذ الآن وأن تصير للنفس شركة فى قداسة الروح،** لكى ما نتطهر من أدناس الشر وليكون لنا فى القيامة ما نكسو به عرى أجسادنا عند قيامتها وما نغطى به عيوبها ، وما يحييها وينعشها إلى الأبد فى ملكوت السموات لأن المسيح سوف ينزل من السماء ، ويقيم نسل آدم كله الذين رقدوا من بدء العالم ، حسب الكتب المقدسة وسيقسمهم جميعًا إلى قسمين، **فأولئك الذين يحملون علامته أى ختم الروح سيدعوهم إليه باعتبارهم خاصته وسيقيمهم عن يمينه ،** كما يقول " *لأن خرافى تسمع صوتى ــ وأنا أعرف خاصتى وخاصتى تعرفنى* " (يو١٠: ١٤، ٢٧) **وحينئذ تلتحف أجساد هؤلاء بالمجد الإلهى من أعمالهم الصالحة ،**

ويمتلئون من مجد الروح ، وهكذا إذ نتمجد فى النور الإلهى ونختطف إلى السماء لنلاقى الرب فى الهواء حسب المكتوب (أنظر ١تس٤:١٧) ، فإننا نكون كل حين مع الرب مبتهجين معه إلى دهر الدهور بلا نهاية .

العظة السادسة :

الصلاة بهدوء - معنى العروش والأكاليل

الذين يريدون أن يرضوا الله ينبغى أن يقدموا صلواتهم بهدوء وسلام وبوداعة وحكمة ، ولا يسببوا عثرة للآخرين بصياحهم بأصوات عالية .
هذه العظة تحتوى أيضا على سؤالين ، الأول هو هل العروش والأكاليل هى خلائق حقيقية أم لا ؟ والثانى عن كراسى إسرائيل الاثنى عشر.

الصلاة بهدوء وسلام :

١ ــ أولئك الذين يقتربون إلى الرب ينبغى أن يقدموا صلواتهم بهدوء وسلام وثبات عظيم ، ويثبتوا نظر عقولهم نحو الرب ، ليس بصرخات غير ملائمة ومضطربة ، بل باجتهاد قلب حار وأفكار يقظة . كما يحدث فى حالة بعض الأمراض ، أن علاج المريض يستلزم إجراء كى له أو عملية جراحية ، فالبعض يحتملون ألم الكى أو الجراحة بشجاعة وصبر وضبط نفس بدون صراخ أو اضطراب ، بينما آخرين عندما تجرى لهم نفس عملية الكى أو الجراحة فانهم لا يحتملون نار الكى أو مشرط الجراح ويضجون بصرخات عالية مزعجة غير ملائمة . ومع ذلك فإن ألم الإنسان الذى يصرخ عاليا هو نفس ألم ذلك الإنسان الذى لا يصنع اضطرابا .هكذا أيضا فهناك بعض الناس يحتملون شدائد وأحزان تأتى على نفوسهم بصبر ويتقبلونها بخضوع ولا يصنعون اضطرابا وانزعاجا بل يضبطون أنفسهم بالتأمل العقلى فى الرب (فى داخل قلوبهم) ، بينما آخرون حينما تحل بهم نفس الشدائد والأحزان ، يفقدون قوة احتمالهم ويقدمون صلواتهم بأصوات مضطربة مزعجة تضايق وتعثر أولئك الذين يسمعونهم . وهناك آخرون أيضا رغم أنهم فى الحقيقة لا يعانون من شدائد أو أحزان ولكنهم لأجل

التفاخر والرغبة فى التميز يصلون بصراخ وبدون انضباط ظانين أنهم بواسطة هذه الأصوات العالية – يستطيعون أن يرضوا الله .

٢ ــ ولا ينبغى لأى واحد من خدام الله أن يفقد ضبط نفسه، بل ينبغى أن يكون فى كل وداعة وحكمة، كما يقول الرب " *إلى من انظر ــ ألاّ إلى الوديع والمتواضع الروح والمرتعد من كلامى*" (أش٦٦: ٢ السبعينية). وفى حالة كل من موسى وإيليا نجد فى الظهورات التى منحت لهم ، أنه رغم وجود خدمة أبواق عظيمة وقوات أمام عظمة الرب ،إلا أن حضور الرب كان يتميز بين الكل وعن الكل ، وكان يظهر فى هدوء وسلام وراحة لأن الكتاب يقول: "*وإذ صوت منخفض خفيف*" (١مل١٩: ٢) وكان الرب فى هذا الصوت. وهذا يبين أن راحة الرب هى فى الهدوء والسلام والسكون. وبحسب الأساس الذى يضعه الإنسان ، وبحسب الطريقة التى يبدأ بها فانه يستمر فى نفس الخط إلى النهاية . فان ابتدأ يصلى بصوت عالى وصراخ مزعج ، فانه يستمر فى هذه العادة إلى النهاية، ولكن لأن الرب محب البشر ، فانه يهب عونه ورعايته حتى لمثل هؤلاء الأشخاص ولذلك فانهم بواسطة تشجيع النعمة يستمرون بنفس هذه الطريقة إلى النهاية .

ومع ذلك يتضح أن هذا هو حال الذين لم يتهذبوا بعد (بالروح) ، لأنهم يســببون عثرة للآخرين وفى نفس الوقت يكونون هم أنفسهم فى اضطراب وتشويش فى صلواتهم .

٣ ــ إن أساس الخدمة الحقيقى هو هذا: أن نركز انتباهنا، ونصلى بهدوء عظيم وسلام، حتى لا نسبب عثرة لأولئك الذين فى الخارج. والإنسان الذى يصلى هكذا، إذا حصل على نعمة الله ورضاه على صلاته واستمر إلى النهاية فى هدوء فانه سيبنى كثيرين غيره " *لأن الله ليس إله تشويش*

بل إله سلام" (١كو١٤: ٣٣). وأولئك الذين يصلون بضجيج وصراخ فإنهم يشبهون الإنسان الذى يصيح عاليا ليضبط إيقاع المجدفين فى السفينة. أنهم لا يستطيعون أن يصلوا هكذا فى كل مكان لا فى الكنائس، ولا فى القرى، ربما يستطيعون فقط أن يصلوا فى الصحارى كما يريدون. أما أولئك الذين يصلون بهدوء فإنهم يبنون كل إنسان فى كل مكان.

وينبغى أن يكون حرص الإنسان وجهده كله موجها ومسلطا على أفكاره ، فينبغى أن يقطع الشجرة الكثيفة المتشابكة – شجرة الأفكار الشريرة التى تقلقه وتهاجمه ويلقى بنفسه على الله ، ولا يدع أفكاره تحمله حيث تشاء ، بل يجمع أفكاره حينما تجول فى كل اتجاه ويميز بين الأفكار الطبيعية والأفكار الشريرة . والنفس لأنها تحت الخطية فإنها تكاد تشبه غابة كبيرة موضوعة على جبل ، أو مثل عيدان الغاب فى النهر أو مثل غابة أشواك وأدغال .

فالذين يريدون أن يعبروا خلال هذا المكان يلزمهم أن يرفعوا أيديهم ويجتهدوا بكل قوة أن يدفعوا جانبا الأدغال والأشواك التى تزعجهم وبالمثل فان الأفكار التى تأتى من القوة المعادية يزعج النفس مثل الأدغال والأشواك لذلك يلزمنا سهر وانتباه كثير وعقل يقظ ، لكي نميز ونعرف الأفكار التى ليست منا بل هى من إيحاء القوة المعادية لنا .

٤ ــ فهناك إنسان يثق فى قدراته الخاصة فيظن أنه يمكنه أن يقطع الجبال المحيطة به بقدرته، وإنسان آخر يضبط عقله بهدوء وتبصر وتمييز فينهى عمله ويتممه أفضل من الشخص الأول وبدون أن يتعب نفسه كثيرا. وهكذا الأمر فيما يختص بالصلاة ، فان البعض يصيحون فى الصلاة صيحات عالية غير ملائمة ، كما لو كانوا يعتمدون على قوة عضلاتهم ،

وهم لا يعرفون كيف تخدعهم أفكارهم وتوهمهم أنهم يستطيعون أن يحققوا نجاحا كاملا بقوتهم الخاصة. بينما يوجد آخرون ينتبهون لأفكارهم ويتممون كل العمل والجهاد فى الداخل. فهؤلاء عن طريق فهمهم وتمييزهم يستطيعون أن يصلوا إلى النجاح وأن يتخلصوا من عصيان الأفكار المتمردة ، وأن يسيروا بحسب مشيئة الرب.

ونجد فى كلام الرسول بولس أنه يقول : إن الذى يبنى الآخرين أعظم من الذى لا يبنيهم إذ يقول: *إن الذى يتكلم بلسان يبنى نفسه أما الذى يتنبأ فيبنى الكنيسة.. لأن من يتنبأ أعظم ممن يتكلم بألسنة*" (١كو١٤: ٤،٥) لذلك فليختار كل واحد أن يبنى غيره وهكذا يُمنح له ميراث ملكوت السموات .

العروش والأكاليل :ـ

٥ ـــ " سؤال " إن بعض الناس يخبروننا أن العروش والأكاليل هى خلائق حقيقية وليست أشياء روحانية ، فكيف ينبغى ان نفهم ذلك ؟

" جواب " إن عرض اللاهوت هو عقلنا وأيضًا عرش العقل هو اللاهوت والروح . وبنفس الطريقة فإن الشيطان وقوات الظلمة ورؤسائها ـــ منذ تعدى الوصية ـــ قد جلسوا فى قلب وعقل وجسد آدم كأنه كرسى الشيطان وعرش لهم، ولهذا جاء الرب وأخذ جسدًا من العذراء. **لأنه لو كان قد شاء أن ينزل إلينا بلاهوته المكشوف بدون جسد فمن كان يستطيع أن يتحمل رؤيته؟ لذلك فقد تكلم إلى الناس بواسطة الجسد كأداة. وبهذه الطريقة فقد قضى على أرواح الشر التى كانت قد اتخذت لها مسكنًا ومجلسًا فى الجسد أى كرسى العقل والفكر التى سكنت فيها، فجاء الرب وطهر الضمير وجعل الأفكار كرسيًا له.**

٦ ــ " سؤال " إذن ما هو معنى الآية " *إنكم تجلسون على اثنى عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر* " (مت١٩:٢٨).

الجواب : إننا نجد أن هذا قد حدث فعلاً على الأرض بعد أن أُصعد الرب إلى السماء. لأنه أرسل الروح المعزى على الاثنى عشر رسولاً فجاءت القوة المقدسة من الأعالى ونصبت خيمتها وجلست على كراسى عقولهم. وحين قال الواقفون " *إنهم قد امتلأوا سلافة* " (أع٢:١٣) بدأ بطرس فى الحال أن يحكم عليهم متكلمًا عن يسوع قائلاً: " *يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده* .. " (أع٢:٢٢ــ٤، أع٥:٣٠) إن هؤلاء ليسوا بسكارى لأنه مكتوب " *ويكون فى الأيام الأخيرة إنى أسكب من روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم* " (أع ٢:١٧) فجاء كثيرون إلى التوبة بتأثير تعليم بطرس وهكذا بدأ عالم جديد فى الوجود، عالم مختار من الله .

٧ ــ ألاَ ترون كيف ظهرت بداية الدينونة ؟ فقد ظهر هناك عالم جديد، وهكذا أُعطى لهم سلطان أن يجلسوا ويجروا الدينونة حتى فى هذا العالم. ولكنهم سوف يجلسون ثانية ويدينون عند مجيء الرب في قيامة الأموات . ولكن قد بدأت هذه الدينونة هنا على الأرض حينما جلس الروح القدس على كراسى عقولهم. **إن الأكاليل (التيجان) التى سينالها المسيحيون فى الدهر الآتى هى غير مخلوقة . والذين يقولون إنها مخلوقة هم مخطئون. والروح يستخدم هذه الأوصاف كرموز وإشارات للحقيقة. فماذا يقول الرسول عن أورشليم السماوية؟ يقول " *هذه هى أمنا جميعًا* " (غلا٤:٢٦) وهذا هو اعترافنا نحن أيضًا . وأما عن اللباس الذى يلبسه المسيحيون فواضح أن الروح نفسه هو الذى يكسوهم ، باسم الآب والابن والروح القدس إلى الأبد. آمين .**

العظة السابعة :

محبة المسيح للإنسان

" فى محبة المسيح وإحسانه نحو الإنسان . وتحتوى العظة بعض أسئلة وأجوبة"

محبة المسيح المذهلة :

١ ــ إذا تصورنا إنسانا يدخل قصرا ملوكيا ليرى الصور وأعمال الفن الموجودة فيه، وما فيه من كنوز وأثاث، موضوعة فى مكان من القصر، وأشياء أخرى ثمينة موضوعة فى مكان آخر منه، وتصور ذلك الإنسان وقد جلس مع الملك على المائدة، وقد وضعت أمامه المأكولات والمشروبات اللذيذة، ويمتلئ انشراحا من كل ناحية، بتأمله فى كل الأشياء الجميلة هناك، ثم بعد كل ذلك يطرد ذلك الإنسان من هناك ويلقى فى أماكن قذرة. أو تصوروا عذراء جميلة تفوق بنات جنسها فى جمالها وحكمتها وغناها، إلا أنها تتزوج برجل فقير دنىء قبيح الشكل، يلبس الخرق، فتنزع عنه ثيابه الرثة وتلبسه ثيابا ملوكيا وتضع تاجا على رأسه وتتزوجه متحدة به، فيأخذ ذلك المسكين فى التعجب والانذهال قائلاً: "هل لى أنا البائس المسكين الوضيع الدنىء أن أحوز مثل هذه الزوجة ؟" وهذا هو ما صنعه الله مع الإنسان المسكين الشقى. فقد أعطى الإنسان أن يذوق عالمًا آخر ويذوق طعامًا لذيذًا، إذ قد أظهر له الأمجاد والجمال الملوكى الفائق الوصف أى الجمال السماوى،وعندما يقارن الإنسان هذه الأمجاد الروحانية بأمور هذا العالم فانه يترك هذه الأخيرة. وسواء كان ما يقع نظره عليه فى هذا العالم ، هو ملك أو أمير أو حكيم فإنه يحول نظره ويثبته فى الكنز

السماوى. ولأن الله محبة ، فقد أعطى للإنسان أن ينال نار المسيح الإلهية، التى بها يصير فى راحة ، ويفرح متهللا ،ويثبت هناك دائما .

٢ــ سؤال: هل الشيطان حاضر مع الله سواء فى الهواء أو بين الناس؟

الجواب : إن الشمس المنظورة وهى إحدى المخلوقات ، ومع ذلك ، فهى تشرق على الأماكن القذرة دون أن تصاب بأى ضرر ، فكم بالأحرى يستطيع الله الحى أن يكون حاضرا فى نفس المكان الذى فيه الشيطان دون أن يتدنس أو يتلوث . ولكن الشرير مصاب بالظلمة والعمى ولا يستطيع أن يرى نقاوة وجمال الله . وإما إن قال أحد أن الشيطان له مكانه الخاص والله له مكان آخر فانه بذلك يجعل الله محدودا خارج المكان الذى يسكن فيه الشرير. فكيف نستطيع عندئذ أن نقول أن الصلاح والخير غير محصور ، ويفوق الإدراك ، وأن كل الأشياء موجودة فيه ، ومع ذلك فإن الصلاح لا يتلوث بالشر ، فماذا إذا ؟ هل لأن السماء والشمس والجبال هى فى الله وهى قائمة به ، فهل معنى ذلك أنها هى الله حاشا . بل إن الأشياء المخلوقة لها قوامها بحسب نظام خلقتها الخاص ، ولكن الخالق وحده ــ الحاضر مع خلائقه ــ هو الله .

٣ ــ سؤال : حيث أن الخطية يمكن أن تتخذ شكل ملاك نور لتبدو فى صورة النعمة ، فكيف يميز الإنسان ويكشف خداعات الشرير وكيف يميز أعمال النعمة ليرحب بها . ويقبلها ؟

الجواب : إن أمور النعمة يصاحبها فراح وسلام ومحبة وحق. والحق ذاته يحث الإنسان على طلب الحق، أما أشكال الخطية فيصاحبها اضطراب وليس محبة أو فرح نحو الله. كما أن الهندباء يشبه الخس، ولكن أحدهما وهو الخس حلو وإنما الآخر ــ رغم كل مشابهته للخس إلاّ أنه مر

ـ هكذا الحال في مجال النعمة نفسها، فانه يوجد ما هو شبيه بالحق، كما أنه هناك جوهر الحق نفسه. فشعاع الشمس هو شئ وقرص الشمس نفسه هو شئ آخر. ودرجة الإضاءة التى يعطيها الشعاع تختلف عن درجة إضاءة النور داخل قرص الشمس. فالمصباح الذى يضاء فى المنزل يسطع شعاعه فى كل البيت ولكن النور داخل المصباح نفسه أشد لمعانًا وبريقًا. وبنفس الطريقة فى أمور النعمة، فحينما يلمح الإنسان النعمة من على بعد، فإنه يفرح بالنظر إليها، ولكنه يتغير يصير شيئًا آخر تمامًا، حين تدخل فيه قوة الله وتملأ قلبه وكل أعضائه وتستأثر عقله لمحبة الله.

فحينما أمسكوا بطرس ووضعوه فى السجن جاء ملاك الرب وكسر السلاسل وأخرجه ، وهو مثل شخص فى حالة ذهول، ظن أنه ينظر رؤيا.

٤ ــ سؤال: كيف يحدث أن يسقط الناس الذين تفعل فيهم نعمة الله ؟

الجواب : حتى الكائنات العقلية تماما فى طبيعتها هى معرضة للزلل والسقوط . فالإنسان الذى يبتدأ أن يتشامخ ، ويرتفع ، يوبخ غيره قائلا له : "أنت خاطئ"، بينما يعتبر نفسه بارًا. ألا تعلم ما يقوله القديس بولس: "*ولئلا ارتفع بفرط الإعلانات أعطيت شوكة فى الجسد ملاك الشيطان ليلطمنى لئلا أرتفع*" (٢كو١٢:٧) لأنه حتى الطبيعة النقية معرضة للميل إلى التشامخ والارتفاع .

٥ ــ سؤال : هل يستطيع الإنسان أن يرى نفسه بواسطة النور ؟

فإن بعض الناس يرفضون الإعلان الإلهى ويؤكدون أن الرؤية إنما هى بالمعرفة والعقل ؟

الجواب: إن العقل يختلف عن الرؤية، والرؤية غير الاستنارة والإنسان الذى عنده استنارة أعظم من الذى له عقل ومعرفة . لأن الإنسان المستنير

قد نال عقله استنارة أكثر من الإنسان الذى له معرفة فقط . كما يظهر من رؤيته لرؤى داخل نفسه ، لا يمكن أن تكون موضع شك . ولكن الإعلان هو شئ أعلى من ذلك . فإن أمور الله العظيمة وأسراره هى التى تعلن للنفس بواسطة الإعلان والوحى .

٦ ــ **سؤال** : هل يرى الإنسان النفس بواسطة الوحى (الإعلان) والنور الإلهى ؟

الجواب : كما تنظر عيوننا الشمس ، كذلك ينظر المستنيرون صورة النفس ولكن قليل من المسيحيين الذين لهم هذا النظر .

٧ ــ **سؤال** : هل النفس لها شكل ما ؟

الجواب : إن النفس لها صورة وشكل كما أن الملاك له صورة وشكل، وكما أن الملائكة لهم صورة وشكل ، وأيضا كما أن الإنسان الخارجى له صورته الخاصة هكذا الإنسان الداخلى له صورة مثل الملاك ، وله شكل يقابل الشكل الخارجى .

٨ ــ **سؤال** : هل العقل شئ والنفس شئ آخر ؟

الجواب: كما أن أعضاء الجسد وهى كثيرة تدعى إنسانًا واحدًا هكذا النفس لها أعضاء كثيرة وهى: العقل، والضمير، والإرادة، والأفكار "*المشتكية والمحتجة*" (رو٢:١٥) وكل هذه تعتمد على وحدة النفس. إنها أعضاء النفس أما النفس فهى واحدة، أى الإنسان الباطن. ولكن كما أن العيون الخارجية تكشف قدامها، من على بعد ، الأشواك والمهاوى والحفر، وتعطى إنذارًا مقدمًا، هكذا العقل حينما يكون فى يقظة وانتباه، فإنه يكشف حيل وخداعات القوة المعادية ويسبق فيحصن النفس مقدمًا، إنه بالحقيقة هو عين النفس . فلنعط المجد للآب والابن والروح القدس إلى الأبد آمين .

العظة الثامنة :

حالات الصلاة ـ ودرجة الكمال

" فى الأشياء التى تحدث للمسيحيين وقت الصلاة ، وعن درجات الكمال ــ وهل من الممكن للمسيحيين أن يصلوا إلى حالة الكمال ".

١ – قد يدخل الإنسان (إلى المخدع) ويركع ، ويمتلئ قلبه بالحرارة الإلهية ، وتفرح نفسه مع الرب كما تفرح العروس مع عريسها حسب كلمة إشعياء النبى الذى يقول *وكفرح العريس مع العروس يفرح بك إلهك*" (إش ٦٢: ٥) وقد يحدث أن هذا الشخص الذى يكون مشغولا النهار كله يعطى نفسه للصلاة لمدة ساعة ، ويخطف الإنسان الباطن فى الصلاة إلى العمق الذى ليس له قرار ، عمق ذلك العالم الآخر ، وهو فى حالة عظيمة حتى أن عقله كله يتغرب ، إذ يرفع وينقل وينفصل مبتعدا عن الأشياء الأرضية. وفى أثناء هذه الفترة تحصل له حالة نسيان للاهتمامات والتفكير الأرضى. لأن أفكاره تكون مملوءة ومأسورة بالأمور الإلهية السماوية ، والأشياء التى لا نهاية لها والتى تفوق الإدراك ، الأشياء العجيبة الأكيدة التى لا يستطيع لسان بشرى أن يعبر عنها ، حتى أنه يصلى ويقول فى تلك الساعة *يا ليت نفسى تخرج مع صلاتى!*".

النعمة بين الاشتعال والتراجع :

٢ – سؤال : هل يستطيع كل واحد أن يدخل إلى هذه الأشياء فى كل وقت؟

الجواب: إن النعمة حاضرة بلا انقطاع ــ وهى متأصلة فينا وممتزجة بنا مثل الخميرة منذ أول عمرنا إلى أن تصير ثابتة فى الإنسان كطاقة طبيعية فيه وكأنها قد صارت جوهرًا واحدًا معه . ولكنها ترشد الإنسان بطرق متنوعة لأجل خيره وخلاصه بحسب تدبير النعمة . فأحيانا تشتعل النار

وتضطرم بشدة زائدة ، وفى أحيان أخرى تكون خفيفة ولطيفة فى اشتعالها، وكذلك النور الذى تعطيه يشتعل أحيانا بلهيب وبريق زائد، وفى أوقات أخرى تخف شدة البريق وتضعف. فالمصباح (أى قنديل النعمة) هو مشتعل ومضيء دائما، ولكن حينما يتألق ويتوهج، فإنه يشتعل بانصباب محبة الله، ثم يخفت أيضا بتدبير الله، ورغم أن النور يكون موجودًا حتى عندما يخفت، إلا أنه بالمقارنة بأوقات التوهج فإنه يكون مظلما بعض الشيء .

٣ ــ والبعض (أثناء الصلاة) ظهرت لهم علامة الصليب مضيئة بنور والتصقت بالإنسان الباطن. وفى مرة أخرى حصل لإنسان ذهول فى وسط الصلاة، فوجد نفسه واقفا عند المذبح فى الكنيسة، وقد قدمت له ثلاثة أرغفة مخمرة بزيت، وكان كلما أكل منها، ازدادت وكثرت. وفى مرة أخرى أحضر له مثل ثوب لامع مضيء، لا مثيل له على الأرض فى هذا العالم، ولا تستطيع أيدى بشرية أن تصنع مثله، فكما حدث حينما صعد الرب إلى الجبل مع بطرس ويوحنا، تغيرت هيئة لباسه، وصار يلمع بالنور، هكذا الحال أيضًا مع هذا الثوب، وكان الإنسان الذى يلبسه، متعجبًا ومنذهلاً منه. وفى مرة أخرى، فإن النور المضيء فى القلب كشف عن النور الداخلى العميق المختفى، حتى أنه لما ابتلع من حلاوة التأمل، لم يعد يضبط نفسه، بل كان كأحمق أو جاهل بالنسبة لهذا العالم، وذلك بسبب المحبة والحلاوة الفائقة الحد، وبسبب الأسرار المخفية، حتى أن الإنسان فى هذا الوقت، يصير فى حرية ويصل إلى درجة من درجات الكمال، ويكون نقيًا وحرًا من الخطية، ولكن بعد هذا كله تتراجع النعمة فى تدفقها، ويقابله حجاب القوة المعادية، ولكن بالرغم من ذلك تظهر النعمة ذاتها جزئيًا، ويقف هو على الدرجة الأولى والسفلى من درجات الكمال .

٤ – ويمكن أن نقول ، أنه توجد اثنتى عشرة درجة ، يعبر بها الإنسان قبل أن يصل إلى الكمال : وقد يصل الإنسان إلى هذا المقياس ويدخل فى حالة الكمال ويكون فيها لفترة ما ، وبعد ذلك ترتخى النعمة عنه فينزل درجة واحدة إلى أسفل ويقف على الدرجة الحادية عشر .. **وأما الإنسان الغنى فى النعمة فيظل دائمًا، ليلا ونهارا فى حالة الكمال ، فى حرية ونقاوة، مأسورا دائما ومأخوذا إلى فوق فى السمو . فالآن إن هذا الإنسان الذى تكشف له تلك الأشياء العجيبة ويختبرها اختبارا حقيقيا ، لو أنها كانت حاضرة معه كل حين بلا انقطاع فانه لن يستطيع أن يقوم بتدبير الكلام ولا أن يحمل مسئولية ، ولا يستطيع أن يسمع أو أن يهتم بأى شىء عادى يختص بنفسه ، أو بالغير ، بل إنما يجلس فى زاوية فى حالة علو وسكر روحانى ولهذا السبب لم تعطَ درجة الكمال بصورة مستمرة للإنسان ، حتى يستطيع الإنسان أن يهتم باخوته ، ويهتم بخدمة الكلمة ، ومع ذلك فإن "*حائط السياج المتوسط قد نقض*" (أف ٢ : ١٤) والموت قد انغلب .**

٥ – وفى هذه الحالة تشبه سحابة معتمة حول مصباح تحجبه بخفة كالهواء الكثيف ، رغم أن المصباح مشتعل ومضىء طول الوقت ، مع وجود الحجاب المحيط بنور المصباح .

هكذا هذا الإنسان ، فإنه يعترف ويقول أنه ليس كاملا وليس حرا تماما من الخطية . وهو يقول أن حائط السياج المتوسط قد نقض وهدم ، ومع ذلك يقول أن بعض أجزاء منه لم تهدم تماما أو لم تهدم فى كل الأوقات . ففى بعض اللحظات تشتعل النعمة وتعزى وتريح وتنعش بدرجة عالية ، وفى لحظات أخرى ترتخى ويخفت نورها ويصير معتما (بعض الشىء) . وذلك بحسب تدبير النعمة نفسها ، لما فيه منفعة الإنسان . ولكن من هو الإنسان الذى وصل إلى الدرجة الكاملة فى أزمنة النعمة الخاصة ، وقد تذوق ذلك

العالم (العلوى) واختبره اختبارا مباشرا ؟ إنى لم أبصر حتى الآن إنسانا مسيحيا كاملا ، إنسان يحيا فى حرية كاملة تماما . طبعا يوجد هنا وهناك (مسيحيون) يقيمون براحة فى النعمة ، ويدخلون إلى الأسرار والإعلانات وإلى الحلاوة العظميمة التى للنعمة، ولا تزال الخطية حاضرة فى الداخل . والناس يعتبرون أنفسهم أحرارًا وكاملين بسبب النعمة الكثيرة التى فيهم والنور الذى فيهم ، ولكنهم ينخدعون بسبب قلة الخبرة . هم تحت تأثير النعمة ، ولكنى لم أرَ واحدا قط ، حرا تماما . وأنا نفسى وصلت جزئيا إلى هذه الدرجة فى بعض الأحيان ، وقد تعلمت وعرفت أن ما وصلت إليه ليس هو حالة الكمال .

عمل النعمة فى الإنسان :

سؤال : أخبرنا – إن شئت – ما هى الدرجات التى أنت فيها ؟

جواب : بعد (رشم) علامة الصليب . تفعل النعمة الآن هكذا : إنها تهدئ كل الأعضاء وتهدئ القلب ، حتى أن النفس من كثرة الفرح ، تظهر أنها طفل برئ ، ولا يعود الإنسان يدين الوثنى ولا اليهودى ، ولا الخاطئ ولا الإنسان العالمى . بل أن الإنسان الباطن ينظر كل الناس بعين نقية ، ويفرح الإنسان بالعالم كله ، ويود أن الجميع يصيرون محبين ويعبدون معا يهود وأمم . وفى لحظة أخرى يكون مثل إبن ملك ، إذ يثق بإبن الله كأب له ، وتفتح له الأبواب فيدخل إلى منازل كثيرة (يو ١٤ – ٢) فى الداخل ، وبقدر ما يتعمق إلى الداخل ، تفتح له أبواب أكثر فأكثر – مئات منازل تقود إلى مئات منازل بعدها ، ويصير غنيا ، وعلى قدر ما يزداد غنى ، تكشف له عجائب كثيرة أخرى ، ويؤتمن كابن ووارث على أشياء لا يستطيع لسان أو فم بشرى أن يعبر عنها أو ينطق بها .

المجد لله . آمين .

العظة التاسعة :

النعمة والتجارب ـ الالتصاق بالرب وحده

"إن مواعيد ونبوات الله تتحقق بواسطة محن وتجارب متنوعة ، وأن الذين يلتصقون بالله وحده ، ينقذون من تجربة الشرير " .

قانون عمل النعمة :

١ ـ إن الفاعلية الروحانية التي لنعمة الله في داخل النفس، تعمل عملها بصبر عظيم ، وحكمة وتدبير سرى للعقل ، وفي أثناء ذلك يناضل الإنسان لأوقات وفترات طويلة باحتمال كثير ، ثم ينكشف له أن عمل النعمة فيه ، هو عمل كامل ، وذلك عندما تمتحن إرادته بتجارب كثيرة ويتبرهن أنها (إرادته) مرضية للروح ، ويكون قد أظهر ثباتًا وصبرًا لفترة غير قصيرة . وسنبين أن هذا هو قانون عمل النعمة بأمثلة واضحة في الكتاب المقدس .

أمثلة من الكتاب المقدس :

٢ ـ إن ما أقصده يظهر بوضوح في حالة يوسف ، فقد اقتضى الأمر فترات طويلة من الزمن لكي تتحقق مشيئة الله وقصده السابق من جهة يوسف، وتتم الرؤيا التي رآها. وقد أمتحن بآلام وشدائد وأحزان وقد احتملها جميعًا ، وقد وُجد في جميعها خادمًا كاملاً أمينًا إلى الله ، وبعد ذلك صار ملكا على مصر وهو الذي عال أسرته وتحققت المناظر النبوية التي كان قد رآها قبل حدوثها بفترة طويلة ووصلت مشيئة الله إلى غايتها المحتومة من نحوه بعد زمن طويل وتدابير كثيرة .

٣ ــ كذلك الحال مع داود، فقد مسحه الله ملكا بواسطة صموئيل النبى، وبعد أن مُسح، هرب من شاول الذى كان يطارده لكى يقتله، فما معنى مسح الله له إذًا؟ وأين الوعد الذى وُعد به أن يصير ملكًا بعدما مُسح ؟ فإنه بعد أن مُسح حلت به شدائد كثيرة وكان يتجول فى الصحارى، محروما حتى من الخبز ولجأ إلى الوثنيين بسبب مؤامرات شاول ضده. كل هذه المصائب الشديدة أحاطت بذلك الإنسان الذى مسحه الله ملكا، وبعد أن تجرب طويلا وأمتحن، وبعد آلام وصبر، إذ قد وضع كل ثقته وإيمانه مرة واحدة فى الله، وكأنه يقول لنفسه أن ما فعله الله بى بواسطة مسحة صموئيل النبى وما أمر الله به، لابد أن يحدث لى ولابد وأن يتحقق بدون أدنى شك، حتى وإن استلزم الأمر صبرًا كثيرًا، وبعد فترة من الوقت تمت مشيئة الله وتملك داود بعد كل تجاربه. وحينئذ أشهرت كلمة الله، وتبرهن أن المسحة التى مسحه بها إلى يدى صموئيل النبى، إنما هى أكيدة حقيقة .

٤ ــ وهكذا الحال مع موسى فقد سبق الله فعرفه ، وسبق فعينه ليكون حاكما ومنقذا للشعب ، وجعله يصير ابنًا لابنة فرعون ، وتربى فى غنى وبهاء ومجد الملوك ، وتعلم " *بكل حكمة المصريين* " (أع٧:١٢) ولما بلغ سن الرجولة وصار عظيمًا، رفض كل تلك الأشياء مفضلا بالأحرى شدائد المسيح وعاره ، كما يقول الرسول " *على أن يكون لى تمتع وقتى بالخطية*" (عب١١:٢٥) .

وهرب من مصر وصرف وقتا طويلا يعمل كراعٍ للغنم ، وهو الذى تربى كابن ملك وعاش فى لذات القصر ونعيمه ، وأخيرًا إذ وُجد مقبولاً لدى الله وأمينًا من خلال الصبر الكثير ــ إذ أنه احتمل تجارب عديدة ــ أصبح بعد ذلك منقذًا وقائدًا وملكًا لإسرائيل ، وقال الله له قد جعلتك " *إلهًا*

لفرعون" (خر٧:١) وبواسطته ضرب الله مصر بضربات كثيرة وأظهر بواسطته عجائب عظيمة على فرعون، وأخيرًا أغرق المصريين فى البحر، فانظر بعد كم من الوقت ظهرت وأعلنت مشيئة الله وقصده ، وبعد كم من التجارب والشدائد تحققت هذه المشيئة .

٥ ــ وهكذا أيضا مع إبراهيم فإن الله كان قد وعده منذ زمن طويل أن يعطيه ابنًا ، ولكنه لم يعطه فى الحال ، بل خلال سنوات طويلة حلت به تجارب وضيقات ! ولكن إبراهيم احتمل بصبر كل ما يأتى عليه وتقوى تمامًا بالإيمان موقنًا أن الذى وعد هو صادق ولا يمكن أن يكذب ، بل سيتمم كلمته ، وهكذا إذ آمن نال الموعد .

٦ ــ ونوح أيضا ، لما أمره الله وله من العمر خمسمائة سنة ، أن يبنى الفلك ، وأخبره أنه سيجلب طوفانا على العالم ، ولم يأت الطوفان إلا عندما كان نوح ابن ستمائة سنة ، فظل منتظرا بصبر مائة سنة ولم يشك فى قول الله له بل تقوى بالإيمان موقنا بأن ما تكلم الله به لابد أن يحدث ، وإذ وجد مقبولا بسبب نية قلبه وإيمانه وصبره ، خلص هو وأهل بيته فقط ، لأنه حفظ الوصية بنقاوة .

امتحان الإرادة وطاعة الوصايا :

٧ ــ لقد استخرجنا هذه البراهين من الكتب المقدسة لكى نبين أن نعمة الله فى الإنسان ، وموهبة الروح القدس المعطاة للنفس المؤمنة، تعمل مع جهاد كثير ، وصبر عظيم وطول أناة ، وتجارب وامتحانات ، إذ تمتحن إرادة الإنسان الحرة بكل أنواع الشدائد . فإذا لم تحزن الروح فى أى شىء ،بل وجدت موافقة للنعمة بطاعتها لجميع الوصايا ، فإنها تحسب حينئذ أهلا

للحصول على الحرية من الشهوات وتنال ملء التبنى بالروح ــ المتكلم عنه فى سر ــ وتنال الغنى الروحى ، والمعرفة والحكمة التى ليست من هذا العالم ، هذه النعم التى قد أعطى للمسيحيين الحقيقيين أن يصيروا شركاء فيها . ولأجل هذا فإنهم أعلى من كل ذوى الفطنة والمعرفة والحكمة من أهل العالم الذين لهم روح العالم .

٨ ــ فإن الشخص الروحى " *يحكم فى كل شئ* " (١كو٢:١٥) كما هو مكتوب . إنه يعرف كل إنسان ، ومن أين يتكلم وما هو موقفه والدرجات والمقاييس التى هو فيها ، ولكن ليس أحد من أولئك الذين لهم روح العالم يستطيع أن يعرف الشخص الروحى أو يحكم فيه ، إنما يستطيع أن يعرفه ذلك الذى له الروح السماوى ــ روح اللاهوت ــ مثله ، وبذلك فإنه يكون له نفس معرفته كما يقول الرسول " *قارنين الروحيات بالروحيات ، ولكن الإنسان الطبيعى لا يقبل الأشياء الخاصة بروح الله لأنها فى نظره جهالة ، أما الروحى فيحكم فى كل شىء ، وهو نفسه لا يحكم فيه من أحد* " (١كو٢ :١٣-١٥) فمثل هذا الإنسان ينظر إلى كل الأشياء التى يفخر بها العالم ، ينظر إلى كل غنى العالم ولذاته وتمتعاته ــ بل وحتى معرفته ذاتها ــ وإلى كل الأشياء المختصة بهذا الدهر كمرفوضة وكريهة عنده .

نار حب المسيح :

٩ ــ وكما أن الإنسان الذى تتملكه الحمى الشديدة ، يكره ويرفض أحلى الأطعمة والأشربة التى تقدم له بسبب اشتعال الحمى فيه ، وشدة تأثيرها عليه ، وهكذا **الذين يشتعلون بالشهوة المقدسة ، شهوة الروح ، واشتياقه ، وتجرح نفوسهم بالمحبة ، محبة الله ، وتشتعل فيهم نار المحبة**

السماوية بشدة تلك النار التى " *جاء الرب ليلقيها على الأرض وهو لا يريد إلا اضطرامها* " (لو١٢:٤٩) ويلتهبون بالشهوة السماوية للمسيح ، هؤلاء كما قلنا سابقًا، يعتبرون كل الأشياء المجيدة والثمينة الخاصة بهذا العالم كأنها أشياء حقيرة وكريهة بسبب نار حب المسيح التى تحصرهم وتشعلهم وتضرمهم ليميلوا بكل قلوبهم إلى الله وإلى الخيرات السماوية ــ خيرات الحب الإلهى . ذلك الحب الذى لا تستطيع كل الأشياء سواء فى السماء أو على الأرض أو تحت الأرض ــ أن تفصلهم عنه ، كما يشهد الرسول قائلاً: " *من سيفصلنا عن محبة المسيح ؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف الخ .. لا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا* " (رو٨ :٣٥-٣٩) .

الانشغال بالهدف الواحد :

١٠ ــ ولكن من غير الممكن لأى إنسان أن يقتنى نفسه (لو٢١:١٩) وأن يقتنى المحبة السماوية ــ محبة الروح، بدون أن يجعل نفسه غريبا عن كل الأشياء المختصة بهذا العالم، ويبذل نفسه فى طلب حب المسيح، ويتجرد عقله من كل الاهتمامات المادية والارتباكات الأرضية لكى يكون مشغولاً انشغالاً كليا بالهدف الواحد، ويتصرف فى كل هذه الأشياء بواسطة الوصايا كلها، حتى أن كل اهتمامه وسعيه وكل انهماك وانشغال نفسه، يكون منحصرًا فى اكتشاف الجوهر العقلى غير المادى، وفى كيفية تزيين النفس: بالوصايا والفضائل، وبالزينة السماوية ــ زينة الروح، وبالشركة فى نقاوة المسيح وقداسته ــ حتى إذا تخلى عن كل شئ، وتحرر من كل العوائق الأرضية والمادية، وانطلق حرًا من المحبة الجسدية، سواء كانت تعلقا بالوالدين أو الأقرباء، فإنه لا يدع عقله أيضًا ينشغل أو يرتبك بأى

أمر آخر مثل السلطان، أو المجد العالمى، أو الكرامات، وصداقات العالم الجسدية، أو أى أفكار أرضية أخرى بل يصير كل اهتمام عقله وانشغاله وتلهفه منحصرًا فى طلب جوهر النفس، وبكل قلبه ينتظر بتوقع ورجاء مجيء الروح عليه، كما يقول الرب: " *بصبركم اقتنوا أنفسكم*" (لو ٢١ :١٩) " *وأيضا اطلبوا ملكوت الله وهذه كلها تزاد لكم* " (مت٦ :٣٣) .

١١ ــ فالإنسان الذى يسعى هكذا ويجتهد ، ويكون محترسا دائما ، سواء بالصلاة أو بالطاعة ، أو بكل نوع من الأعمال الإلهية ، هذا الإنسان يستطيع أن ينجو من ظلمة الشياطين الأشرار .

الالتصاق بالرب وحده :

فالعقل الذى لا يهمل تفتيش ذاته ولا يهمل طلب الرب ، يستطيع أن يقتنى نفسه ــ النفس التى كانت فى هلاك الشهوات ــ يقتنيها بتقديم نفسه كأسير لمحبة الرب بكل غيرة وقوة ، وبالالتصاق به وحده ، كما هو مكتوب : " *مستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح* " (٢كو١٠ :٥) ، لكي بواسطة مثل هذا السعى والاشتياق والطلب يمكن أن يصير العقل " *روحا واحدا مع الرب* " (١كو٦ :١٧) وهذه هى عطية المسيح ونعمته التى تحل فى إناء النفس المستعدة لكل عمل صالح ، و " *التى لا تزدرى بروح الرب*" (عب١٠ :٢٩) باختيارها وإرادتها الذاتية أو بانحرافات هذا العالم ، وأمجاده، ورئاساته ، ولذاته الجسدية ، وألفة الأشرار ومعاشراتهم .

١٢ ــ فحينما تخصص النفس ذاتها كلها للرب، وتلتصق به وحده وتسير بوصاياه، وتعطى روح المسيح حقه من الإكرام ــ الروح الذى قد أتى عليها وظللها ــ فإنها تحسب حينئذ أهلا لأن تصير روحًا واحدًا وتركيبًا

واحدًا معه، كما يقول الرسول : " *وأما من التصق بالرب فهو روح واحد* " (١كو٦ :١٧) أما إذا سلم الإنسان نفسه للهموم أو لطلب المجد أو العظمة أو الكرامات البشرية، وسعى وراء هذه الأشياء واختلطت نفسه وامتزجت بالأفكار الأرضية، أو ارتبطت وتقيدت بأى شئ من أمور هذا العالم، فإن مثل هذه النفس إذا اشتاقت أن تنطلق وتنجو وتهرب من ظلمة الشهوات التى قيدتها بها قوات الشر، فإنها لا تستطيع أن تهرب، وذلك بسبب محبتها لأعمال الظلمة ، ولأنها لا تبغض أعمال الشر بغضًا كاملاً .

١٣ ـــ لذلك فلنعد أنفسنا للمجئ إلى الرب بكل عزم القلب وبإرادة غير منقسمة ، ونصير تابعين للمسيح ، لنتمم كل ما يريده ، و" *لنتذكر وصاياه لنعملها* " (مز١٠٣ :١٨) .

ولنفصل أنفسنا تماما عن محبة العالم ، ونربط نفوسنا بالرب وحده ، ويكون هو وحده شاغل عقولنا ويكون هو همنا وهو مطلبنا وحده . **وإذا كان يلزمنا أن ننشغل بعض الشئ أيضا بالجسد ، وبالأشغال الموضوعة علينا ، ومن أجل الطاعة لله ، فحتى فى هذه الحالات ،لا ندع عقلنا يبتعد عن محبة الرب وطلبه والشوق إليه ، وهكذا إذ نسعى ونجتهد بقلب يقظ ، سائرين فى طريق البر بقصد مستقيم ، ونحترس دائما لأنفسنا ، فإننا ننال موعد روحه ، ونخلص بالنعمة من هلاك ظلمة الشهوات التى تحارب النفس، فنصير حينئذ أهلا للملكوت الأبدى ويوهب لنا أن نتنعم كل الأبدية مع المسيح ، ممجدين الآب والابن والروح القدس إلى الأبد آمين .**

❖❖❖❖❖❖❖

العظة العاشرة :

الشركة والاتحاد بالعريس السماوى

" مواهب النعمة الإلهية تحفظ وتزاد باتضاع القلب والاهتمام الجاد ، ولكنها تضيع بالكبرياء والكسل ".

المحبة الحارة للمسيح :

١- إن النفوس التى تحب الحق وتحب الله ، وتشتهى برجاء كثير وإيمان أن تلبس المسيح كلية ، لا تحتاج كثيرًا إلى تذكير الآخرين ، بل **أنها لا تحتمل ولا إلى لحظة ، أن تكون محرومة من حبها المشتعل للرب واشتياقها السمائى له بل بالحرى إذ يكونون مسمرين تماما وكلية فى صليب المسيح ، فإنهم يشعرون بإحساس النمو والتقدم الروحى نحو العريس الروحانى ، وإذ يكونون مجروحين بالشوق السماوى ، وجائعين إلى بر الفضائل ، فإنه يكون لهم رغبة عظيمة لا تنطفئ فى إشراق وإنارة الروح ..**

العطش والشوق المتزايد :

وحتى إذا نالوا بواسطة إيمانهم ، امتياز معرفة الأسرار الإلهية وحتى إذا جعلوا شركاء فى بهجة النعمة السماوية ، فإنهم مع ذلك لا يضعون ثقتهم فى أنفسهم ، ولا يظنون أنهم شئ ، بل بقدر ما يحسبون أهلا لنوال المواهب الروحية ، بقدر ما يزدادون عطشا للشهوة السماوية ، ويزدادون فى طلبها باجتهاد وسهر.

وبقدر ما يشعرون فى أنفسهم بالتقدم الروحانى، فأنهم يزدادون جوعا وعطشا إلى شركة النعمة وازديادها.. وبقدر ما يزدادون فى الغنى الروحانى، فأنهم بقدر ذلك يعتبرون أنفسهم فقراء، إذ أنهم لا يشبعون من **الشوق الروحانى الحار إلى العريس السماوى، كما يقول الكتاب " الذين يأكلون يعودون إلىّ جائعين، والذين يشربوننى يعطشون"** (ابن سيراخ٢٤: ٢١) ..

التحرر من الشهوات وشركة الروح السرية :

٢ــ فمثل هذه النفوس ، التى تحب الرب حبًا حارًا لا ينطفئ ، تكون أهلاً للحياة الأبدية ، ولهذا السبب تمنح لهم نعمة التحرر من الشهوات وينالون إشراق الروح القدس بالتمام ، وحضوره الذى يفوق الوصف ، والشركة السرية معه فى ملء النعمة.. ولكن بعض النفوس تتراخى ولا يكون لها همة وجراءة ، فلا تطلب وهى هنا على الأرض فى الجسد ، أن تنال ــ بصبر وطول أناة ــ تقديس القلب ، ليس جزئيا بل تقديسًا تامًا ، إذ هى لم تتوقع أبدا أو تترجى أن يكون لها شركة كاملة فى الروح المعزى بكل ثقة ويقين ، وبكل إحساس واع، ولم تتوقع أبدا أن تتحرر من شهوات الشر بقوة الروح، أو ربما تكون ، بعد أن نالت نعمة الله مرة ، قد انخدعت بالخطية وأسلمت ذاتها للإهمال والتكاسل ..

٣ ــ فهؤلاء إذ قد نالوا نعمة الروح ، وحصلوا على بعض عزاء النعمة، فى الراحة والشوق والحلاوة الروحانية ، فأنهم يتكلون على هذا ، ويتشامخون ، ثم يصيرون مهملين ، ولا يكون لهم انسحاق قلب ، ولا عقل متضع ، فلا هم يصلون إلى الدرجة الكاملة – درجة الحرية من الشهوات

ـ ولا هم ينتظرون ويطلبون الامتلاء التام بالنعمة بكل اجتهاد وسهر وإيمان ، بل أنهم يشعرون بالاكتفاء ، ويخلدون إلى الراحة قانعين بالعزاء القليل الذى نالوه من النعمة.. فالنمو القليل الذى حصلت عليه هذة النفوس كانت نتيجته الكبرياء بدلا من التواضع ولذلك فأنهم على المدى الطويل يتجردون من كل نعمة أعطيت لهم ، بسبب احتقارهم وإهمالهم ، وبسبب خداعهم لأنفسهم بالعجرفة الباطلة .

الشركة السرية مع العريس السماوى :

٤ ـ والنفس التى تحب الله والمسيح حقيقة ، حتى إذا عملت عشرة آلاف من أعمال البر ، فهى تعتبر ذاتها أنها لم تعمل شيئا ، بسبب حبها المشتعل الذى لا يخمد من نحو الله.. وبالرغم من أنها تجهد الجسد بأصوام، وبأسهار إلا أنها فى نظرتها إلى الفضائل تعتبر نفسها كأنها لم تبدأ بعد بأى عمل جدى لأجلها..

وبالرغم من مواهب الروح المتنوعة، والاستعلانات والأسرار السماوية التى ينعم بها عليها ، فهى تشعر فى ذاتها أنها لم تحصل على شئ بالمرة ، وذلك بسبب حبها غير المحدود ، والذى لا ينطفئ من نحو الرب..

طوال النهار تشتاق وتجوع وتعطش بالإيمان والمحبة وبمداومة الصلاة، وهى تستمر فى شوق بلا شبع لأسرار النعمة، ولتتميم كل فضيلة. وهى تكون مجروحة بحب حار مشتعل جب الروح السماوى، ويتحرك فى داخل نفسها باستمرار بالنعمة إلهام وشوق حار للعريس السماوى، راغبة أن تدخل دخولا كاملا إلى الشركة السرية الفائقة الوصف معه، بتقديس الروح .

رؤية العريس السماوى فى نور الروح :

وإذ يرتفع الحجاب عن وجه النفس ، فأنها تحدق فى العريس السماوى وجها لوجه فى نور الروح الذى لا يعبر عنه، وتختلط به بملء الثقة، وتتشبه بموته، وترقب دائما بشوق عظيم أن تموت لأجل المسيح ، وهى تثق بيقين شديد أنها ستنال بقوة الروح انعتاقا كاملاً من الخطية ومن ظلمة الشهوات ، حتى إذا ما اغتسلت وتطهرت بالروح ، وتقدست نفسًا وجسدًا ، يسمح لها حينئذ أن تكون إناء طاهرًا معدًا لاستقبال المسحة السماوية ، وحلول المسيح الملك الحقيقي وحينئذ تؤهل للحياة الأبدية إذ تكون قد صارت منذ تلك الساعة مسكنًا طاهرًا للروح القدس .

الأتعاب والتجارب فى طريق الملكوت :

٥ ــ ولكن النفس لا تصل إلى كل هذه الدرجات مرة واحدة أو بدون امتحان .. فبأتعاب كثيرة ومجاهدات، ووقت طويل واهتمام جاد، وبامتحانات وتجارب متنوعة، تنال النمو والتقدم الروحانى إلى أن تصل إلى درجة الحرية الكاملة من الأهواء والشهوات، حتى إذا احتملت كل تجربة يجربها بها الشرير، بصبر وشجاعة، فأنها حينئذ تتمتع بامتياز الحصول على الكرامات العظيمة، والمواهب الروحية وكنوز الغنى السماوى، وهكذا تصير وارثة للملكوت السماوى بالمسيح يسوع ربنا الذى له المجد والقدرة إلى الأبد آمين .

⁂⁂⁂

العظة الحادية عشر :

نار الروح - فداء المسيح للنفس

" إن قوة الروح القدس فى قلب الإنسان المسيحى هى كالنار ، وما هى الأشياء التى نحتاجها لكى نميز الأفكار التى تنشأ داخل القلب . وعن الحية الميتة التى رفعها موسى وثبتها على السارى فى البرية ، والتى كانت رمزا للمسيح . وتحتوى هذه العظة أيضا على تصور لمحاورتين : واحدة بين المسيح والشيطان ، والأخرى بين الخطاة والشيطان ".

النار الإلهية وتجديد النفس :

١ـــ أن تلك النار السماوية، نار اللاهوت، التى ينالها المسيحيون فى قلوبهم الآن وهم فى هذا العالم الحاضر، هذه النار نفسها التى تعمل فى قلوبهم من الداخل، سوف تصير ظاهرة من الخارج حينما ينحل ويتحلل الجسد، ثم تجمع الأعضاء ثانية وتسبب (هذه النار) قيامة الأعضاء التى كانت قد انحلت واضمحلت.. فكما أن النار التى كانت تتقد على المذبح فى أورشليم ، ظلت مدفونة فى حفرة أثناء فترة السبى ، وعندما حلّ السلام ورجع المسبيون إلى أورشليم ، تجددت هذه النار نفسها واشتعلت كما كانت سابقا قبل السبى (أنظر ٢مكابيين١: ١٩-٢٢) ، هكذا الآن أيضًا فإن النار السماوية تعمل فى هذا الجسد الذى ألفناه ـــ هذا الجسد الذى فى انحلاله (بالموت) يتحول إلى نتانة وقذارة ـــ فتجدد هذا الجسد وتقيمه بعد أن اضمحل وفسد.. أن النار الداخلية التى تسكن الآن فى القلب سوف تستعلن حينئذ من الخارج ، وتتم قيامة الجسد .

٢ـــ ونار الأتون التى أوقدها نبوخذ نصر لم تكن نارًا إلهية، بل مخلوقة، ولكن الثلاثة فتية الذين بسبب برّهم طرحوا فى الأتون، هؤلاء

بينما كانوا فى وسط النار المنظورة، فقد كانوا حاصلين فى قلوبهم على النار الإلهية السماوية عاملة فى داخل أفكارهم وفاعلة بقوتها فيهم.. وهذه النار السماوية كشفت نفسها من الخارج أيضًا.. فحجزت بينهم وبين النار المنظورة فى الأتون وأوقفتها حتى لا تحرق الأبرار، ولا تؤذيهم بأى نوع من الأذى..

وكذلك حينما مال عقل شعب إسرائيل وأفكارهم بعيدا عن الله الحى وتحولوا إلى عبادة الأوثان ، فقد ألزموا هارون بأن يجمع أوانيهم وحليّهم الذهبية وقال هارون لموسى أنه لما طرح الحلي الذهب فى النار خرج هذا العجل كما لو أن النار قد صورت ما فى نيتهم وكان هذا كأمر غريب.. فأنهم فى نيتهم وأفكارهم تحولوا وزاغوا إلى عبادة الصنم ، وبحسب رغبتهم وقصدهم شكلّت النار من حليّهم عجلاً مسبوكًا من صناعتهم وعبدوه وسجدوا له جهرًا (خر٣٢: ٢-٢٤،٩) ..

وكما أن الثلاثة فتية كان لهم أفكار البر ، فقبلوا نار الله فى داخلهم وعبدوا الرب بالحق كذلك الآن فإن النفوس المؤمنة تنال النار الإلهية السماوية فى إنسانها الداخلى ، وهى فى هذا العالم ، وتلك النار نفسها تطبع صورة سماوية فى طبيعتهم البشرية .

٣ــ وكما أن النار صورت الأوانى الذهبية ، فصارت صنما **فكذلك الرب يحقق ويتمم مقاصد النفوس المؤمنة الصالحة ، ويطبع ويصوّر فى النفوس منذ الآن الصورة السماوية الجديدة بحسب رغبتهم وشهوتهم ، وهذه الصورة هى التى ستظهر فى القيامة من الخارج ، وتمجد أجسادهم من الداخل ومن الخارج.. وكما أن الأجساد فى هذا الزمان تضمحل وتموت وتتحلل ، هكذا تفسد الأفكار بعمل الشيطان ، وتموت عن الحياة الحقيقية وتدفن فى الطين والتراب لأن نفوسهم تهلك ..**

وكما أن الإسرائيليين طرحوا الأوانى الذهبية فى النار فصارت صنمًا ، كذلك الإنسان الآن قد سلم أفكاره النقية الصالحة للشر ، فاندفنت فى وحل الخطية وصارت صنمًا.. وما الذى يفعله الإنسان حتى يكتشفها ويعرفها ويميزها ويطرحها بعيدًا عن ناره الخاصة؟ .. هنا تحتاج النفوس إلى المصباح الإلهى ، وهو الروح القدس ، الذى ينير ويجدد البيت المظلم.. إن النفوس تحتاج إلى شمس البر الساطعة ، التى تضئ وتشرق على القلب وهى السلاح الذى تكسب به المعركة .

٤ـ وفى حالة تلك المرأة التى أضاعت الدرهم ، فأنها أوقدت المصباح أولا ، وبعد ذلك كنست البيت ، وهكذا إذ كنست البيت والمصباح مشتعل ، فقد وجدت الدرهم المفقود ، مدفونا فى التراب والوسخ ..

هكذا النفس أيضا ، لا تستطيع من ذاتها أن تجد أفكارها وتميزها ، وتحررها ، ولكن حينما يوقد المصباح الإلهى فإنه ينير البيت المظلم ، وحينئذ تنظر النفس أفكارها ، وكيف كانت مدفونة فى وحل ووسخ الخطية. وتشرق الشمس وترتفع فترى النفس حينئذ هلاكها وتبدأ فى استرداد أفكارها التى كانت مشتتة ومختلطة بالوسخ وعدم الطهارة ، لأن النفس فى الحقيقة كانت قد أضاعت صورتها حين خالفت الوصية .

الخليقة استعبدت مع الإنسان :

٥- وإذا حدث أن ملكا له خيرات وخدم تحت سلطانه يخدمونه ، قد أخذه أعداؤه أسيرًا ، فإنه حينما يؤسر ويبعد عن مملكته ، فأن خدامه وعبيده يتبعونه في أسره.. وهذا ما حدث لآدم ، فأن الله خلقه نقيا لخدمته وعبادته ، وكل هذه المخلوقات أعطيت له لخدمة احتياجاته ، وجعله الله سيدًا وملكًا على جميع المخلوقات.. ولكن حينما جاءته الكلمة الشريرة

(كلمة إبليس) وتحدث معه ، قابلها أولا بالسمع الخارجى ، ثم نفذت إلى داخل قلبه وملكت على كل كيانه.. وحينما أسر وأمسك هكذا ، فأن الخليقة التى كانت تخدمه وتلازمه أمسكت وأسرت معه.. وعن طريق أدم ملك الموت على كل نفس ، وطمس الصورة الإنسانية الكاملة نتيجة العصيان ، حتى أن جنس البشر تحولوا وصاروا يعبدون الشياطين ..

ويا للأسف فإن ثمار الأرض التى خلقها الله حسنة صارت تقدم للشياطين ــ فإنهم يضعون على مذابحهم خبزًا وخمرًا وزيتًا، بل ويقدمون ذبائح الحيوانات أيضًا وليس ذلك فقط، بل صاروا يقدمون بنيهم وبناتهم ذبائح للشياطين . (مز ١٠٦: ٣٧) .

المسيح يجدد النفس ويعيد الخلقة :

٦ــ ولذلك فقد جاء الذى خلق النفس والجسد، أى المسيح، جاء بشخصه وأبطل كل عمل الشرير ، وكل أفعاله التى عملها فى أفكار البشر، وجدّد وأعاد خلقة الصورة السماوية ، لكى يصنع تجديدا للنفس ، لكى يعود آدم مرة أخرى ملكا وسيدا على الموت.. وفى ظلال الناموس سمى موسى مخلصا لإسرائيل لأنه أخرجهم من مصر **وكذلك الآن فإن المسيح المخلص والمحرر الحقيقى، يدخل إلى مكامن النفس الخفية ويخرجها من ظلمة مصر، ومن النير الثقيل والعبودية القاسية المرة.. ولذلك فهو يأمرنا ، أن نخرج من العالم ونصير فقراء فى الأمور المادية المنظورة ولا نهتم بالاهتمامات الأرضية ، بل نقف ليلا ونهارا على الباب وننتظر الوقت الذى يفتح فيه الرب القلوب المغلقة ويكسب علينا موهبة الروح القدس .**

٧ــ ولذلك فقد أخبرنا أن نترك الذهب والفضة والأقرباء ، ونبيع كل مالنا ونوزع على الفقراء وبذلك يكون لنا كنز فى السماء " *لأنه حيث يكون*

كنزك فهناك يكون قلبك أيضًا " (مت٦: ٢١) فالرب يعلم أن الشيطان يسود على الأفكار من هذه الناحية ، ليهبط بها إلى الاهتمام والقلق على الأمور المادية والأرضية.. لهذا السبب فأن الله لأجل عنايته واهتمامه بنفسك ، قد أخبرك أن تتخلى عن الكل حتى تستطيع أن تطلب الخيرات والكنوز السماوية ؛ وتحفظ قلبك منقادًا ومشتاقًا لله ، لأنك حتى لو ملت ورغبت أن ترجع إلى الأشياء المادية فأنك لا تجد شيئا تملكه ، وبذلك فانك تضطر شئت أو لم تشأ أن تلجأ بعقلك نحو السماء حيث كنزت كنزك ووضعته ، لأنه حيث يكون كنزك فهناك يكون قلبك أيضا .

الحية النحاسية والمسيح المصلوب :

٨ ــ لقد أمر الله موسى ــ في الشريعة ــ أن يصنع حية من نحاس ويرفعها ويثبتها على رأس سارى فكان كل من لدغته الحيات ينال الشفاء بمجرد تثبيت نظره على الحية النحاسية ولقد صنع موسى هذا بتدبير وقصد إلهى ، حتى أن أولئك المعاقين بالاهتمامات الأرضية ، وعبادة الأصنام، ولذات الشيطان، وكل أنواع الشر، (هذه الأشياء هى سم الحيات) ــ فإنهم بهذه الوسيلة يتطلعون إلى أعلا، إلى ما هو فوق إلى الأمور السمائية وإذ يبتعدون بنظرهم عن الأشياء السفلية فترة من الوقت فأنهم يعطون اهتمامهم لما هو أعلا وأسمى ، وهكذا يتقدمون رويدًا رويدًا إلى ما هو أعلا وأكثر سموًا لكى يعرفوا ويتعلموا ذلك الذى هو الأعلا جدًا والأسمى جدًا والفائق لكل الخليقة ..

وهكذا فقد أمرك بالمثل أن تصير فقيرًا ، وتبيع كل شئ وتعطى للفقراء، حتى انك فيما بعد إذا أردت أن تنزل بأفكارك إلى أسفل إلى الأرضيات ، فإن الأمر يكون غير مستطاع لديك . تبتدئ تفحص قلبك

وتحاور أفكارك وتقول " حيث إنه ليس لنا شئ على الأرض فلنتجه بقلوبنا نحو السماء ، حيث يوجد كنزنا ، وحيث يوجد شغلنا وربحنا " وهكذا يبتدئ قلبك أن يرفع نظرة إلى فوق، لطلب السماويات ـــ يطلب ما هو فوق ـــ وإذ تفعل هكذا فإنك تنمو فى الروح .

٩ـــ ولكن ما المقصود بالحية الميتة ؟ الحية المثبتة على رأس السارى كانت تشفى أولئك الذين لدغتهم الحيات. **فالحية النحاسية التى بلا حياة قد أبطلت فعل سم الحيات التى فيها حياة . وهذا رمز إلى جسد الرب. فالجسد الذى أخذه من العذراء مريم الدائمة البتولية ، قد قدمه على الصليب، وعلقه هناك مثبتا على الخشبة ، وهذا الجسد المائت على الصليب غلب وقتل الحية التى تعيش وتزحف داخل القلب . هو أعجوبة عظيمة كيف أن حية عائشة ، ولكن كما أن موسى صنع أمرًا جديدًا لما عمل حية من نحاس ، هكذا الرب أيضا قد صنع شيئًا جديدًا من العذراء مريم ، ولبس هذا الجسد بدلا من أن يحضر معه جسدًا من السماء فالروح السماوى دخل فى الطبيعة الإنسانية وعمل فيها ، وجعلها تدخل فى شركة مع اللاهوت إذ لبس الجسد البشرى الذى صوره وشكله فى بطن العذراء . وكما أن الرب لم يأمر بصنع حية من نحاس فى العالم إلاّ فى عهد موسى، هكذا أيضًا لم يظهر فى العالم جسد بلا خطيه إلا جسد الرب يسوع. لأنه حينما تعدى آدم الأول الوصية، ملك الموت وتسلط على جميع أبنائه بدون استثناء ولذلك جاء الرب وغلب بجسده المصلوب الحية العائشه.**

١٠ـــ وهذا الأمر العجيب " *هو لليهود عثرة ولليونانيين جهالة* " (١كو ١:٢٣) ولكن ماذا يقول الرسول ؟.

يقول : " *ولكننا نكرز بيسوع المسيح وإياه مصلوبا ، وهو لليهود عثرة ولليونانيين جهالة وإما عندنا نحن المخلصين فالمسيح قوة الله وحكمة الله* "

(اكو١:٢٣،٢٤)، (اكو٢:٢) لأن الحياة هى فى الجسد المائت على الصليب .هنا الفداء ،هنا النور .

تصور محاورة بين المسيح وسلطان الموت :

هنا يأتى الرب إلى الموت ويحاوره ويأمر سلطان الموت أن يخرج النفوس من الجحيم والموت، ويردها إليه. وكأن الموت قد انزعج من أمر الرب، وكأنه يذهب إلى خدامه ويجمعهم معًا مع كل قواته ويأتي رئيس الشر بوثيقة الدين وكأنه يقول " أنظر فإنهم قد أطاعوا كلماتي، أنظر كيف صار بنى البشر عبيدًا لنا ". ولكن الرب لكونه ديان عادل يظهر عدله هنا أيضًا، وكأنه يقول للشيطان : "إن آدم قد أطاعك وأنت قد امتلكت قلوب كل البشر ، وكل البشرية أطاعتك ولكن ما الذى يفعله جسدى هنا ، أن جسدى هو بلا خطيئة وأن كان جسد آدم الأول قد صار تحت سلطانك ولك الحق أن تستعبده بسبب الخطيئة ، ولكن من جهتي أنا فالجميع يشهدون أنى لم أخطئ قط ، ولذلك ليس لك في شئ بالمرة، بل الكل يشهدون أنى ابن الله، وقد جاء الصوت من أعلى السماوات وشهد لى على الأرض قائلا: "*هذا هو ابني الحبيب له اسمعوا* " (مت٣: ١٧)، (مت١٧: ٥). لقد شهد يوحنا أيضًا قائلاً : "*هو ذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم* " (يو١: ٢٩). ويقول الكتاب أيضا : " *الذى لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه غش* " (أش٥٣: ٩)، (١بط٢: ٢٢) وأيضًا: " *رئيس هذا العالم يأتى وليس له فى شئ* " (يو١٤: ٣٠). وكأن الرب يقول للشيطان وأنت نفسك شهدت لى قائلاً :"*أنا أعرفك من أنت، قدوس الله* " (مر١: ٢٤)، "*أنك أنت ابن الله*" (مر٣: ١١) وأيضًا قلت " *ما لنا ولك يا يسوع الناصرى، هل أتيت قبل الوقت لتهلكنا* " (مت٨: ٢٩، لو٤: ٣٤). إن هناك ثلاثة شهود يشهدون لى ــ الأول هو الآب

الذى أرسل الصوت من السماء ، والثاني هم الذين شهدوا لى على الأرض والثالث هو أنت بعينك . وكأن الرب يقول للشيطان " ولذلك فأنا أفتدى الجسد الذى باعه لك آدم الأول ، وأبطل صكوكك بصليبى. لقد دفعت ديون آدم حينما صليت ونزلت إلى الجحيم ، والآن أنا آمرك أيها الجحيم والظلمة والموت أن تطلق نفوس أبناء آدم المحبوسة " وهكذا فالقوات الشريرة تصاب برعب شديد وتضرب بالفزع وتعيد نفوس آدم وبنيه التى كانت محبوسة .

المسيح يدخل إلى عمق قلبك ليقيمك :

١١ــ ولكن حينما تسمع أن الرب خلص النفوس من الجحيم والظلمة ، فى ذلك الوقت ونزل إلى الجحيم وعمل عملا مجيدا ، فلا تتصور أن هذه الأمور هى بعيده جدا عن نفسك أنت خاصة .

فالإنسان عنده القابلية لدخول وقبول الشرير فى حياته . والموت يمسك بنفوس أولاد آدم ، فتتحبس أفكار النفس فى الظلمة. **وحينما تسمع بالقبور ، لا تفكر فقط فى القبور المنظورة ، فإن قلبك ذاته هو قبر ومدفن وحينما يختبئ رئيس الشر وجنوده كامنين هناك (فى القلب) ، ويصنعون فيه طرقًا ومسالكًا، تسير فيها قوات الشيطان وتدخل إلى عقلك وأفكارك، ألا تكون أنت فى هذه الحالة جحيمًا ومدفنًا وقبرًا، إنسانًا ميتًا من جهة الله ؟ وهناك يصنع الشيطان فضه زائفة مرفوضة. وفى هذه النفس يزرع بذور المرارة. ويخمّرها بالخميرة العتيقة، فينبع فيها ينبوع الوحل والقذارة . ولذلك فإن الرب يأتى إلى النفوس التى تطلبه ويدخل إلى عمق جحيم القلب ، وهناك يصدر أمره للموت قائلاً " أخرج النفوس المحبوسة التى تطلبني ، التى تحتجزها أنت بالقوة وهكذا يكسر الرب الحجارة الثقيلة الموضوعة على**

النفس ، ويفتح القبور ويقيم الإنسان الذى كان مائتا بالحقيقة ويطلق النفس المحبوسة من السجن المظلم .

١٢ــ ومثل إنسان مقيد اليدين والرجلين بالسلاسل، ثم يأتيه شخص ما يفك قيوده ويجعله ينطلق حرًا،هكذا الرب يحل النفس المقيدة بأغلال الموت من قيودها ويطلقها، ويطلق العقل حرًا ليحلق براحه وبدون عائق فى الجو الإلهي. ولو افترضنا أن إنسانًا غرق فى وسط نهر فى شدة فيضانه وتغمره المياه فيصير بلا حياة وتحيط به الحيوانات المائية المخيفة. فإذا أراد إنسان آخر أن ينقذه وهو لا يعرف السباحة فهو أيضا يهلك ويغرق معه، وانه لأمر واضح أنه يلزم وجود سبّاح ماهر، وخبير لينزل إلى عمق المياه ويغطس حتى يرفع الإنسان الغارق وينقذه من وسط الحيوانات، فالماء نفسه حينما ينزل إليه إنسان ماهر فى السباحة فإنه يساعد مثل هذا الإنسان ويحمله إلى السطح. وبنفس الطريقة فإن النفس التى غطست وغرقت فى هاويه الظلمة وعمق الموت، تنفصل عن الله فى صحبة الحيوانات المخيفة، **(هذه النفس) من الذى يستطيع أن ينزل إلى الأماكن المخيفة وإلى أعماق الجحيم والموت لينقذها إلا ذلك الخبير والصانع العظيم الذى خلق النفس والجسد. وهو بشخصه يدخل إلى الناحيتين، إلى عمق الجحيم وإلى عمق القلب حيث يكون الموت ممسكا بالنفس وأفكارها ويخرج آدم المائت من الهاوية المظلمة. إذن فحتى الموت نفسه ــ عن طريق الممارسة والخبرة – يصير مساعدًا للإنسان، كما يفعل الماء مع السباح.**

١٣ــ وأى صعوبة على الله أن يدخل إلى الموت ، أو أن يدخل إلى عمق هاوية القلب ، ويدعو الإنسان المائت من هناك ؟ ففى العالم الطبيعى،

توجد بيوت ومساكن حيث يسكن البشر ، وتوجد أماكن تسكن فيها الوحوش والأسود والتنانين وغيرها من الوحوش السامة. فإن كانت الشمس- التى هى مخلوقة حينما تشرق تدخل في كل اتجاه، من النوافذ والأبواب وحتى إلى مغائر الأسود وجحور الثعابين ثم تخرج ثانية من كل هذه المواضع دون أن تصاب – أى الشمس – بأى ضرر ، فكم بالحرى جدًا عندما يدخل الله رب الكل إلى الأماكن المظلمة الضيقة والمساكن التى نصب فيها الموت خيمته ــ ويدخل إلى النفوس فيها ويوقظ الإنسان من الظلمة والموت دون أن يصاب الله بأى ضرر من الموت ؟ والمطر أيضًا ينزل من السماء ويسرى إلى أسافل الأرض وهناك يرطب ويجدد الجذور الجافة المائتة، وينشأ هناك زرعًا جديدًا .

النعمة تثبت وتسند الأخ المجاهد :

١٤ــ ومن الناس من له جهاد ومعاناة وحرب مع الشيطان، ومثل هذا الإنسان يكون منسحق القلب، ويكون فى حرص وبكاء ودموع.. فإن كان هذا الإنسان يصبر ويحتمل، فإن الرب يكون معه فى الحرب، ويحفظه ويحميه لأنه يطلب ويسعى بغيرة واشتياق، ويقرع على الباب إلى أن يفتح له، فإن رأيت أخًا صالحًا، فإن النعمة هى التى تثبته وتسنده، أما الإنسان الذى بلا أساس فلا تكون فيه مخافة الله هكذا. وقلبه ليس منسحقًا وهو لا يعتنى ويحرس قلبه وأعضاؤه بحيث يسلك باستقامة. فنفس مثل هذا الإنسان هى بعيدة عن النعمة وهو لم يدخل بعد فى الحرب والجهاد. إذن يوجد فرق بين الإنسان الذى له حرب وجهاد وبين ذلك الذى لا يعرف معنى الحرب ــ وحتى البذور حينما تلقى فى الأرض تعانى من الشتاء والصقيع وبرودة الهواء . ولكن فى الوقت المناسب ينبت الزرع ويحيا .

تمسك بوعود الرب وأطلبه باستمرار :

١٥ـ ويحدث أحيانا أن الشيطان يتكلم فى القلب قائلاً: أنظر كم من الشرور فعلت! " أنظر ما أكثر الحماقات التى تمتلئ بها نفسك، وأنت مثقل بخطايا كثيرة حتى أنه لا يمكنك أن تخلص". **والشيطان يقول لك هذا لجذبك إلى اليأس وليجعلك تظن أن توبتك لا تُقبل فمنذ دخل الشر فينا بالمعصية، فقد صار يتحدث مع النفس كل ساعة كما يخاطب الإنسان صاحبه. وأما أنت فأجبه وقل:** "إن عندي شهادات الرب المكتوبة، التى تقول " *إني لا أسر بموت الخاطئ بل ان يتوب ويرجع من شره ويحيا* " (حز١٣:١١،١٨:٢١).

ولأجل هذا الغرض قد نزل الرب وتجسد، ليخلص الخطاة وليقيم الموتى ويحيى النفوس التى هلكت وليضئ على الذين فى الظلمة. أنه فى الحقيقة قد جاء، ودعانا لنكون أبناء بالتبنى، دعانا إلى المدينة المقدسة التى هى فى السلام الدائم، دعانا إلى الحياة التى لا موت فيها، وإلى المجد الذى لا يضمحل، فلنثبت إلى النهاية فى الدعوة التى دعانا إليها وبدأنا فيها. فلنظل فى فقر وفى تغرب وفى احتمال الشدائد، وفى التوسل والصلاة لله قارعين الباب بلجاجة والرب قريب إلينا أكثر من قرب النفس من الجسد. لذلك فهو يأتى ويفتح أبواب القلب المغلقة ويسكب علينا غناه وخيراته السمائية. فهو صالح ومحب ومشفق على الإنسان، ومواعيده صادقة بلا كذب، إن كنا نستمر فى طلبنا إياه إلى المنتهى.. والمجد لرأفات الآب والابن والروح القدس. آمين.

✠✠✠✠✠✠✠

العظة الثانية عشر:

حالة الإنسان قبل السقوط وبعده مريم ومرثا والنصيب الصالح

"عن حالة آدم قبل تعدية وصية الله، وحالته بعد أن فقد صورته السماوية.. وتحتوى هذه العظة أيضا على بعض أسئلة نافعة جدًا".

١ـــ إن آدم بتعديه الوصية، حدثت له كارثة مزدوجة.. فهو فقد نقاوة طبيعته التى كان حاصلاً عليها، والتى كانت جميلة على صورة الله ومثاله، ومن الجهة الأخرى فقد أيضا تلك الصورة عينها التى كان سيرث بها كل الميراث السماوى بحسب الوعد..

فإذا افترضنا أن عملة ذهبية، عليها صورة الملك، قد ختمت بختم مزيف، فإن العملة الذهبية تُعَدّ زائفة، والصورة التى كانت عليها تصبح بلا قيمة. هكذا كانت الكارثة التى حلت بآدم.. وإذا تصورنا ضيعة كبيرة تدر خيرات كثيرة: فى أحد أركانها كرم مزدهر، وفى مكان آخر منها حقول مثمرة، وفى غيره مواشى وقطعان غنم، وفى موضع آخر ذهب وفضة، هكذا كانت ضيعة آدم ـــ ثمينة جدًا قبل العصيان، وأقصد بالضيعة، إناء آدم الخاص.. ولكنه حينما قبل مقاصد وأفكار الشر ورحب بها، هلك من أمام الله ..

٢ ـــ ولكننا مع ذلك لا نقول إن كل شئ قد ضاع وتلاشى ومات .. بل أنه مات عن الله ، ولكنه ظل حيًا بالنسبة إلى طبيعته.. فها عالم البشر كله كما نراه، يسعى فى الأرض، يشتغل ويعمل .. ولكن الله ينظر إلى

أفكارهم وتصوراتهم فيصرف النظر عنهم وليس له شركة معهم ، لأنهم لا يفكرون فيما يرضى الله ، وكما أن الأتقياء إذا مروا أمام البيوت ذات السمعة القبيحة ، والأماكن التى ترتكب فيها الفحشاء والفسق ، فأنهم ينفرون منها ويرفضون مجرد النظر ناحيتها ــ لأن هذه الأمور هى موت فى نظرهم ــ هكذا فإن الله يغض النظر عن أولئك الذين تمردوا على كلمته وعصوا وصيته فتعبر عينيه عليهم ولكنه لا يكون في شركة معهم .. ولا يستطيع الرب أن يجد راحة فى داخل أفكارهم ..

النعمة والمسكنة بالروح :

٣- **سؤال** : كيف يستطيع الإنسان أن يكون مسكينًا بالروح وخاصة حينما يشعر فى نفسه أن حياته قد تغيرت وحصل له نمو روحى ، وحصل على معرفة وفهم لم يكن يملكها قبل ذلك ؟ .

الجواب: قبل أن يحصل الإنسان على هذه البركات وينمو فى النعمة لا يكون مسكيناً بالروح.. ولكنه يظن أنه شئ، ولكن حينما يأتى إلى الفهم الروحى وينمو ويتقدم فإن النعمة نفسها تعلمه أن يكون مسكينا بالروح، وهذا معناه أن هذا الإنسان رغم كونه بارًا ومختارًا من الله، فهو لا يحسب نفسه شيئاً، بل يحفظ نفسه فى اتضاع وإنكار لذاته، كأنه لم يعرف شيئا ولا يملك شيئا رغم أنه يعرف ويملك.. وهذا قانون طبيعى ثابت فى عقل البشر.. ألا ترى كيف أن أبانا إبراهيم، المختار من الله وصف نفسه بأنه "*تراب ورماد*" (تك١٨: ٢٧)، وداود بعدما مسح ملكاً، وكان الله معه ماذا قال ؟ لقد قال: "*أما أنا كدودة لا إنسان. عار عند البشر ومحتقر الشعب*" (مز٢٢: ٦) ..

روح واحد وطريق واحد :

لذلك أولئك الذين يريدون أن يكونوا وارثين مع هؤلاء ومواطنين معهم فى المدينة السماوية، وأن يكونوا ممجدين معهم ، ينبغى أن يكون لهم تواضع العقل هذا، ولا يظنوا أنفسهم شيئا بل يحتفظوا بقلب منسحق.. ورغم أن النعمة تعمل بطريقة خاصة فى كل مسيحى على انفراد، وتعمل أعمالا متنوعة فى الأعضاء ، إلا أن جميع الأعضاء هم من مدينة واحدة ، ولهم فكر واحد وقلب واحد ، ولسان واحد، ويعرفون بعضهم بعضًا.. وكما أن الجسد له أعضاء كثيرة ، ولكن نفسًا واحدة تعمل فى جميع الأعضاء وتحركها ، كذلك أيضًا فإن الروح الواحد يعمل أعمالاً متنوعة فى جميع الأعضاء ويحركها، كذلك أيضًا فإن الروح الواحد يعمل أعمالاً متنوعة فى جميع الأعضاء، ولكنهم جميعًا من مدينة واحدة، وطريق واحد.. فكل الأبرار سلكوا الطريق الضيق الكرب، واضطهدوا وعذبوا وشتموا، "*وطافوا فى جلود غنم وجلود ماعز تائهين فى مغاير وشقوق الأرض*" (عب١١: ٣٧،٣٨).. والرسل أيضًا قالوا " *إلى هذه الساعة نجوع ونعطش ونُعرى ونُلكم وليس لنا إقامة*" (١كو٤: ١١)، والبعض منهم قُطعت رؤوسهم وبعضهم صُلبوا وآخرون عُذبوا بطرق مختلفة.. بل أن الرب نفسه ــ رب الأنبياء والرسل ــ كيف كانت سيرته في هذا العالم.. لقد سلك وكأنه قد نسى مجده الإلهى.. وصار مثالا لنا، وألبسوه إكليل الشوك باستهزاء وعار، واحتمل البصق واللطم والصلب ..

٥ ــ فإن كان الله قد سلك هكذا على الأرض فينبغى عليك أنت أن تتمثل به .. والرسل والأنبياء هكذا سلكوا أيضا ، ونحن إذا أردنا أن نكون

مبنيين على أساس الرب ورسله ، فينبغى أن نتمثل بهم ، فقد قال الرسول بالروح القدس : "*تمثلوا بى ، كما أنا أيضا بالمسيح*" (١كو ١١ : ١) ..

ولكن إن كنت تحب كرامات البشر ، وتود أن يسجد لك الناس وتطلب الراحة ، فإنك تتحول تماما عن الطريق .. أنه يليق بك أن تُصلب مع المصلوب ، وتتألم مع ذلك الذى تألم لكى تتمجد أيضا معه .. لأنه لابد للعروس أن تتألم مع العريس ، وهكذا تصير شريكة ووارثة مع المسيح .. بدون الآلام وبغير الضيقة الكربة ، لا يكون دخول إلى مدينة القديسين حيث الوجود فى الراحة والمُلك مع المَلك ذاته إلى أبد الدهور ..

الروح القدس وخلقة الإنسان :

٦- **سؤال:** لقد قلت إن آدم فقد صورته الخاصة والصورة السماوية أيضا.. فهل كان فيه الروح القدس حينئذ لأنه كان مشتركًا فى الصورة السماوية؟ ..

الجواب : طالما أن كلمة الله كان معه وكانت له الوصية ، فقد كان له كل شئ .. والكلمة نفسه كان ميراثا له ، وكان لباسا له ، وكان هو (الكلمة) مجده الذى يغطيه ويستره (إش٤: ٥) .. وكان هو معلمه .. فقد ألهمه أن يعطى أسماء لكل الأشياء " تدعو هذه السماء ، وهذه الشمس ، وهذا القمر ، وهذه الأرض ، وهذا طير ، وذلك وحش ، وهذه شجرة " وكما كان يتعلم آدم من الكلمة هكذا سَمّى الأشياء جميعها ..

٧ــ **سؤال** : ولكن هل كان لآدم اختبار الروح وشركته ؟ .

الجواب : الكلمة نفسه بحضوره مع آدم ، كان كل شئ بالنسبة له ، سواء كان معرفة أو اختبارًا ، أو ميراثًا أو تعليمًا وإرشادًا .. إذ ماذا يقول يوحنا عن الكلمة ؟ " في البدء كان الكلمة " فأنت ترى أن الكلمة هو كل شئ

وكائن قبل كل شئ .. فأن كان لآدم (قبل السقوط) مجد خارجى حاضر معه فلا نستغرب أو نعثر من ذلك عندما يقول الكتاب : أنهما كانا عريانين وهما لا يخجلان فلما تعديا الوصية انفتحت أعينهما ورأيا أنهما عريانان فخجلا واختبئا من الله (تك٢: ٢٥ـ٣: ٧،١٠) ..

٨- **سؤال** : فهل كانا قبل السقوط لابسين مجد الله عوضًا عن ثوب ؟

الجواب: كما كان الروح يجرى عمله في الأنبياء ويعلمهم وكان فى داخلهم ويظهر لهم من الخارج، هكذا أيضا كان الحال مع آدم.. فالروح، حسبما يشاء، كان يحضر معه ويعلمه، ويشير عليه "تكلم هكذا" وهكذا كان يسير ويتكلم.. لأن الكلمة كان له كل شئ، وطالما كان ثابتًا فى الوصية فقد كان صديقًا لله.. ولكن لماذا نستغرب أنه بالرغم من كل هذه الأحوال التى كان فيها آدم، فقد تعدى الوصية؟ فإن أولئك الذين يمتلئون الآن بالروح القدس، لا تزال تأتيهم أفكار من طبيعتهم، ولهم الإرادة أن يطيعوها، فكذلك آدم رغم أنه كان حاضرًا مع الله فى الفردوس فقد تعدى الوصية بإرادته وأطاع الجانب الشرير.. ولكن بعد عصيانه لا تزال عنده معرفة..

المعرفة بعد السقوط :

٩ـ **سؤال** : أى نوع من المعرفة هذه ؟

الجواب : حينما يحضر المجرم إلى ساحة القضاء وتبدأ المحاكمة ويسأله القاضى قائلا "حينما ارتكبت هذه الشرور ألم تكن تعلم أنك ستكون معرضًا لأن تجازى عنها ويحكم عليك بالموت ؟ " .. فأنه لا يكون له وجه أن يقول لا .. فأنه كان يعرف ، وحينما يبدأ العقاب يتذكر كل شئ ويقر به جهرا ، والزانى أيضا ألا يعرف أنه يفعل شرا ؟ والسارق ألا يعلم أن ما يفعله خطيئة ؟ إذن فحتى من خارج الكتب المقدسة يعرف الناس بالضمير

الطبيعى الذى فيهم أن الله موجود .. أنهم لا يستطيعون أن يقولوا فى ذلك اليوم (يوم الدينونة) " نحن لم نكن نعرف أنك أنت الإله " فهو يقول لهم : " ألم تعرفوا البروق والرعود التى من السماء ، وإنه يوجد إله فوق كل الخليقة ؟ "وإلا فلماذا إذن تصرخ الشياطين " *أنت هو ابن الله لماذا أتيت قبل الوقت لتعذبنا؟*" (مت٣:١١ــ٨:٢٩) وحتى الآن فإن الشياطين يصرخون عند قبور الشهداء قائلين " أنتم تحرقوننا ، أنتم تحرقوننا " فآدم وحواء قبل السقوط لم يكونا قد عرفا شجرة معرفة الخير والشر ، ولكن معصية آدم جعلت له هذه المعرفة ..

١٠ــ أن كل واحد يبدأ أن يسأل ويستقصى ، عن حالة آدم التى كان فيها قبل سقوطه ، وماذا حدث له ؟

أن آدم نفسه نال معرفة الخير والشر .. فنحن نعرف من الكتاب المقدس ، أنه كان فى حالة كرامة ونقاوة ، ولكنه بتعدى الوصية طُرد من الفردوس وحل عليه غضب الله .. وهكذا بدأ يتعلم ما هى الأشياء الصالحة له وما هى الأشياء الشريرة لكى يحترس منها، حتى لا يعود يخطئ أكثر ويسقط فى دينونة الموت.. والآن نحن نعرف أن كل الخليقة هى تحت حكم الله.. فهو الذى خلق السماء والأرض والحيوانات والزحافات والوحوش.. ونحن نرى كل هذه المخلوقات، ولكننا لا نعرف عددها.. وأى إنسان يستطيع أن يعرف عددها ؟ إن الله وحده الذى هو فى كل شئ هو يعرف حتى أجنة الحيوانات التى لم تولد بعد ، أفلا يعرف بالأحرى الأشياء التى تحت الأرض والتى فوق السموات ؟ ..

عجز العقل عن إدراك أعماق الله :

١١ـ فلنترك إذًا هذه الأمور، ونطلب بالحرى ـ مثل التجار ـ كيف نحصل على الميراث السماوى ونمتلكه ، ونحصل على النصيب والميراث الذى لا يضيع أو ينزع منا ، بل يدوم معنا .. فأن كنت وأنت مجرد إنسان تفتش في أفكار الله لتفحصه وتقول " لقد اكتشفت شيئا وأدركته " فبذلك تجعل عقلك البشرى فائقا على أفكار الله .. ولكنك فى هذا الأمر تخطئ خطأً عظيمًا، وبقدر ما تشتهى أن تبحث وتفتش لتدخل إلى أعماق المعرفة، بقدر ذلك تخرج من العمق وتفشل فى أن تفهم شيئًا ..

أن هذه التساؤلات التى تتحرك فى عقلِك من نحو عمله ، الذى يعمله الله يوما فيوما وكيف يعمله ، أنما هى أمور تفوق كل تعبير وكل إدراك ، وأنك لا تستطيع أن تفعل شيئا سوى أن تقبل عطاياه بقلب شاكر وبإيمان .. هل استطعت أن تعرف شيئا عن روحك منذ وقت ولادتك حتى الآن ؟ .. أن كان كذلك فأعلن لى الأفكار التى تنبع فى داخلك من أول الصباح إلى المساء .. خبرنى بأفكارك كلها خلال ثلاثة أيام متتالية .. أنك لا تستطيع هذا .. فإن كنت لا تستطيع أن تدرك أفكار نفسك الخاصة ، فكيف تستطيع أن تفحص وتدرك أفكار الله وعقله ..

١٢ـ أتريد أن تأكل خبزًا كثيرًا بقدر ما تجد ـ فأذهب إذن وكُل ـ وأترك الأرض الواسعة لحال سبيلها ، اذهب إلى شاطئ النهر وأشرب قدر ما تحتاج ، وأمضى فى طريقك ، ولا تطلب أن تعرف من أين يأتى النهر أو كيف يتدفق ويفيض ؟ .. إسع بكل جهدك لتشفى قدمك أو مرض عينك، لكي تستطيع أن ترى نور الشمس ولا تفحص عن مقدار النور الذى تحتويه الشمس ولا إلى أى علو فى السماء ترتفع.. واتخذ من الحيوانات ما هو

نافع ومفيد لحاجتك ، ولا تتجول فى الجبال لتبحث عن الحمير الوحشية أو غيرها من الوحوش الساكنة هناك.. ألا ترى الطفل وهو يقترب من ثدى أمه فيرضع اللبن ويشبع ولكنه لا يفتش عن مصدر اللبن ولا من أين ينبع.. فأنه يرضع اللبن ويفرغ الثدى ، وبعد مرور فترة من الوقت يمتلئ الثدى ثانية ، فالطفل لا يعرف شيئا عن كيفية حدوث هذا الأمر ولا حتى الأم ، مع أن اللبن يؤخذ من دمها وجميع أعضائها ..

الله فى كل مكان وفى داخلنا :

فإن كنت تطلب الرب فى العمق فهناك تجده .. وأن طلبته فى المياه فهناك تجده "*صانعًا عجائب*" (خر١٥:١١) وأن فتشت عنه فى الجب فهناك تجده حارسًا لدانيال البار وسط الأسود، وأن فتشت عنه فى النار فهناك تجده حافظًا عبيده الفتية الثلاثة.. وإن سألت عنه على الجبل فهناك تجده مع إيليا وموسى.. فهو فى كل مكان تحت الأرض وفوق السموات بل وفى داخلنا أيضًا.. نعم إنه فى كل مكان.. كما أن نفسك أيضًا هى قريبة منك ، فى داخلك وفى خارجك ، لأنك إلى حيث تشاء أن تذهب إلى بلاد بعيدة فهناك يكون عقلك ، سواء ناحية الغرب أو ناحية الشرق أو نحو السماء هناك يذهب عقلك ..

النصيب الذى تختاره الآن يظهر يوم الدينونة :

١٣ــ فلنسع ولنهتم فوق كل شئ أن يكون لنا سمة وختم الرب مطبوعًا على قلوبنا فى الداخل ، لأنه فى يوم الدينونة حينما يستعلن غضب الله وتجتمع كل قبائل الأرض أى كل جنس البشر يجتمعون معا ، فحينئذ يدعو الراعى الصالح رعيته الخاصة ، وكل الذين لهم السمة والختم فى داخلهم

سيعرفون راعيهم ، والراعى يعرف أولئك الذين فيهم ختمه ، ويجمعهم معا من كافة الأمم.. فهؤلاء الذين هم له أى خاصته يسمعون صوته ويتبعونه.. أن العالم ينقسم إلى قسمين ، قطيع مظلم يمضى إلى النار الأبدية، وقطيع ممتلئ نورًا ويذهب إلى الراحة السماوية.. فما نختاره ونمتلكه ويكون نصيبنا من الآن فى داخل نفوسنا هو بنفسه الذى سيضئ ويظهر ويستعلن ويكسو أجسادنا بالمجد فى اليوم الأخير ..

١٤ــ وكما أنه فى موسم شهر نيسان (أبريل أى فصل الربيع) تُخرج الجذورالمدفونة فى الأرض ثمارها، وتظهر أزهارها بجمال عظيم، وتظهر الجذور الجيدة التى تحمل الثمار والزهور، كما تظهر تلك الجذور التى تخرج شوكًا، هكذا أيضا فى ذلك اليوم، يظهر على جسد كل إنسان واضحا ما كان يعيش فيه ويفعله وهو فى الجسد.. الأشياء الصالحة والشريرة كلاهما يظهران فى ذلك اليوم.. وعلى هذا الأساس تكون الدينونة والمجازاة ..

الطعام السماوى :

إنه يوجد طعام آخر غير هذا الطعام المنظور.. فحينما صعد موسى على الجبل صام أربعين يوما وهو لم يكن أكثر من إنسان، ولكنه نزل من الجبل ممتلئا بالله.. وها نحن نرى فى أنفسنا أننا إذا لم نسند الجسد بالأطعمة فأنه يضعف خلال فترة وجيزة، ومع ذلك حينما صام موسى أربعين يوما نزل من على الجبل وهو مملوء قوة أكثر من جميع الشعب.. وذلك لأنه كان يتغذى من الله وكان جسده يقتات بطعام آخرــ طعام سماوى..

إن كلمة الله صار طعامًا له ونال منه مجدًا أضاء فى وجه موسى .. .وهذا الذى حدث لموسى كان مثالاً ورمزًا .. **فهذا المجد الإلهى يضئ الآن**

فى داخل قلوب المسيحيين ، ثم فى القيامة ستتغطى أجسادهم بكساء مجد إلهى ، وتقتات بطعام سماوى ..

معنى تغطية الرأس فى الصلاة :

١٥- **سؤال** : ما معنى أن المرأة لا تصلى إلا ورأسها مغطى ؟

الجواب : فى عصر الرسل كانت عادة النساء (عند الأمم) أن يتركن شعور رؤوسهن محلولة كبرقع أو كغطاء ، ولهذا لما جاء الرب ورسله إلى الناس علموهم الوقار والتعقل بأن تغطى المرأة رأسها وقت الصلاة.. كما أن المرأة يقصد بها هنا أن تكون رمزًا للكنيسة.. فبينما كانت النساء فى تلك الأيام يرخين شعورهن بدلا من البرقع فأن الكنيسة تكسو أولادها بملابس وأغطية إلهية مجيدة.. وفى العهد القديم (فى كنيسة إسرائيل) كانت الجماعة واحدة وكان الروح يغطى الخيمة بمجد رغم أنهم هم أنفسهم لم يكونوا حسب الروح، أما الآن فأن كلمة "كنيسة" تستعمل عن النفس بمفردها كما تستعمل عن الجماعة، لأن النفس تجمع كل أفكارها وملكاتها وتصير كنيسة لله. **فالنفس جُعلت وكُونت لتليق لعشرة العريس السماوى وتكون لها شركة مع الإله السماوى، وهذا ينبغى أن يفهم عن النفس بمفردها كما على الكنيسة بجملتها.** ولذلك يقول النبى عن أورشليم: "*وجدتك مطروحة وعارية وألبسك مطرزة* " (حز١٦:٧ـ١٠) وهكذا يتكلم كأنه يخاطب شخصًا واحدًا ..

مريم ومرثا والنصيب الصالح :

١٦ ــ **سؤال**: ما معنى قول مرثا للرب عن مريم " *إنى مجتهدة فى خدمة كثيرة بينما هى جالسة عند قدميك* " (لو١٠:٣٩، ٤٠) ؟

الجواب: إن ما كان يجب أن تجيب به مريم مرثا، سبق الرب وأجابها به وقال إنها قد تركت كل شئ وجلست عند قدمى الرب، وصرفت النهار كله فى تسبيح الله، وهكذا فإن جلوسها كان بسبب المحبة. ولكن لكى تتضح كلمة الله أكثر، أنصتوا لما أقول. إن أى إنسان يحب يسوع، ويلازمه بغيرة وبحب وليس بطريقة عابرة، بل يلتصق به ويثبت فيه بمحبة شديدة، فإن الله يسبق ويرتب لمثل هذه النفس، لتنال جزاء لمحبتها، رغم أن الإنسان لا يكون قد عرف حينئذ ما الذى سيناله من الله، أو ما هو النصيب الذى سيهبه الله للنفس. فحينما أحبته مريم جلست عند قدميه **فإن العطية التى وُهبت لها لم تكن موهبة مؤقتة، بل قد أفاض فى داخلها نعمة خفية من ذات طبيعته، والكلمات التى تكلم بها، فى سلام، إلى مريم كانت كلها روحًا، وقوة، ولما دخلت هذه الكلمات فى قلبها، صارت نفسًا فى نفسها وروحًا فى روحها، وملأت القوة الإلهية قلبها، وحيثما تحل هذه القوة فهى تبقى هناك على الدوام، كميراث ونصيب لا يمكن أن يُنزع، لهذا السبب، فإن الرب الذى يعرف عطيته لها قال: "** ***إن مريم اختارت النصيب الصالح الذى لا يُنزع منها*** **" (لو ١٠: ٤٢) ولكن بعد ذلك بفترة، فإن ما فعلته مرثا بغيرة واجتهاد فى طريق الخدمة، أدخلها كذلك إلى نفس تلك النعمة. فنالت هى أيضًا تلك القوة الإلهية فى نفسها.**

الحق يظهر ذاته للنفوس المؤمنة :

١٧ــ ولماذا نتعجب من أولئك الذين أتوا إلى الرب واتصلوا به شخصيًا فنالوا قوته، إذ أن الرسل حينما كانوا يبشرون بالكلمة، كان الروح القدس يحل على أولئك الذين يؤمنون، وكرنيليوس نال القوة من الكلمة التى سمعها، فكم بالحرى جدًا حينما يتكلم الرب إلى مريم، أو إلى زكا، أو إلى

المرأة الخاطئة، التى حلت شعرها ومسحت قدمى الرب، أو إلى المرأة السامرية أو اللص، **أفلا تخرج القوة من الرب ويعمل الروح القدس فى نفوسهم. وحتى الآن فأولئك الذين يحبون الله ويتركون كل الأشياء لأجله، ويواظبون على الصلاة، فإن الروح يعلمهم سرًا الأمور التى لم يكونوا يعرفونها. والحق نفسه يظهر لهم، بحسب اشتياقهم ورغبتهم فيه، ويعلمهم قائلاً : "*أنا هو الحق*" (يو ١٤:٦).**

إن الرسل أنفسهم قبل الصليب ، بملازمتهم للرب ، رأوا آيات عظيمة ــ كيف كان البرص يتطهرون ، والموتى يقومون ، ولكنهم لم يكونوا يعرفون حينئذ ، كيف تدخل القوة الإلهية وتخرج وتعمل عملها فى القلب ، وكيف يولدون ثانية بالروح، ويشتركوا مع النفس السماوية ويصيروا خليقة جديدة . ولكنهم أحبوا الرب بسبب ما لمسوه من تأثير وآيات. والرب قال لهم : " لماذا تتعجبون من الآيات ، إنى أعطيكم ميراثًا عظيمًا لا يملك العالم كله مثله " .

١٨ ــ إن كلماته كانت تبدو غريبة بالنسبة لهم، إلى أن قام من بين الأموات وصعد بالجسد إلى أعلا السموات من أجلنا، وبعد ذلك انسكب الروح المعزى ودخل فى نفوسهم، واختلط بهم، **والحق نفسه يظهر ذاته فى النفوس المؤمنة ، والإنسان السماوى ــ أى الرب ــ يأتى ليكون مع الإنسان الذى هو أنت . ويصير فى شركة معك .**

فجميع الذين يعطون أنفسهم ليخدموا ، وبغيرة يفعلون كل شئ باجتهاد وإيمان ومحبة لله ، فإن نفس هذه الخدمة تدخلهم ، بعد فترة من الوقت ، إلى معرفة الحق ذاته. لأن الرب ينكشف لنفوسهم ، ويعلمهم طرق الروح القدس .. فالمجد والسجود للآب والابن والروح القدس ، إلى الأبد . آمين.

العظة الثالثة عشر :

أولاد الله

" الثمرة التى ينتظرها الله من المسيحيين "

ثمر العهد الجديد :

١ــ كل الأشياء المنظورة قد خلقها الله، وأعطاها للبشر لأجل فرحهم وتنعمهم ، وقد أعطاهم أيضًا ناموسًا للبر. ولكن منذ أن جاء المسيح إلى العالم ، فإن الله يطلب ثمرة أخرى. وبرًا آخر، ونقاوة قلب وضمير صالح، وكلمات محبة وشفقة ، وأفكارًا مقدسة صالحة ، وكل تدبير سيرة القديسين. فالرب يقول " *إن لم يزد بركم عن الكتبة والفريسيين فلن تدخلوا ملكوت السموات* " (مت٥: ٢٠) "مكتوب فى الناموس، لا تزن ، أما أنا فأقول لكم: لا تشتهى، ولا تغضب" فمن يريد أن يكون صديقًا لله ، وأخا وابنا للمسيح ينبغى أن يفعل شيئًا يفوق باقى الناس، **أى أن يكرس قلبه وعقله (لله)**، ويرفع إليه أفكاره. وبهذه الطريقة فإن الله يعطى لقلبه ــ فى الخفاء ــ حياة وعونًا، بل أن الله يستودع ذاته عينها لهذا الإنسان . فحينما يقدم الإنسان أموره الخفية لله ، أى عقله وأفكاره ، بحيث لا يشغل نفسه فى أى اتجاه آخر ، ولا يتحول بعيدا عنه ، بل يغصب نفسه لينحصر فى الرب ، فإن الرب حينئذ يحسبه أهلا للأسرار السماوية بأعظم قداسة ونقاوة ، ويعطيه الطعام السماوى والشراب الروحانى .

الخدم والأولاد :

٢ ــ وكما يحدث أن إنسانًا عنده خيرات عظيمة ، وله أولاد كما أن عنده خدم ، فهو يعطى للخدم نوعًا من الطعام يختلف عن الطعام الذى

يعطيه لأولاده المولودين منه، لأن الأولاد هم ورثة أبيهم، ويأكلون معه، لأنهم يشبهون آبائهم. هكذا المسيح أيضًا، رب البيت الحقيقى، الذى خلق كل الأشياء بنفسه ، فإنه ينعم على الأشرار وغير الشاكرين. وأما الأولاد، الذين ولدهم من ذاته، والذين منحهم نعمته، والذين يتصور هو فيهم، هؤلاء يزودهم – أفضل من الآخرين – بتنعم وغذاء مخصوص طعاما وشرابا .

وإذ يذهبون مع يسوع والدهم فى كل مكان ، فإنهم يعطيهم ذاته ، كما يقول الرب " *من يأكل جسدى ، ويشرب دمى يثبت فى وأنا فيه*" *وأيضا* "*لا يرى الموت* " (يو٦:٥٦ ، ٨:٥١) .

فأولئك الذين يمتلكون الميراث الحقيقى، قد ولدوا كبنين للآب السماوى، ويقيمون فى بيت أبيهم، كما يقول الرب " *العبد لا يبقى فى البيت إلى الأبد، أما الابن فيبقى إلى الأبد* " (يو٨:٣٥) .

٣ ــ فإذا أردنا إذا أن نُولد من الآب السماوى ، فينبغى أن نفعل شيئا يفوق سائر البشر . الاجتهاد والجد والغيرة والمحبة ، والسيرة الصالحة ، وأن نكون فى الإيمان ومخافة الرب ، كأناس يشتهون الحصول على خيرات عظيمة بهذا المقدار ، وأن نرث الله نفسه. كما يقول الكتاب " *الرب هو نصيب ميراثى وكأسى* " (مز١٦:٥) . وهكذا إذ ينظر الرب قصدنا الصالح وصبرنا وثباتنا ، **فإنه يسكب رحمته علينا ويطهرنا من دنس الخطية ، ومن تلك النار الأبدية التى فى داخلنا ويجعلنا مناسبين وملائمين للملكوت . والمجد لحنانه الرقيق ، وللمسرة الصالحة التى ظهرت من الآب والابن والروح القدس . آمين .**

+++++++

العظة الرابعة عشر :

حلول المسيح فى الإنسان
أرض اللاهوت

"أولئك الذين يسلمون أفكارهم وعقلهم لله، يفعلون ذلك على رجاء أن تستنير عيون قلوبهم، وأن يعطيهم الله أسراره فى أعظم قداسة ونقاوة. ويمنحهم من نعمته. ما يجب أن نفعله نحن الذين نرغب فى الحصول على الخيرات السماوية. مقارنة الرسل والأنبياء بأشعة الشمس التى تدخل من النافذة. تعلم العظة أيضًا عن ما هى "أرض الشيطان" وما هى "أرض الملائكة". وأن كلتيهما لا تُلمسان ولا تُنظران إلاّ لعيون القلب الروحانيين" .

التعب والزرع على رجاء :

١ـــ كل الأعمال المنظورة التى تعمل فى العالم ، إنما تُعمل على رجاء الاشتراك والانتفاع بنتائج هذه الأعمال ، ولولا الثقة والتيقن من التمتع بثمار التعب فلا تكون هناك فائدة تكسب . فالزارع يبذر البذار على رجاء الثمار ، وهذا الرجاء يسنده ويشدده فى احتمال مشقات كثيرة . كما يقول الرسول " *إن الحراث يحرث على رجاء*" (١كو٩: ١٠) والذى يأخذ زوجة ، إنما يفعل ذلك على رجاء أن يكون له ورثة ، والتاجر يسلم نفسه للبحر ولخطر الموت بهدف الربح . هكذا أيضا فيما يخص ملكوت السموات ، فإن الإنسان يسلم نفسه للرب برجاء أن تستنير عيون قلبه (أف١: ١٨) منصرفًا عن أمور هذه الحياة، ويحفظ نفسه حرًا، ليكون انشغاله بالصلوات والتضرعات ناظرًا إلى الرب ومنتظرًا إياه حين يأتى ويكشف نفسه له ، وأيضًا حين يطهره من الخطية الساكنة فيه .

رجاء حلول الرب بملء اختبار الروح :

٢ــ وهو مع ذلك لا يضع ثقته فى أتعابه ، وطريقة حياته ، إلى أن يحصل على الأشياء التى يترجاها ، أى إلى أن يأتى الرب ويحل فيه بملء اختبار الروح وفاعليته . وحينما يتذوق صلاح الرب ويبتهج بثمار الروح ، وحينما يُرفع عنه ستار الظلمة، ويضيء عليه نور المسيح ويعمل فيه بفرح لا ينطق به، فحينئذ يشبع ويرضى تماما إذ يكون حاصلا على الرب معه فى محبة عظيمة، كما يفرح التاجر ــ كما ذكرنا فى المثل ــ حينما يحصل على الربح ولكن لا يزال عنده خوف من اللصوص ــ أرواح الشر ــ لئلا يتكاسل ويضيع تعبه، قبل أن يدخل ملكوت السموات فى أورشليم العليا .

٣ــ لذلك فلنتوسل إلى الله أن ينزع منا الإنسان العتيق ويجردنا منه، ويلبسنا المسيح السماوى ، هنا ومن هذه اللحظة الحاضرة ، حتى إذ نكون فى فرح وبهجة ، وإذ نكون منقادين بروحه ، فإننا سنكون فى هدوء وسلام عظيم . وإن الرب الذى يريد أن يملأنا ويشبعنا بتذوق الملكوت ، يقول "*بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئا*" (لو١٥:٥) .

الرسل أنوار للعالم :

وقد عرف الرب كيف ينير كثيرين بواسطة الرسل . فالرسل كانوا هم أنفسهم خلائق مثل غيرهم ، ولكنهم ربّوا وغذوا العبيد رفقائهم . وبسيرتهم الصالحة وتعاليمهم أحيوا وأقاموا عقول الناس التى كانت مائتة وفاسدة . فمن الممكن أن يقوم أحد المخلوقات بتغذية وإحياء مخلوق آخر . فالسحب، والمطر والشمس ، بحسب أمر الله ، تُحيى بذار القمح والشعير ، رغم أنها مجرد خلائق فقط ، ومثل النور الذى يأتى من خلال النافذة ، فى حين أن

الشمس ترسل أشعتها على العالم كله ، هكذا كان الأنبياء هم أنوار بيتهم الخاص ــ أى على إسرائيل ــ وليس أكثر ، وأما الرسل فهم شموس يسطعون بأشعتهم فى كل أركان وأرجاء العالم .

"أرض الشياطين " و " أرض اللاهوت " :

٤ ــ هناك " **أرض** " تسكنها الوحوش ، وهناك " **أرض** " أخرى فى الهواء تتحرك فيها الطيور وتعيش . فإذا أرادت الطيور أن تقف أو تسير على الأرض فإن الصيادين يصطادونها. والأسماك أيضًا لها " أرض" وهى مياه البحر. والمكان الذى يولد فيه أى كائن، سواء على الأرض أو فى الهواء، ففيه يعيش، وفيه يقتات ويجد لذته وراحته. وبنفس الطريقة فهناك "أرض" وبيت للشياطين، حيث تعيش قوات الظلمة وأرواح الشر، وهناك تتحرك وتجد راحتها، كما توجد "أرض" نورانية هى أرض اللاهوت، حيث معسكرات الملائكة والأرواح المقدسة تصعد وتهبط وتجد راحتها. فتلك الأرض المظلمة لا يمكن أن تُرى بعيون هذا الجسد ولا أن تُلمس، وكذلك الأرض النورانية أرض اللاهوت ، لا تُلمس ولا تُرى بالعيون الجسدية. أما بالنسبة للروحانيين فإن " الأرض" الشيطانية، و" أرض" اللاهوت كلاهما تتكشفان لعيون قلوبهم .

٥ ــ فإن كانت أسطورة أولئك الذين من خارج ، تقول: إنه توجد جبال نارية، لأن النار متقدة فيها، وإنه توجد فيها حيوانات مثل الأغنام. وأن الذين يصطادونها يصنعون لهم عجلات حديدية، ويطرحون خطاطيفهم ويلقونها فى النار، لأن تلك الحيوانات تقتات على النار، والنار هى شرابها وهى لذتها وبها تنمو وتحيا. فالنار بالنسبة لها هى كل شئ. فإن أتيت بها

إلى هواء آخر فإنها تموت . وحينما يتسخ صوفها فإنها لا تُغسل فى الماء، بل فى النار، فتُنظف وتُبيضّ أكثر. هكذا المسيحيون عندهم النار السماوية كطعام لهم. وهى لذتهم تنعمهم. وهى تنظف قلوبهم وتغسلها وتقدسها. وهى تُنميهم. وهى هواؤهم وحياتهم. فإن خرجوا يهلكهم الروح الشرير، كما أن الحيوانات فى الأسطورة ـ تموت حينما تترك النار، وكما يموت السمك حينما يخرج من الماء، وكما أن الوحوش ـ ذوات الأربع ـ تغرق إذا طُرحت فى البحر، وكما أن الطيور إذا سقطت على الأرض يصطادها الصيادون، كذلك النفس التى لا تقيم فى تلك " **الأرض** " ، فإنها تختنق وتهلك، وإذا لم تكن تلك النار الإلهية هى طعامها وشرابها ولباسها، وهى تطهير لقلبها ، وهى تقديس للنفس، فإن الأرواح الشريرة تأخذها وتدمرها. أما بالنسبة لنا، فلنفحص بغيرة وإخلاص، هل نحن قد تم زرعنا فى تلك "الأرض" غير المنظورة وطُعمنا فى الكرمة السماوية أم لا ؟ .

والمجد لمراحمه . آمين .

العظة الخامسة عشر :

القداسة والنقاوة

"هذه العظة تعلّم بالتفصيل، كيف ينبغى على النفس أن تسعى بالقداسة والطهارة والنقاوة نحو عريسها يسوع المسيح مخلص العالم. وتحتوى أيضا على بعض مناقشات مملوءة بفائدة عظيمة مثل: هل تقوم جميع الأعضاء فى القيامة كاملة؟ وعن الشر، وعن الإرادة الحرة وعن كرامة الطبيعة البشرية "

خطبة المسيح للنفس :

١ ــ إذا كان إنسان غنيا جدا وهو ملك عظيم ، ويضع قلبه على امرأة فقيرة لا تملك شيئا سوى نفسها . ويصير محبا لها ويرغب أن يأخذها لتعيش معه عروسا له فحينئذ ، إن هى أظهرت كل سخاء وخير ومحبة زوجها ، مخصصةً أيضًا حبها له ، فإن تلك المرأة الفقيرة المسكينة التى لم تكن تملك شيئا تصير سيدة مالكة لكل ما يخص زوجها .

ومن الناحية الأخرى ، فإنها إذا تصرفت ضد ما هو واجب وضد الالتزام والمسئولية، وسلكت بما لا يليق فى بيت زوجها، فإنها حينئذ تُطرد خارجًا فى خزى ومهانة وعار، واضعة يديها على رأسها كما يقول العهد القديم بالرمز عن الزوجة التى لا تسلك بلياقة فى الغنى العظيم الذى سقطت منه وأى مجد قد ضاع منها ، وكيف تجردت من كرامتها بسبب حماقتها .

واجب النفس التى يخطبها المسيح العريس السماوى :

٢ ــ وبنفس الطريقة فإن النفس التى يخطبها المسيح العريس السماوى لنفسه لأجل شركته السرية الإلهية ، و التى قد تذوقت الغنى السماوى ،

يجب عليها بكل اجتهاد وإخلاص، أن ترضى المسيح حبيبها وتتمم كل ما هو واجب ولائق ، خدمة الروح التى أُستؤمنت عليها ، وأن تُرضى الله فى كل شىء ، ولا تحزن الروح فى أى شىء وتحفظ التواضع والمحبة بحسب ما هو واجب نحوه هو الذى فيه يكمن الكمال ، وتسلك حسنا فى بيت الملك السماوى بكل سخاء وخير وشكر قلب لأجل النعمة التى أعطيت لها.

فمثل هذه النفس تصير سيدة ومتولّية على كل خيرات الرب وحتى جسد مجد لاهوته يصير لها . ولكن إن سقطت ، وسلكت ضد الواجب فى خدمتها له ولم تفعل الأشياء التى ترضيه ، ولم تتبع إرادته ولا تعاونت مع نعمة الروح الحاضر معها ، فإنها حينئذ تحرم من كرامتها وتصير فى خزى ومهانة، وتنفى من الحياة ، كأنها غير نافعة وغير مناسبة لشركة الملك السماوى . حينئذ يكون غم وبكاء ورثاء على هذه النفس وسط كل الأرواح القديسة غير المنظورة : الملائكة والقوات،والرسل والأنبياء والشهداء يبكون عليها .

٣ ــ فإنه كما قال الرب " *يكون فرح فى السماء* " (لو١٥:٧) ، كذلك يكون أسف وبكاء فى السماء على نفس واحدة تسقط من الحياة الأبدية . وكما أنه حينما يموت إنسان غنى ، على الأرض ، فإنه يُشيَّع بالموسيقى ، والألحان الحزينة والولولة (العويل) من أخوته وأقاربه وأصدقائه ومعارفه، هكذا فإن جميع القديسين ينتحبون بألحان حزينة ومراثى على تلك النفس . وهذا هو نفس ما يقوله الكتاب المقدس فى موضع آخر بلغة رمزية " *وَلوِل يا سرو لأن الأرز سقط* " (زكريا ١١:٢) .

فكما أن إسرائيل ، حينما كان يظن فيه أن يرضى الرب – مع أنه لم يرض الرب أبدا كما ينبغى – كان لهم عمود سحاب يظللهم ، وعمود نار يضىء عليهم ، وقد رأوا البحر ينقسم أمامهم ، والماء الصافى يخرج من

الصخرة ، و لكن حينما تحول قلبهم وقصدهم عن الله ، أهلكتهم الحيات أو سلموا لأيدى أعدائهم فاقتيدوا إلى أسر مؤلم وعذبوا بعبودية مرة . وهذا ما يعلنه الروح سرّيًا بحزقيال النبى أيضًا ، قائلاً عن مثل هذه النفس كأنها أورشليم " *وجدتك عريانة فى البرية فغسلتك من ماء نجاستك، وألبستك ثوبا، ووضعت عليك أساور فى يدك وطوقا فى عنقك وأقراطا فى أذنيك . فخرج لك اسم بين جميع الأمم وأكلت السميذ والعسل والزيت ، و بعد كل هذا نسيت خيراتى ، وذهبت وراء عاشقيك وزنيت بخزى وعار* " (أنظر حزقيال ١٦:٧ – ١٧) .

لنتمم خلاصنا بخوف ورعدة :

٤ ــ هكذا بالمثل فإن الروح يحذر النفس التى تعرف الله من خلال النعمة، بعد أن تتطهر من خطاياها السالفة وتتزين بزينة الروح القدس، وتصير شريكة فى الطعام الإلهى السماوى، ولا تسلك كما يجب بتمييز وتحفظ، ولا تحافظ كما يجب على التوقير والحب للمسيح العريس السماوى، وهكذا تُرفض وتُطرد من الحياة التى كانت شريكة فيها قبلا .

فإن الشيطان يمكن أن يقوم وينتهز فرصة حتى ضد أولئك الذين وصلوا إلى مقاييس مثل هذه، وحتى ضد أولئك الذين قد عرفوا الله فى نعمة وقوة، فإن الخطية لا تزال ترفع رأسها وتسعى أن تسقطهم . لذلك ينبغى أن نجتهد ، ونسهر على نفوسنا بتبصر وحكمة ، وأن "*نتمم خلاصنا بخوف ورعدة* " كما هو مكتوب (في٢:١٢)، فمهما كنتم أنتم الذين صرتم شركاء فى روح المسيح ، فانظروا أن لا تسلكوا بازدراء أو عدم اهتمام فى أى شيء ، صغيرا كان أم كان كبيرًا ولا تزدروا بنعمة الروح ، حتى لا تُبعدوا من الحياة التى قد صرتم شركاء فيها .

٥ ــ وسأكرر هذا بمثل آخر . فإذا جاء خادم إلى قصر الملك ليستخدم الأوانى الموجودة هناك ، فهو يأخذ من الخيرات الخاصة بالملك ــ فهو لم يحضر معه شيئًا ــ ويخدم الملك بأوانى الملك الخاصة . هذا الخادم يحتاج هنا إلى حكمة كثيرة وبصيرة وتمييز ، حتى لا يرتكب خطأ فى الخدمة ، كأن يحضر إلى المائدة الملوكية نوع من الأطباق غير الذى كان يجب أن يحضره، بل ينبغى أن يرتب الأوانى على المائدة بنظام من الأول إلى الآخر بالترتيب السليم فإذا كان بسبب الجهل وعدم التمييز، لا يخدم الملك بالنظام السليم وبترتيب، فإنه يفقد مكانه ومعيشته فى القصر. وبنفس الطريقة فإن النفس التى تخدم الله بالنعمة والروح يلزمها تبصر كثير ومعرفة لكى لا ترتكب خطأ فى أوانى الله ، أى فى خدمة الروح ــ بعدم حفظ إرادتها الخاصة فى توافق مع النعمة. فإنه من الممكن فى مجال خدمة الروح التى تتم سرًا بواسطة الإنسان الباطن، **أن تقوم النفس بخدمة الرب فى أوان من عندها، أى بروحها هى، ولكن الله لا يمكن أن يخدم بغير أوانى الله أى بغير النعمة حتى ترضيه وتعمل مشيئته فى كل شىء .**

الحاجة إلى الحكمة والتمييز :

٦ ــ وحينما ينال الإنسان النعمة ، فإنه يكون حينئذ فى حاجة شديدة إلى الفهم والحكمة والتمييز – وهذه العطايا هى نفسها تعطى من الله للنفس التى تطلبها منه – لكى يعبد إله عبادة مقبولة بالروح الذى ناله ، ولا تهاجمه الخطية بغتة فيخطئ ، ولا يُغوى بالجهالة والطياشة والإهمال ويسلك ضد ما تطلبه مشيئة الرب، لأن نتيجة هذه الأشياء العقاب والموت، والبكاء لمثل هذه النفس. فالرسول القديس يقول " *لئلا بعد ما كرزت للآخرين أصير أنا نفسى مرفوضًا* " (١كو٩:٢٧) وها أنتم تنظرون أى حذر

وخوف كان عنده، مع أنه كان رسول الله ، لذلك فلنتوسل إلى الله ، نحن الذين حصلنا على نعمة الله ، لكى نعبد عبادة الروح حسب مشيئته بأكثر مما هو معتاد ، ولا يكون لنا شركة مع أفكار الاحتقار والعصيان ، حتى إذا ما عشنا بطريقة مرضية للرب وعبدناه عبادة روحية حسب مشيئته فإننا إذ نحيا هكذا نرث الحياة الأبدية .

أعضاء الجسم وأعضاء النفس :

٧ ــ هناك البعض عندهم عاهات فى أجسامهم، فقد يحدث أن إنسانا تكون بعض أعضاؤه صحيحة ، كعيناه مثلاً، أو غيرها من الأعضاء ، ولكن بقية أعضاؤه عاجزة ، هكذا أيضا فى العالم الروحى فقد يكون إنسان سليم وصحيح فى ثلاث أعضاء من روحه ولكن ليس كاملا . فأنتم ترون كم للروح من مراحل ودرجات ، وكيف أن الخطية يتم تصفيتها والتنقية منها على مراحل متتالية وليس دفعة واحدة ، وأن عناية الله كلها وتدبيره للخليقة ، وإشراق الشمس ، وكل ما خلقه هذه جميعها إنما هى لأجل الملكوت الذى سيرثه المختارون لأجل تكوين ملكوت السلام والوئام .

نقاوة القلب وعدم إدانة الغير :

٨ ــ لذلك يجب على المسيحيين أن يجتهدوا على الدوام ، ولا يدينوا أحدا بالمرة – ولا يدينوا حتى الزانية فى الشارع ولا الأئمة المشهورين بخطاياهم والمتمردين – بل وأن ينظروا إلى كل البشر ببساطة النية ونقاوة العين ، حين يصير الأمر هكذا كقانون ثابت فى الطبيعة أن لا يحتقر أحدًا، ولا يدين أحدًا ، ولا يمقت أحدًا حتى ولا يجعل تمييزًا بين أشخاص الناس. فإن رأيت إنسانا بعين واحدة، فلا تنقسم فى داخل قلبك، بل أنظر إليه

وراعيه كما لو كان صحيحًا تمامًا. والإنسان الأقطع (ذو يد واحدة) أنظر إليه كما لو كان بيدين، والأعرج تنظر إليه كالذى يسير معتدلاً، والمشلول كالصحيح .

هذه هى نقاوة القلب، أنك حينما ترى خطاة أو مرضى، أن تشفق عليهم وترثى لحالهم ، وتكون حنونًا ومحبًا من نحوهم[1] ويحدث أحيانا أن قديسى الرب يجلسون فى المراصد ، وينظرون ضلال العالم وخداعه . فبحسب الإنسان الباطن هم يتخاطبون مع الله ، ولكن بحسب الإنسان الخارجى فإنهم يظهرون للناس كأنهم يتأملون ما يحدث فى العالم .

٩ ــ إن أهل العالم هم تحت تأثير روح الشر الواحد، فيجعلهم يهتمون بالأمور الأرضية ، أما المسيحيون فلهم هدف آخر ، وفكر واهتمام آخر ، فهم من عالم آخر ومدينة أخرى . إن روح الله له شركة مع نفوسهم ، وهم يدوسون العدو تحت أقدامهم . فإنه مكتوب " آخر عدو يبطل هو الموت " (١كو١٥: ٢٦) . فالأتقياء هم سادة لكل الأشياء ، أما أولئك المتراخون فى الإيمان والخطاة فهم عبيد لكل الأشياء ، والنار تحرقهم ، والحجر والسيف يذبحانهم وأخيرا تتسلط عليهم الشياطين .

قيامة الأجساد :

١٠ ــ سؤال : هل تقوم كل أعضاء (الجسم) ، فى القيامة ؟

جواب: إن كل شيء سهل على الله، وهو قد وعد بالقيامة، رغم أن هذا يبدو مستحيلا بالنسبة إلى الضعف البشرى والفكر البشرى، لأنه كما أن الله أخذ من التراب ومن الأرض وكوّن الجسد بطبيعة أخرى مختلفة وغير

[1] قارن بالعظة الثامنة فقرة٦ .

مشابهة بالمرة للأرض، وجعل فيه أنواع أعضاء وعناصر كثيرة، مثل الشعر، والجلد، والعظام، والأوتار، أو كما أن الإبرة إذا طرحت فى النار، يتغير لونها وتصير نارًا، رغم أن طبيعة الحديد (المصنوعة منه الإبرة) لا تنتزع بل تظل قائمة، كذلك أيضا فى القيامة، فإن جميع الأعضاء تقوم، وحتى شعرة واحدة لا تهلك، كما هو مكتوب (لو ٢١:١٨) وكل الأعضاء تصير مثل النور، وكلها تكون مغمورة فى النور والنار، وتتغير تغييرًا حقيقيا ، ولكنها لا تتحلل وتصير نارًا خالصة كما يقول البعض، فلا يتبقى من قوامها الطبيعى شىء بالمرة على حسب ذلك الرأى، لا بل أن بطرس يظل هو بطرس ، بولس يظل هو بولس ، فيلبس هو فيلبس . وكل واحد يظل فى طبيعته الخاصة وشخصيته ولكنه يكون مملوءً بالروح .

وأما إن قلت إن الطبيعة تتحلل وتفنى، فعندئذ لا يكون هناك وجود لبطرس أو بولس، أو أى شخص، ولا الذين ذهبوا إلى جهنم يحسون بعذابهم، ولا الذين دخلوا إلى الملكوت يشعرون بالغبطة والسعادة .

١١ ــ فإن قلنا إن هناك بستانا زُرع فيه كل أنوع أشجار الفواكه، وكان فيه الكمثرى والتفاح والعنب ، أشجارًا بثمارها وأوراقها ، وهذا البستان تغير وكل الأشجار وأوراقها تحولت إلى طبيعة أخرى وصارت مثل النور ، هكذا أيضًا فإن البشر يتغيرون فى القيامة ، وتتقدس أعضاؤهم وتصير مثل النور (نورانية) .

الصبر واحتمال الاضطهاد :

١٢ – فيجب إذن على رجال الله أن يَعدّوا أنفسهم للحرب والقتال فكما أن الشاب الشجاع يحتمل الضربات التى تأتى عليه فى مباراة المصارعة

ويردها ثانية ، كذلك يجب على المسيحيين أن يتحملوا الشدائد التى من الخارج ، والحروب التى من الداخل ، لكيما ينتصروا بواسطة الصبر رغم أنهم يضربون، **فهذا هو المسيحى. لأنه حيثما يكون الروح القدس، فهناك يتبعه الاضطهاد والحرب كظل له .**

فأنت ترى الأنبياء ، كيف اضطهدهم أقرباؤهم من الأول إلى الآخر ، بينما كان الروح القدس يعمل فيهم . وانظر كيف أن الرب، الذى هو الطريق والحق ، كان مضطهدا ليس من أمة أخرى ، بل من خاصته . وخاصته – أى شعب إسرائيل– هم الذين اضطهدوه وصلبوه . كذلك كان الأمر مع الرسل. ومنذ أن جاء الصليب نزع الروح المعزى من محلة إسرائيل، وانتقل إلى المسيحيين وحل عليهم . ولم يُضطهد اليهود بعد ذلك، وصار المسيحيون وحدهم هم الشهداء .

لهذا السبب فلا ينبغى أن يستغرب المسيحيون ذلك . فلابد للحق أن يُضطَهد .

الخطية وقلب الإنسان :

١٣ ــ **سؤال :** يقول البعض إن الشر يدخل من الخارج وإن الإنسان يستطيع أن يمنعه من الدخول إذا أراد ويطرده عنه .

جواب : كما أن الحية تحدثت إلى حواء وبسبب إذعانها دخلت إلى داخلها، هكذا أيضًا إلى هذا اليوم فإن الخطية التى هى خارج الإنسان تدخل إلى داخله برضى وإذعان منه . فالخطية لها السلطان والحرية أن تدخل إلى القلب . لأن أفكارنا ليست خارجية بالنسبة لنا بل هى تأتى وتنبع من القلب فى الداخل . فالرسول يقول : "*فأريد أن يصلى الرجال فى كل مكان*

رافعين أيادى طاهرة بدون غضب ولا مجادلات[٢] *رديئة* " . لأن هناك " *أفكار تخرج من القلب* " كما يقول الإنجيل (متى ١٥: ١٩) .

فأدخل للصلاة وافحص قلبك وعقلك ، وقرر فى نفسك أن ترفع صلاتك نقية لله ، وانظر جيدا أن لا يكون هناك شيء يعوق صلاتك ، وأن تكون صلاتك طاهرة، وانظر هل عقلك منشغل تماما بالرب ، كما ينشغل الزارع بزراعته ، والعريس بعروسه ، والتاجر بتجارته ، أم أنك بينما تحنى ركبتيك للصلاة يقوم آخرون بتشتيت أفكارك وسحبها بعيدًا .

إمكانية الخطية بعد المعمودية :

١٤ ـ ولكنك قد تقول أن الرب قد جاء ودان الخطية بالصليب (رو ٨: ٣) وأن الخطية لم تعد بعد ذلك موجودة فى الداخل . ولكن إذا فرضنا أن أحد الجنود وضع عربته فى داخل بيت أحد الناس ، أفلا يكون له الحرية أن يدخل ذلك البيت ويخرج منه كما يريد . هكذا فإن الخطية لها حرية أن تجادل فى داخل القلب . إنه مكتوب أن الشيطان " *دخل إلى قلب يهوذا* " (يو ١٣: ٢٧) وأما إذا قلت أن الخطية قد أدينت بمجيء المسيح، وأن الشر ليس له الحرية – بعد المعمودية – أن ينازع فى داخل القلب ، أفلا تعرف أنه منذ مجيء الرب إلى هذا اليوم ، وكل الذين قد اعتمدوا ، توجد عندهم أفكار شريرة فى بعض الأوقات ؟ . وألم يتحول البعض منهم إلى المجد الباطل ، وإلى الزنى ، أو إلى الشراهة ؟. وهل كل الناس الذين هم فى داخل حدود الكنيسة ، لهم قلوب نقية وبلا عيب . وألا نجد أن هناك

---

[٢] الكلمة المترجمة "مجادلات" فى الأصل اليونانى فى ١تيمو ٢: ٨ هى نفس الكلمة المترجمة "أفكار" فى إنجيل متى ١٥: ١٩ .

خطايا كثيرة ترتكب بعد المعمودية ، وأن كثيرين يعيشون فى الخطية، إذن فحتى بعد العمودية، فإن السارق "الشيطان" له حرية أن يدخل ويفعل ما يشاء .

محبة الله من كل القلب :

١٥ ــ أنه مكتوب "تحب *الرب إلهك من كل قلبك* " (تث١٦:٥) وأنت تقول "إنى أحب الله ، وعندى الروح القدس فهل عندك تذّكر مستمر للرب، ومحبة مشتعلة ، وشوق حار إلى الرب ؟. **وهل أنت ملتصق ومرتبط بالرب بهذه الطريقة نهارًا وليلاً ؟. فإن كان عندك محبة مثل هذه ، فإنك تكون نقيا،** ولكن إن لم تكن لك، فحينئذ ينبغى أن تفحص باستمرار: إذا أتت فى طريقك الأشغال الأرضية أو الأفكار الدنيئة الشريرة ، هل يكون لديك ميل إليها ، وهل تنجذب نفسك إلى المحبة والاشتياق لله باستمرار. إن أفكار العالم تُحدر العقل إلى الأمور الأرضية الفاسدة ولا تدعه يحب الله أو يتذكر الرب . وقد يحدث من الناحية الأخرى أن إنسانا أميًّا يذهب إلى الصلاة ، ويحنى ركبتيه ويدخل عقله إلى الراحة وعلى قدر ما يحفر ويتعمق ، فإن سور الخطية ينهدم أمامه ويدخل إلى الرؤيا والاستعلان والحكمة ، حيث لا يقدر العظماء والحكماء والفصحاء أن يدخلوا إلى هناك ليفهموا ويعرفوا حالة عقله السامية ، إذ أنه يكون مستغرقا ومشغولا بالأسرار الإلهية ، والذى ليس له خبرة فى تمييز القلوب لا يعرف كيف يقيّمها ويقدرها ، بسبب نقص الخبرة. والمسيحيون ينفرون من الأمجاد الأرضية ويحسبونها نفاية (فى٣:٨) بالمقارنة بعظمة وسمو تلك الأشياء ، تلك العظمة التى تعمل بتأثيرها وفاعليتها فيهم .

النعمة والسقوط :

١٦ ــ سؤال: هل من الممكن أن يسقط الإنسان الذى له موهبة النعمة؟.

جواب : إن أهمل، فإنه يسقط ، فالأعداء لا يتراخون أبدًا ولا يتوقفون عن الحرب ، فكم بالأكثر جدًا ينبغى عليك أنت أن لا تكف عن طلب الله . لأن الخسارة التى تحصل لك نتيجة الإهمال هى خسارة عظيمة جدًا ، حتى لو ظننت فى نفسك ، أنك متدرب ولك خبرة فى سر النعمة ذاته .

١٧ ــ سؤال : هل تبقى النعمة فى الإنسان بعد سقوطه ؟ .

جواب : إن مشيئة الله هى أن يرد الإنسان ثانية إلى الحياة ويحركه ليعود إلى البكاء والتوبة. فإن كانت النعمة تظل باقية، فإنما غرضها من ذلك أن تجعلك عاملاً جادًا بعزم شديد فى توبتك عن تلك الأشياء التى سبق أن أخطأت فيها .

الكاملون ومحاربات الشيطان :

١٨ ــ **سؤال :** هل الكاملون معرّضون لأن تحل بهم صعوبات أو حروب ، أم أنهم أحرار تماما من كل هم وقلق .

جواب : إن العدو لا يكف أبدا عن المحاربة . إن الشيطان عديم الرحمة فى كراهيته للبشر ، لذلك فهو لا يتوقف أبدا عن المحاربة ضد كل إنسان .. ولكن الظاهر أنه لا يهاجم الجميع بنفس الدرجة ، فإن حكام الولايات والنبلاء فى البلاط الملكى يدفعون الجزية للإمبراطور ، والإنسان الذى فى هذا المركز له ثقة فى ثروته من الذهب والفضة ، حتى أنه يدفع الضريبة من فائض دخله ، ولا يشعر بأى خسارة . والإنسان الذى يعطى

صدقة لا يشعر بأنه يخسر. وكذلك فإن الشيطان يعتبر هذا الأمر (أى عدم مهاجمته للبعض) أنه فضلّة وزيادة وأنه ليس بالأمر الخطير [٣].

ولكن قد يكون هناك إنسان فقير ، معدم حتى من القوت اليومى . وهو يُضرب ويُعذب لأنه لا يستطيع أن يدفع الضريبة ، وقد يصرف وقته فى احتمال الجلدات والانتهاكات المتكررة ويسوقونه أمامهم بالقوة ، ولا يستطيع أن يموت ، بينما هناك إنسان آخر يصدر الأمر بقطع رأسه ويهلك فى لحظة واحدة ــ وهكذا الأمر بين المسيحيين **فالبعض منهم يحاربون بشدة ويُضيّق عليهم بالخطية ، ومع ذلك يصيرون أكثر ثباتا وحكمة وتمرنا على الحروب. ويحتقرون قوة العدو ، ولا يكونون فى خطر من هذه الناحية، لأنهم يكونون محفوظين من السقوط ومتيقنين من خلاصهم، لأنهم قد تمرنوا كثيرا فى الحرب ضد الخطية والشر واكتسبوا خبرة عظيمة ، ولأنهم حاصلون على حضور الله معهم ، فإنه يقودهم ويكونون فى راحة .**

١٩ ــ ولكن البعض الآخر ، الذين لم يتمرنوا بعد ، فهؤلاء إن سقطوا فى شدة واحدة وثارت عليهم الحرب ، فإنهم يقعون فى الخراب والهلاك .

انشغال القلب بالمسيح وحده :

ومثل المسافرون الذين يدخلون إلى مدينة ما ، قاصدين أو يروا أحبائهم ومعارفهم، فحينما يقابلون أناسًا كثيرين فى أسواق المدينة فإنهم لا يتوقفون بسببهم ، وذلك لأن غايتهم هى أن يجدوا أصدقاءهم وحينما يقرعون على باب أحبائهم من الخارج وينادون عليهم فإن أصدقاءهم الأعزاء يفتحون لهم

[٣] القديس مقاريوس يقصد أن الشيطان يمكنه أن يحتمل أن يترك البعض بدون حرب ، وهذه تكون بالنسبة للشيطان مثل الضريبة بالنسبة للغنى ، أو الصدقة بالنسبة للمحسن فهى لا تشكل أى خسارة بالنسبة له .

بفرح ، ولكنهم إن تلكأوا فى الأسواق ، وانخدعوا أو تعوقوا بسبب أولئك الذين يقابلونهم فإن الباب يغلق ولا يفتح لهم أحد ، وهكذا أولئك الذين يسعوّن إلى الأمام ليصلوا إلى ربنا المسيح المحبوب الحقيقى ، فينبغى أن يغضوا النظر عن كل من هم سواه ولا ينشغلوا بهم . فإن النبلاء والحكام ، الذين يدخلون القصر إلى الملك ، يكونون فى خوف كثير من جهة ما يجاوبون به وكيف يتكلمون لئلا بسبب خطأ فى إجابتهم عن أنفسهم ينتهى الأمر بهم إلى محاكمتهم وعقابهم ، وأما عامة الشعب البسطاء ، الذين لم تقع عيونهم قط على أمير ، فإنهم يصرفون أيامهم بلا قلق أو هم . وهذا هو الحال مع هذا العالم الأرضى الذى تحت السماء ــ من الملك إلى أفقر الناس ــ فإذ لا يعرفون شيئا عن مجد المسيح ــ فهم يهتمون فقط بأمور هذه الحياة الأرضية ولا يوجد بينهم حتى ولا واحد يتفكر فى يوم الدينونة. أما أولئك الذين يأتون بأفكارهم أمام كرسى دينونة المسيح ، حيث يكون عرشه ، ويصرفون حياتهم فى حضرته فإنهم يكونون فى خوف ورعدة باستمرار ، لكى لا يصنعوا أى خطأ من جهة وصاياه المقدسة .

تملك النعمة على القلب :

٢٠ ــ وكما أن أغنياء الأرض حينما يحضرون ثمارًا كثيرة إلى مخازنهم، فإنهم يعملون أكثر فأكثر كل يوم ليحضروا ثمارًا أكثر ، ليكون عندهم وفرة عظيمة ، ولا يكون عندهم تناقص .

فلو أنهم اعتمدوا على الغنى المخزون فى المخازن ولم يهتموا أن يضيفوا إليه وبدأوا يستعملون ما سبق أن خزنوا ، فإنهم بعد فترة يقعون فى الفقر والحاجة ولذلك فإنه يلزمهم أن يسعوا وأن يعملوا ويزيدوا دخلهم كثيرًا ، لكى لا يتخلفوا. وهكذا الأمر فى المسيحية ، حينما نتذوق نعمة الله

كما يقول " *ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب* " (مز ٣٤: ٨) . فهذا التذوق هو قوة فعالة من الروح فى ملء الثقة ، بحسب خدمة الروح فى داخل الرب . لأن كل الذين هم أبناء النور ، ومن خدمة العهد الجديد فى الروح القدس فهؤلاء لا يتعلمون شيئا من الناس ، بل هم يتعلمون من الله (يو ٦: ٤٥،١تس ٤: ٩) فالنعمة نفسها تكتب على قلوبهم قوانين الروح .

لذلك فلا ينبغى أن يتكلموا فقط على الكتب المكتوبة بالحبر ، فإن نعمة الله تكتب قوانين الروح وأسرار السماء على " ألواح القلب " أيضًا (٢كو ٣: ٣) . لأن القلب يحكم ويملك على كل حركات الجسد ، **وحينما تملك النعمة على مراعى القلب ، فإنها بذلك تملك على كل الأعضاء والأفكار لأنه هناك-أى فى القلب – يوجد العقل ، وكل ملكات النفس وكل آمالها ، لذلك فإن النعمة تنفذ أيضا إلى كل أعضاء الجسد (عن طريق القلب) .**

ملك الخطية على القلب :

٢١ ــ ومن الجهة الأخرى ، فإن كل أبناء الظلمة ، تملك الخطية على قلوبهم ، وتنفذ إلى كل أعضائهم " *لأن من القلب تخرج الأفكار الشريرة* " (مت١٥: ١٩) وهكذا إذ تنتشر الأفكار الشريرة تجعل الإنسان فى ظلمة . وأولئك الذين يقولون أن الشر لا يتولد فى الإنسان وينمو فى داخله ، ربما لا يهتمون من جهة الغد ، وقد لا يكون لهم شهوة ، لأن الشر يكف فترة من الوقت عن إزعاجهم بتحريك نوع من الشهوة فى داخلهم ، حتى أن الإنسان يتجاسر على أن يقسم " إن هذه الشهوة لم تعد تهاجمنى". ولكن بعد فترة وجيزة يشتعل بالشهوة ، حتى أنه يوجد حانثا فى القسم الذى أقسمه. وكما أن الماء يجرى فى الأنابيب ، هكذا تسرى الخطية فى القلب والأفكار، وكل الذين ينكرون هذا فإن الخطية نفسها تدحضهم وتهزأ بهم ،

حتى ولو كانت الخطية لا تفكر فى الانتصار عليهم ، لأن الشر يحاول أن يكون مستترا ومتخفيا فى داخل عقل الإنسان .

المحبة لله وكرامة الإنسان :

٢٢ ـ إن كان أحد يحب الله ، فإن الله أيضا يخلط محبته به الإنسان وإذا أؤتمن الإنسان مرة على محبة الله ، فإن الله يزيد عليه من الإيمان السماوى ويصير الإنسان كائنا مزدوجًا . فكل جزء من نفسك تقدمه لله ، فإنه يخلط بنفسك شيء مثله من نفسه ، حتى أن كل ما تفعله يعمل بنقاوة ، ويصير حبك نقيا وصلاتك نقية .

عظيمة هى كرامة الإنسان، فأنظر عظمة السموات والأرض، والشمس والقمر ، ولكن الرب لم يسر أن يستريح فى هذه المخلوقات بل فى الإنسان فقط . لذلك فالإنسان له قيمة أعظم من كل المخلوقات ولعلى أتجاسر وأقول ليس فقط المخلوقات المنظورة بل وأيضا أعظم من المخلوقات غير المنظورة ، وأعظم حتى من " *الأرواح الخادمة* " (عب١:٤) . فلم يقل الكتاب عن ميخائيل وجبرائيل رؤساء الملائكة " *لنخلقهم على صورتنا كشبهنا* " (تك١:٢٦) بل قال هذا على الجوهر الروحى للإنسان، وأنا أعنى **نفسه غير المائتة . لأنه مكتوب "إن ملائكة الرب تعسكر حول خائفيه" (مز ٣٤:٦) .**

٢٣ ـ إن المخلوقات المادية مرتبطة طبيعتها التى خُلقت عليها.

فالسماء خُلقت لأجل الخير وكذلك الشمس والقمر والأرض ـ ولم تكن مسرة الرب فيها، رغم أنها لا تستطيع أن تتغير عن ما خُلقت عليه ، كما أنها ليست لها أى إرادة . وأما أنت أيها الإنسان، أنت مخلوق على صورة الله ومثاله ، لأنه كما أن الله له السيادة فى نفسه ويفعل ما يشاء ـ فإذا أراد

فله السلطان أن يرسل الأبرار إلى جهنم والأشرار إلى الملكوت ولكنه لا يختار أن يفعل هذا ، ولا يقبل مجرد هذا الفكر ، لأن الرب قاض عادل وبار – وهكذا أنت أيضا فإنك سيد نفسك ، فإذا اخترت أن تهلك فطبيعتك تقبل التغير . وإذا اخترت أن تجدف أو أن تخلط سموما لكى تقتل إنسانا ما فلن يمنعك أو يعوقك أحد . **فإذا أراد الإنسان يمكنه أن يخضع لله ويسير فى طريق البر ويضبط شهواته . فإن عقلنا هذا هو قوة متوازنة وقد أُعطيت له القدرة أن يُخضع حركات وشهوات الخطية المخجلة .**

ينبغى محاربة الشر الساكن فينا :

٢٤ – وكما أنه فى بيت عظيم ، حيث توجد أوان من الذهب والفضة وأنواع ملابس مختلفة وأموال كثيرة ، فإن الشبان والشابات الذين يعملون هناك يقمعون عقولهم رغم أن طبيعتهم ــ بسبب الخطية الساكنة فيهم ــ تشتهى كل هذه الأشياء . ولكن بسبب الخوف البشرى من سادتهم فإنهم يلجمون رغباتهم ، فكم بالحرى جدًا حيث يوجد خوف الله ، فينبغى على الإنسان أن يحارب ويقاوم الشر الساكن فيه . فإن الله وضع عليك كل ما يمكن أن تفعله . أن طبيعة الحيوانات غير العاقلة هى طبيعة مقيدة . فطبيعة الحية طبيعة مرة وسامة وهكذا تكون كل الحيات . والذئب طبيعته مفترسة ، وكل الذئاب لها نفس الطبيعة . ووداعة الحمل تجعل منه فريسة وكل الحملان لها نفس الطبيعة ، والحمامة ليس فيها غدر وإيذاء ، وهكذا طبيعة كل الحمام . وأما الإنسان فليس مثل هذا . فهناك إنسان ما مثل ذئب مفترس ، وآخر مثل حمل ، ولذلك يكون فريسة ، وكلاهما يصدران من أصل الطبيعة البشرية .

الطبيعة الإنسانية المتغيرة :

٢٥ ــ فهناك إنسان لا يكتفى بزوجته ويسير فاعلاً الزنا بينما هناك إنسان آخر لا يحتمل حتي مجرد تحرك الشهوة فى قلبه. هناك إنسان ينهب ما لقريبه ، وإنسان آخر يعطى كل ما عنده حبا لله . فها أنت ترى كم أن هذه الطبيعة الإنسانية متغيرة. فإنك تجدها تميل إلى الشر ، وتجدها تميل أيضا إلى الخير . وفى الحالتين هى تكون فى وضع لتوافق وترضى بهذا العمل أو ذاك حسبما تشاء . **فالطبيعة الإنسانية إذن قابلة للخير والشر ، قابلة إما للنعمة الإلهية أو للقوة المعادية ، ولكنها ليست تحت اضطرار أن تقبل هذه أو تلك . إن آدم نفسه لما كان فى حالة النقاوة كان له السيادة على عقله ، جابه جبال من المصاعب لا يمكن احتمالها ، واختلطت أفكار الشر بعقله فصارت كأنها أفكاره ، مع أنه ولا واحدة من هذه الأفكار هى أفكاره أصلا ، لأن هذه الأفكار هى تحت سيادة الشر .**

الأفكار النقية هى الأفكار الطبيعية :

٢٦ ــ فينبغى إذن أن تطلب وتسعى للحصول على مصباح منير لكي تستطيع أن تجد الأفكار النقية . فتلك الأفكار هى الأفكار الطبيعية التى صنعها الله. فالناس الذين ينشأون على شاطئ البحر يتعلمون السباحة، وحينما تثور العواصف وتتلاطم الأمواج ، فإنهم لا يندهشون منها ، وأما أولئك الذين لم يعتادوا هذه الأشياء ، فإن أتت عليهم زوبعة ولو ضئيلة فإنهم يرتعبون ويغرقون فى البحر . وهكذا الأمر أيضا مع المسيحيين . فكما أن عقل الطفل فى سن الثالثة لا يستطيع أن يتابع أو يفهم عقل الرجل البالغ المفكر، بسبب وجود فرق كبير فى السن بينهما ، هكذا المسيحيون فإنهم ينظرون إلى العالم مثل الأطفال ، وعيونهم مرفوعة ومثبتة على قوة النعمة المعطاة

لهم . إنهم غرباء بالنسبة لهذا العالم ، ومدينتهم ومكان راحتهم ليست فى هذا العالم ، فالمسيحيون لهم عزاء وروح ودموع وحزن وتنهد ، وحتى الدموع هى راحة وتمتع لنفوسهم . ويوجد عندهم خوف أيضا، فى وسط الفرح والتهليل ، ولذلك فهم مثل أناس يحملون دمهم فى أيديهم ، ولا يضعون ثقتهم فى أنفسهم ولا يعتبرون أنفسهم أنهم شىء ، بل هم محتقرون ومرذولون أكثر من كل الناس .

أى شىء لك لم تأخذه ؟

٢٧ ــ فإذا افترضنا أن ملكًا أودع كنزه عند إنسان فقير . فالإنسان الذى أخذ مسئولية حفظ الكنز لا يتمسك به كأنه ملكه بل يعترف دائما بفقره ولا يتجاسر أن يبذّر ويصرف من كنز غيره . ويضع دائما فى عقله ، ليس فقط أن الكنز ليس ملكه ، بل أيضا "أن الذى أودع الكنز عندى هو ملك مقتدر قوى ، وحينما يشاء فإنه يأخذه منى" كذلك ينبغى على أولئك الذين ينالون نعمة الله أن يعتبروا أنفسهم هكذا ، وأن يكونوا ذوى عقل متضع، ويعترفوا بفقرهم . وكما أن الإنسان الفقير الذى، أودع الملك الكنز عنده، إذا استغل الكنز الذى لغيره وتفاخر به كأنه كنزه وبدأ عقله يتشامخ، فإن الملك يأخذ منه الكنز ، ويصير الإنسان الذى كان عنده الكنز فقيرًا كما كان سابقا، **هكذا الذين يحصلون على النعمة إذا استكبروا وانتفخوا، فإن الرب يأخذ نعمته منهم ، ويرجعون إلى ما كانوا عليه قبل نوال النعمة من الرب .**

خداع الخطية :

٢٨ ــ وهناك كثيرون ، بالرغم من أن النعمة حاضرة معهم ، فإنهم ينخدعون بالخطية بدون أن يلاحظوا . فإذا افترضنا أنه كان فى أحد

البيوت فتاة عذراء ، وكان هناك شاب أيضا ، فيحتال الشاب عليها ويتملقها حتى ترضى وتوافقه على شهواته ، فتسقط وتفقد عفتها . كذلك الحية المرعبة ، حية الخطية فهى تحضر دائما مع النفس ، تداعبها وتغريها ، فإذا وافقت النفس ورضيت ، فإن النفس غير الجسدانية تدخل فى ارتباط مع الشر غير الجسدانى الذى لذلك الروح (الشرير) ، فالروح تدخل فى ارتباط مع روح . والذى يرضى بإغواء الشرير ، فإنه يزنى فى قلبه ، إذ يكون قد قَبِلَ ورضى بإيحاءات (الروح) الخبيث . **فهذه هى إذن درجة جهادك ، أن لا ترتكب هذه الخطية فى أفكارك ، بل تقاومها بعقلك ، وتحارب وتجاهد فى الداخل ، ولا تذعن لفكر الشر ، ولا تعطى مكانا فى أفكارك للتلذذ بما هو خاطئ ، فإذا وَجَدَ الرب فيك هذا الميل والاستعداد فهو بلا شك ، يأخذك إليه فى ملكوته فى اليوم الأخير .**

الرب يسمح بالتجارب لامتحان الإيمان :

٢٩ ــ إن هناك أشياء يأمر بها الرب لكى لا يترك نفسه بلا شهادة من نعمته الإلهية ودعوته ، وهناك أشياء أخرى يأذن بها الرب على سبيل السماح ، لأجل امتحان الإنسان وتدريبه ، لكى تظهر وتتضح حرية إرادته وتقريره وعزمه . فأولئك الذين هم فى الشدائد والتجارب ، إذا احتملوا وصبروا لا يسقطون عن ملكوت السموات ، لذلك فإن المسيحيين لا يقلقون ولا يكتئبون فى ظروف الضيق . وإذا امتحنوا بالفقر أو الآلام ، فلا ينبغى أن يستغربوا ذلك ، **بل بالحرى أن يفرحوا بالفقر ويحسبوه كالغنى ، وبالصوم ويحسبوه كالوليمة ، وبالهوان وعدم الشهرة ويحسبونه مجدا . ومن الجهة الأخرى ، إذا وقعوا فى ظروف وأحوال مبهجة ومجيدة فى هذه الحياة ، قد تميل بهم إلى الراحة العالمية ، أو الغنى أو المجد ، أو الترف أو**

التنعم ، فلا ينبغى أن يفرحوا بهذه الأشياء . بل أن يتجنبوها كما يتجنبون النار.

محبة الله ـ كرامة الإنسان ـ تدبير الخلاص :

٣٠ ـــ وفى العالم الذى حولنا ، إذا أثارت أمة صغيرة الحرب ضد الإمبراطور، فهو لا يهتم أن يدخل المعركة بنفسه ، ولكنه يرسل جنودًا مع ضباطهم وهم يقومون بالقتال. ولكن إن كانت الأمة التى تثير الحرب ضده هى أمة عظيمة جدًا، وقوية لدرجة أنها تستطيع أن تخرب مملكته فإن الإمبراطور يضطر أن يخوض المعركة بنفسه ومعه رؤساء قصره وأبطال جنوده محركًا إياهم بنفسه فى المعركة. فانظر إذا مقدار كرامتك (أيها الإنسان). فإن الله بنفسه قد تحرك بصحبة قواته ـــ وإنما أعنى الملائكة والأرواح المقدسة ـــ وجاء من أجلك بنفسه، ليحميك وينقذك من الموت. لذلك اهتم بنفسك جيدا ، وتأمل فى نفسك ما أعظم التدبير الذى صنعه الرب لأجلك، ونستعمل توضيحا من هذه الحياة فى العالم إذ أننا لا نزال نحيا فى وسطها، فإذا افترضنا أن هناك ملكا عظيما ، يبحث ويفتش ليجد إنسانا فى فقر ومعاناة، وهو لا يخجل منه، بل يعالج جروحه بأدوية شافية، ويحضره إلى قصره ، ويلبسه الأرجوان والتاج الملكى ويجعله شريكا فى مائدته الملكية ، **فهكذا أيضا المسيح الملك السمائى جاء إلى الإنسان المجروح وشفاه وجعله شريكا فى المائدة الملوكية ، وذلك بدون أن يغتصب إرادته ، بل بواسطة الحث والإقناع يجعله فى مثل هذه الكرامة العظيمة .**

الرب أعد لنا الملكوت ويدعونا لنرثه :

٣١ ـــ إنه مكتوب فى الإنجيل أن الرب أرسل عبيده ، ليدعوا أولئك الذين يرغبون ويعلن لهم أن الغذاء قد أُعد ، ولكن الذين دعوا بدأوا

يستعفون فقال أحدهم " قد اشتريت خمسة أزواج بقر" وقال آخر " إنى تزوجت بامرأة " (لو ١٤: ١٦ـ ٢٠) . فها أنت ترى أن الداعى كان مستعدًا، ولكن المدعوين رفضوا دعوته فهم وحدهم المسئولون عن رفض الدعوة .

إن كرامة المسيحيين هى عظيمة جدا فتأمل كيف أن الرب قد أعد لهم الملكوت، ودعاهم ليدخلوا فيه، وهم لا يريدون. **ومن جهة الهبة التى سيرثونها، فيمكننا أن نقول إنه لو جاهد كل واحد من الناس منذ خليقة آدم إلى نهاية العالم، لو جاهد الجميع ضد الشيطان واحتملوا الشدائد فإنهم لا يفعلون شيئا بالمقارنة بالمجد الذى سيرثه كل واحد منهم، لأنه سيملك مع المسيح إلى دهور لا نهاية لها، فالمجد لذلك الذى أحب النفس هكذا. المجد له لأنه أعطى نفسه وأعطى نعمته لها واستودعهما لهذه النفس!.. فالمجد لعظمته!.**

الاختلاف بين الإنسان الباطن والظاهر :

٣٢ ــ بحسب كل المظاهر الخارجية، فنحن الاخوة جميعا الذين نجلس هنا الآن لنا صورة واحدة ووجه واحد وهى التى لآدم. حسنا، ولكن هل لنا فى الخفاء أيضًا، فى الأمور الداخلية، قصد واحد بيننا جميعًا، وقلب واحد؟ هل نحن جميعا واحد، فى الصلاح والتقوى؟ أم أن البعض منا لهم شركة مع المسيح وملائكته والبعض الآخر لهم شركة مع الشيطان والأرواح الشريرة ؟ ومع ذلك نحن جميعا ونحن نجلس معًا ظاهرين مثل إنسان واحد، وكل واحد منا يحمل نفس وجه آدم . فها أنت ترى الفرق الكبير بين الجوهر غير المنظور ، أى الإنسان الباطن وبين الإنسان الخارجى لأننا جميعا نشبه إنسانًا واحدًا ، ومع ذلك فالبعض هم مع المسيح ، وملائكته والبعض مع الشيطان والأرواح النجسة . فالقلب له عمق لا قرار له . ففيه

توجد غرف استقبال ، وغرف للنوم ، وأبواب وأروقة ومكاتب كثيرة ، وممرات ، وفيه يوجد معمل البر ، أو معمل الشر. فيه الموت ، وفيه الحياة ، فيه توجد التجارة الصالحة وما هو ضدها أيضا .

المسيح يقيم ملكوته فى القلب :

٣٣ ـ فإذا افترضنا أن هناك قصر عظيم جدًا ، وهذا القصر أصبح مهجورًا ، وامتلأ بكل رائحة رديئة وبجثث ميتة كثيرة. **هكذا فإن القلب هو قصر المسيح ، وهو مملوء بكل نجاسة وبجموع كثيرة من الأرواح الشريرة، فينبغى إذن إعادة تأسيسه وإعادة بنائه ، ويعاد تنظيم مخازنه وغرف النوم التى فيه، لأن الملك نفسه أى المسيح يأتى إلى هناك هو والملائكة والأرواح المقدسة. ليستريح وليسكن وليتمشى هناك ويقيم فيه ملكوته. وأنى أخبرك أن القلب هو مثل سفينة مزودة بكمية وافرة من حبال الأشرعة والبكرات، وفيها قبطان يدبر الكل، ويحدد لكل واحد مهمته ، ويصلح خطأ البعض منهم، ويبين لغيرهم ما هو الطريق ، فالقلب أيضا له قبطان فى العقل ، وهو الضمير الذى يقوم دائما بمحاكمتنا ، "*والأفكار فيما بينها مشتكية أو محتجة*" (رو٢:١٥) .**

الضمير وملكات القلب :

٣٤ ـ فأنت ترى أن الضمير لن يهمل أو يترك الأفكار التى تستجيب للخطية ، بل يحكم عليها فى الحال. وهو لا يكذب، بل يشهد بما ينبغى أن يقوله أمام الله في يوم الدينونة، كأنه يقوم بمحاكمتنا بصفة مستمرة. فإذا افترضنا أن هناك مركبة ولجم، فإذا الخيل وكل جهاز العربة إنما هى تحت سيطرة سائق واحد فحينما يشاء فإنه يجعل المركبة تحمله بسرعة عظيمة، ومتى شاء فإنه يستطيع أن يوقفها. وأى طريق يريد أن يميل إليها فإن

المركبة تسير معه حسب ما يوجهها فالمركبة هى تحت سلطان السائق. وبنفس الطريقة فإن القلب له ملكات طبيعية كثيرة مرتبطة به ، فالعقل والضمير هما الذان يوبخان القلب ويقودانه ، ويوقظان الملكات الطبيعية التى تنبع فى القلب . إن النفس لها أعضاء كثيرة ، رغم أنها هى واحدة .

٣٥ــ ومن الوقت الذى فيه تعدى آدم الوصية، دخلت الحية إلى الداخل وجعلت نفسها سيدة البيت وصارت كأنها نفس ثانية إلى جانب النفس . لأن الرب يقول " *من لا ينكر نفسه، ومن لا يبغض نفسه ، فلا يكون لى تلميذاً* " (لو ١٤:٢٦ – ٩:٢٣) وأيضا "من يحب نفسه فسيهلكها" (مت١٠:٣٩) .

النقاوة والقداسة :

فالخطية لما دخلت إلى النفس صارت مثل عضو للنفس ، واتحدت بالإنسان الجسدانى ، ولذلك فإن أفكاراً نجسة كثيرة تنشأ فى القلب . فذلك الذى يعمل رغبات نفسه ، فإنه يعمل رغبات الشر لأنه (الشر) مختلط وممتزج بالنفس . والذى يجذب نفسه إلى الخضوع والطاعة ، ويغضب مع نفسه وضد الرغبات التى تتحرك فيه ، فهو مثل الذى يخضع مدينة العدو ويحكمها . **وهذا الإنسان يحسب أهلا للوصول إلى درجات الروح الصالحة ويكافأ بواسطة قوة الله بأن يصير إنسانا نقيا ، ويجعله الله أعظم من نفسه (أعظم مما كان) ، لأن مثل هذا الإنسان يؤله ، ويصير ابنا لله ، إذ يحصل على الختم السماوى على نفسه ، لأن مختارى الله يمسحون بدهن القداسة ويصيرون أناسا ذوى مراتب بل وملوكا .**

٣٦ ــ وهكذا هى طبيعة البشر . فمن عمق الخبث وعبودية الخطية، قد يتحول الإنسان إلى الصلاح وقد يكون هناك إنسان مرتبط بالروح القدس وسكرانا بالأمور السماوية ومع ذلك ففى استطاعته إذا أراد أن يتحول إلى

الشر . ومثل امرأة تلبس الثياب الرثة ، وتعانى الجوع وهى كلها قذرة ، قد تصل بجهد كثير إلى المرتبة الملوكية ، وتلبس الأرجوان والتاج ، وتصير عروسا للملك. فهى تتذكر أحيانا حالتها السابقة القذرة وتخاف أن ترجع إلى حالتها القديمة، ولكنها لا تختار بإرادتها أن ترجع إلى عارها السابق ، لأن ذلك يكون حماقة عظيمة ، وهكذا أولئك الذين قد ذاقوا نعمة الله وصاروا شركاء الروح القدس إذا لم يحترسوا لأنفسهم (يأخذوا حذرهم) فإنهم ينطفئون ويصيرون أردأ مما كانوا عليه سابقا حينما كانوا فى العالم . **وليس معنى هذا أن الله متغير أو غير قادر أن يحفظهم ، أو أن الروح نفسه هو الذى "ينطفئ" (اتس٥:١٩) ، بل أن الأشخاص أنفسهم هم الذين لا يوافقون النعمة ويتجاوبون معها ، ولهذا السبب فإنهم يخفقون ويسقطون فى شرور كثيرة . لأن أولئك الذين قد ذاقوا تلك النعمة ، يكون حاضرا معهم كل من الفرح أو العزاء والخوف أو الرعدة ، أى البهجة والحزن معا . إنهم ينوحون لأجل نفوسهم ولأجل كل جنس آدم (إذ أن الجنس البشرى كله هو واحد) وأن دموع مثل هؤلاء الأشخاص هى خبزهم وبكاءهم وحزنهم هو حلاوة وإنعاش لهم .**

خطورة الكبرياء الانتفاخ :

٣٧ ــ فإذا رأيت إنسانا متكبرا ومنتفخا بسبب ما ناله من نعمة فهذا الإنسان حتى لو صنع العجائب وأقام الموتى، ولكنه لم يعتبر نفسه أنه غير مستحق بل مزدرى، ويستمر مسكينا بالروح ويبغض نفسه فإن الخطية تخدعه دون أن يدرى وحتى إن كان يصنع العجائب فلا يمكنك أن تصدقه، لأن علامة المسيحية هى هذه ، أن يكون الشخص ممدوحًا من الله بينما هو يسعى باجتهاد لتجنب ملاحظة الناس له وحتى إذا كان عنده جميع كنوز

الملك، فإنه يخفيها، ويقول باستمرار "إن هذه الكنوز ليست ملكى بل إن شخصًا غيرى قد وضعها بين يدى. وأما أنا فإنسان فقير، وحينما يشاء صاحبها فإنه يأخذها منى، فإذا قال أحد "أنا غنى وعندى الكثير وقد ربحت كثيرا ولا أحتاج إلى شيء أكثر" فهذا الإنسان ليس مسيحيًا، بل هو إناء للضلالة والشيطان. إن التمتع بالله إناء لا يشبع منه، فبقدر ما يذوق الإنسان منه ويأكل، فإنه يجوع أكثر. ومثل هؤلاء الأشخاص لهم حرارة ومحبة لله لا يمكن حصرها، وكلما سعوا للتقدم والنمو، كلما اعتبروا أنفسهم فقراء، كأولئك الذين هم فى غاية الحاجة ولا يملكون شيئًا. وهذا ما يقولونه. "أنا لست أهلا لإشراق هذه الشمس على" وهذه هى علامة المسيحية ــ هذا التواضع ، وأما إن قال أحد "أنا قد شبعت وامتلأت" فهو خادع وكاذب .

التجلى وتمجيد الأجساد :

٣٨ ــ وكما أن جسد الرب كان قد تمجد حينما صعد إلى الجبل وتجلى بالمجد الإلهى وبالنور غير المحدود ، فهكذا ستتمجد أجساد القديسين وتضيء مثل البرق . فالمجد الذى كان فى داخل المسيح فاض على جسده وأضاء ، وبنفس هذه الطريقة ما يحدث فى القديسين ، فإن قوة المسيح التى فى داخلهم ستنسكب فى ذلك اليوم على أجسادهم من الخارج . فإنهم منذ الآن يشتركون فى جوهره وطبيعته فى عقولهم ، لأنه مكتوب " *الذى يقدس والذين يتقدسون جميعهم من واحد*" (عب٢:١١) . وأيضا " *وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى*" (يو١٧:٢٢) .

وكما أن مصابيحًا كثيرة توقد من نار واحدة هكذا أجساد القديسين إذ هى أعضاء المسيح فإنها بالضرورة تصير مثل المسيح نفسه وليس شيئًا آخر .

الموت والحياة وحرية الاختيار :

٣٩ ــ **سؤال :** ما هى أفضلية المسيحيين على آدم الأول ؟ فإنه كان غير مائت وغير فاسد فى الجسد وفى النفس معا ، بينما المسيحيون يموتون ويأتون إلى الفساد .

جواب : الموت الحقيقى هو فى الداخل ، فى القلب ، وهو مختفى ، والإنسان الباطن هو الذى يهلك ، ولذلك فإذا انتقل أحد " *من الموت إلى الحياة*" (يو٥: ٢٤) فى ذلك المكان الخفى ، فإنه يحيا حقيقة إلى الأبد ولا يموت أبدا . ورغم أن أجساد مثل هؤلاء الناس تنحل إلى فترة من الزمن، إلا أنهم يقومون ثانية فى مجد ، لأنهم مقدسون . لهذا السبب نحن نسمى موت المسيحيين رقادا وراحة . فلو أن الإنسان كان غير قابل للموت ، وجسده محفوظ من التحلل ، فإن العالم كله حينئذ حينما يرون هذه الحقيقة الغريبة أن أجساد المسيحيين غير قابلة للفساد ، فإنهم يأتون إلى فعل الخير بنوع من الإجبار وليس بحرية الاختيار.

٤٠ ــ فلكى تظهر حرية الإرادة وتظل ثابتة ، تلك الحرية التى منحها الله للإنسان منذ البدء ، لهذا السبب فإن العناية نظمت هذه الأمور ، وجعلت تحلل الأجساد (أى الفساد) أمرًا واقعًا حتى يكون الأمر متروكًا لاختيار الإنسان وتمييزه أن يتحول إلى الخير أو إلى الشر. لأنه حتى الإنسان المتأصل فى الشر والمتعمق فى الخطية، والذى يجعل نفسه أداة للشيطان ليتسلط عليه تمامًا، فحتى هذا الإنسان ليس مربوطا بأى اضطرار، بل إن له الحرية أن يصير " *إناء مختار*" (أع٩: ١٥)، إناء للحياة. وبنفس الطريقة، فمن الناحية الأخرى أولئك الذين يتشربون باللاهوت ، ولو كانوا مملوئين

بالروح القدس وهم تحت سيادته ، فإنهم ليسوا مربوطين بأى اضطرار ، بل لهم حرية الاختيار أن يتحولوا ويفعلوا ما يشاءون فى العالم الحاضر .

النمو فى النعمة بالتدريج :

٤١ ـ **سؤال** :هل الشر يتناقص ويُستأصل بالتدريج ، وهل يتقدم الإنسان فى النعمة بالتدريج ، أم أن الشر يُستأصل مرة واحدة حينما ينال الإنسان افتقادًا من النعمة ؟.

جواب : كما أن الجنين فى رحم أمه لا يتشكل إلى إنسان كامل مرة واحدة ، بل تتكون فيه الصورة بالتدريج إلى أن يولد وحتى عند ولادته لا يكون رجلا كامل النمو ، بل يحتاج إلى سنوات لينمو ، ويصير رجلا ، وأيضا كما أن حبوب القمح أو الشعير لا تتأصل فى الأرض بمجرد أن تلقى البذار فيها ، بل تعبر عليها العواصف والرياح ، وبعد ذلك تنبت السنابل فى أوانها ، والإنسان الذى يزرع شجرة كمثرى لا يأخذ من ثمارها فى الحال ، **هكذا أيضا فى الأمور الروحانية فإن فيها حكمة ودقة عظيمة، والإنسان ينمو رويدًا رويدًا إلى أن يصل** ***إلى إنسان كامل، إلى القامة التامة*** " **(اف ٤:١٣) وليس كما يقول البعض ، يخلعون معطفا ويلبسون آخر بدله .**

٤٢ ـ والذى يريد أن يصير إنسانا متعلما فإنه يبدأ أولا بتعلم الحروف وحينما يتقنها فإنه يلتحق بالمدرسة الابتدائية فى أول صفوفها وحينما يصل إلى آخر صف فيها ، فإنه ينتقل إلى المدرسة المتقدمة كمبتدئ فيها وبعد ذلك حينما يصير " تلميذًا باحثًا " فإنه يصير مبتدئًا بين المترافعين أمام القضاء وآخر واحد فيهم ، وبعد ذلك حينما يرتفع إلى القمة بينهم فإنه يصير حاكمًا أو قاضيًا ، وحينما يصل إلى درجة رئيس قضاة فيحق له أن يتخذ معاونا يساعده . فإذا كان فى عالم الفكر توجد مثل هذه الدرجات من

الارتقاء ، فكم بالأولى يكون للأسرار السماوية درجاتها وارتقاءاتها ، ويزداد عدد الدرجات ، ثم بعد التمرن الكثير والامتحان فإن الإنسان الذى يجوز التجارب ويحتملها يصل إلى الكمال . فالمسيحيون الذين ذاقوا النعمة حقا ، وحملوا علامة الصليب فى عقلهم وقلبهم . فهؤلاء من الملك حتى الشحاذ – يعتبرون كل الأشياء التى فى هذا العالم كنفاية ورائحة كريهة . وهؤلاء يستطيعون أن يعرفوا أن العالم الأرضى كله ، وكنوز الملك ، وكل غناه ومجده ، وكل علوم الحكمة ليست إلا مظهرا باطلا ، ليس له أساس ثابت ، بل هو عابر سريعا ، وكل ما هو تحت السماء فإنهم يزدرون به بسهولة .

كرامة الإنسان العظيمة :

٤٣ ــ والسبب فى ذلك هو أن الأشياء التى فوق السموات هى غريبة جدًا وعجيبة ولا يوجد منها فى كنوز الملوك ، ولا فى حكمة الكلام ، ولا فى المجد العالمى والكرامات والغنى ــ إنما الغنى الحقيقى يملكه هؤلاء الذين يمتلكون الرب خالق كل الأشياء فى عمق إنسانهم الباطن ، وهو النصيب الذى لا يضمحل أو ينزع أو يعبر ، بل يثبت ويبقى إلى الأبد . إن المسيحيين يعرفون جيدا أن النفس هى أثمن من جميع الأشياء المخلوقة ، فإن الإنسان وحده هو الذى صنع على صورة الله ومثاله . أنظر إلى السماء ، ما أوسعها وانظر إلى الأرض وما فيها من مخلوقات ثمينة وأجسادها العظيمة ، إلا أن الإنسان هو أعظم قدرا من كل هذه الأجساد فهو وحده الذى سُرّ به الرب ، حتى وإن كانت حيتان البحر ، والجبال ، والوحوش أعظم من الإنسان فى مظهرها الخارجى (إلا أن الإنسان أعظم من جميع المخلوقات) فتأمل فى كرامتك وقدرك العظيم ، حتى أن الله

جعلك فوق الملائكة ، لأنه لأجل معونتك وخلاصك جاء هو بنفسه شخصيًا إلى الأرض .

٤٤ ــ إن الله وملائكته قد جاءوا[4] لأجل خلاصك. فالملك، ابن الملك تشاور مع أبيه ، ولهذا أرسل الكلمة ، ولبس لباس الجسد وحجب لاهوته الخاص لكى يخلص المثيل بالمثيل (أى يخلص الإنسان بالإنسان) وبذل حياته على الصليب . فما أعظم محبة الله للإنسان . فإن غير المائت اختار أن يصلب لأجلك فانظر إذن إلى أى درجة "*أحب الله العالم*" ، لأنه "*بذل ابنه الوحيد لأجلهم* " (يو٣:١٦) "*فكيف لا يهبنا معه كل شئ*" (رو٨:٣٢) وفى موضع آخر يقول "*الحق أقول لكم .إنه يقيمه على جميع أمواله*" (مت ٢٤:٤٧) وفى مكان آخر يبين بوضوح أن الملائكة هم خدام للقديسين ، فحينما كان إليشع فى الجبل وأتى عليه الغرباء ، قال له خادمه أن كثيرين قد أتوا علينا ونحن وحدنا – حينئذ أجابه إليشع ألا تبصر المعسكرات وجماهير الملائكة التى تحيط بنا وتحمينا (انظر ٢مل٦:١٥ – ١٨) وهكذا فإن الرب نفسه مع جموع الملائكة يحضرون مع عبيده ، **فما أعظم النفس، وما أكرمها عند الله ، لأن الله نفسه وملائكته يطلبونها لأجل الشركة معهم ولأجل الملكوت !. وأما الشيطان وقواته فإنهم يسعون وراءها لكى يجذبونها إلى ناحيتهم .**

٤٥ ــ وكما أنه فى العالم الطبيعى لا يقوم بخدمة الملوك أشخاص غير مهذبين أجلاف إنما يقوم بخدمتهم أناس حسنو المنظر مهذبون ، هكذا فى القصر السماوى فإن الذين يخدمون الملك السماوى هم أولئك الذين بلا

[4] المقصود بمجيء الملائكة لخلاص الإنسان هو خدمتهم للعتيدين أن يرثوا الخلاص لأنهم "أرواح خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص"(عب١:١٤) (المعرب) .

عيب ، وبلا لوم والأنقياء القلب . وكما أنه بالقصر الأرضى يقوم بخدمة الملوك عذارى جميلات ، ليس فيهن عيب بل هن أكثر النساء وسامة ، هكذا أيضا فى الأمور الروحانية فالنفوس التى تتزين بكل سيرة صالحة وقداسة هى التى تكون فى صحبة الملك السمائي. وفى العالم المنظور حينما يذهب ملك ليقيم فى مكان ما ، فإذا حدث أن ذلك المكان كان فيه شيء غير نظيف ، فإنه حالاً يُنظف ويُنظم بنظافة ونظام كامل وتسكب فيه الروائح العطرة الكثيرة ، **فكم بالأكثر جدًا يحتاج بيت النفس ، الذى يستريح فيه الرب إلى تطهير وتنقية ، ليستطيع الرب أن يدخل فيه ويستريح هناك فإنه هو بلا عيب ولا دنس . وفى مثل هذا القلب المُطَهر يستريح الله وكل الكنيسة السماوية .**

الله يعطينا أمجاده الخاصة :

٤٦ ــ وفى العالم الطبيعى ، إن كان أب له أملاك كثيرة وعنده تيجان وأحجار كريمة فإنه يخفيها فى مخازن البيت محتفظا بها لابنه الحبيب ، ولهذا الابن يعطى كل كنوزه . هكذا فإن الله قد ائتمن النفس على ما عنده ، وعلى كل أمجاده الخاصة الثمينة . وفى العالم الطبيعى ، إذا ثارت حرب ، وجاء الملك بجيشه للقتال ووجد أنه أضعف فى العدد أو فى القوة من الجانب الآخر ، فإنه يرسل فى الحال رسولا ليطلب شروط الصلح (لو ٣٢:١٤) .

وأما إذا قامت أمة عظيمة جدا فى الحرب مقابل أمة عظيمة معادلة لها وملك عظيم فى مقابل ملك مثله – مثل ملك الفرس مثلا ضد ملك الرومان ــ فحينئذ يضطر الملكان أن يتحركا بكل قواتهما فى هذه الحرب . **فانظر**

إذن عظمة كرامتك أن الله قد تحرك مع كل قواته أى الملائكة والأرواح ــ لمحاربة العدو لكى ما يخلصك من الموت . فالله إذن إنما جاء من أجلك .

ما فعله الله لأجل خلاصنا :

٤٧ ــ وإذا افترضنا أن ملكًا وجد إنسانًا فقيرًا مملوءًا بالبرص فى كل جسده ، ولم يخجل منه بل وضع أدوية على جروحه وشفى قروحه ، ثم أخذه إلى المائدة الملوكية وألبسه الأرجوان وجعله ملكًا ، فهذا هو ما فعله الله مع جنس البشر . إنه غسل جروحهم وشفاهم ، وأتى بهم إلى حجاله السماوية . فما أعظم كرامة المسيحيين حتى أنها لا يمكن مقارنتها بشىء آخر . ولكن إذا تكبّر المسيحى وسمح للخطية أن تسرقه فإنه يكون مثل مدينة لا سور لها فيدخل اللصوص إليها من أى ناحية يريدون ، دون أن يعوقهم شىء ، فيخربونها ويحرقونها . لذلك ، إذا كنت تأخذ الأمور باستهانة ولا تحترس لنفسك فإن أرواح الشر تأتى عليك وتظلم عقلك وتخرّبه وتشتت أفكارك فى أمور هذا العالم الحاضر .

٤٨ ــ إن كثير من الناس هم متثقفون جدا من جهة الأشياء الخارجية ولهم معرفة وعلم ويعتنون بنظام معيشتهم وآداب الحياة ، ويعتبرون أن ذلك هو الكمال ، دون أن ينظروا نظرة عميقة فى داخل قلوبهم ، ودون أن يروا الشرور التى تحبس النفس . وبحسب المعنى الداخلى للشر فهو جذر مختفى فى داخل القلب وفى الأعضاء . والسارق موجود فى داخل البيت وأعنى به القوة المعادية وهى قوة متحدية غير منظورة ، فإذا لم يضع الإنسان فى نفسه أن يحارب الخطية ، فإن الشر المختفى فى الداخل ينتشر تدريجيا ، ويزداد ويتكاثر حتى يجعل الإنسان يرتكب الخطايا ظاهرًا وعلانية . إن عنصر الشر يفور إلى أعلى مثل عين الينبوع . فاهتم إذن

أن توقف مجارى الخطية ، وإلا فإنك ستسقط فى آلاف من الأشياء الخاطئة وتصير مثل إنسان فى حالة غيبوبة . فإذا افترضنا أن هناك أحد النبلاء يعيش فى رخاء ووفرة ثم قام جنود الوالى وخدامه بالقبض عليه وحملوه إلى الحاكم قائلين "إنك متهم اتهامات خطيرة وأنك فى خطر قطع رأسك . فبسبب هذه الأخبار المخيفة ، يفقد توازن عقله ويصير مثل إنسان فى حالة غيبوبة .

سبب الحيرة والاضطراب فى حياة الناس :

٤٩ ـــ فافهم إذن ، أن هذا هو ما تفعله أرواح الشر ضد الإنسان . إن العالم الذى تراه حولك ، ابتداءً من الملك حتى الشحات ، جميعهم فى حيرة واضطراب وفتنة وليس أحد منهم يعرف السبب فى ذلك ، **مع أن السبب هو ظهور الشر الذى دخل داخل الإنسان عن طريق معصية آدم ، وأعنى به** "*شوكة الموت*" (١كو١٥: ٥٦) .

لأن الخطية التى زحفت إلى الداخل ، إذ هى نوع من القوة غير المنظورة من الشيطان ، وهى قوة حقيقية ، قد زرعت فى الإنسان كل أنواع الشر . وهى تعمل سرًا فى الإنسان الباطن دون أن يلاحظها أحد، وتعمل فى العقل ، وتحارب ضد الأفكار؛ ولكن الناس لا يدركون أنهم يفعلون الشرور بتأثير قوة غريبة تعمل فيهم ، وهم يظنون أن ما يفعلونه هو أشياء طبيعية ، وأنهم إنما يفعلون هذه الأشياء باختيارهم .وأما أولئك الذين حصلوا على سلام المسيح فى عقولهم وحصلوا على نوره فى داخلهم ، فإنهم يعرفون جيدا منبع كل هذه الحركات الشريرة .

٥٠ ـــ إن العالم مستعبد لشهوة الخطية ، وهو لا يدرى بها ، وهناك نار نجسة تشعل القلب وتنتشر إلى كل الأعضاء ، وتحث الناس على فعل الشهوات ، وعلى آلاف خطايا أخرى . فأولئك الذين يدعون أنفسهم أو

يسمحون لأنفسهم أن تداعبها الخطية . فيبتهجون بها ، إنما يرتكبون الخطية داخليًا فى القلب . وهكذا يجد الشر مكانًا له فيهم ، إلى أن يسقطوا فى النجاسة المكشوفة – ولاحظ أن نفس هذا الأمر هو حقيقى كذلك فيما يخص محبة المال ، والمجد الباطل والكبرياء والحسد والغضب .

وإذا دُعى إنسان إلى وليمة ووضعت أمامه أنواع أطعمة كثيرة ، فإن الخطية تقترح عليه أنه ينبغى أن يأكل منها جميعًا ، وهكذا فإن نفسه تسر بهذا الإيحاء وتثقل بأثقال فوق طاقتها . فإن الشهوات هى كجبال ثقيلة لا تحتمل وفى وسطها توجد أنهار من التنانين والوحوش السامة والثعابين . وكما يبتلع الحوت إنسانًا فى بطنه ، هكذا تبتلع الخطية النفوس . إنها لهب نار حارقة وسهام ملتهبة من الشرير . فالرسول يقول " *لكى تقدروا أن تطفئوا سهام الشرير الملتهبة* " (أف٦:١٦) لأن الخطية وجدت لها مكانا فى النفس . ووضعت أساساتها حول النفس .

حالة الحكماء بالروح :

٥١ ــ وأما الذين صاروا حكماء بالروح ، فإذا تحركت الشهوات فيهم ، فإنهم لا يستسلمون لها البتة بل يغضبون على الرغبات الشريرة ويصيرون أعداء لأنفسهم ويبغضونها . لأن الشيطان يشتهى كثيرا أن يستريح فى النفس ويوسع دائرته فى داخلها وهو ينزعج ويتضايق حينما ترفض النفس الإذعان له .

إن بعض الأشخاص هم تحت سيادة القوة الإلهية ، هؤلاء الذين إذا رأوا فتى مع امرأة فربما يفكرون قليلا ، ولكن عقلهم لا يتنجس البتة ، ولا يخطئون فى داخل قلوبهم ، ومع ذلك فليس من الممكن أن يطمئن الإنسان ويثق فى جسده فى هذه الحالة . ويوجد آخرون يكون أصل الشر فيهم

منطفئا ويابسًا أى قد انتهى منهم، ولكن هذه هى درجات العظماء بالنعمة حقا. وكما أن الناس فى مجال تجارة اللآلئ يغوصون عراة فى أعماق البحر فى أعماق المياه، ليجدوا هناك اللآلئ التى تصلح لزينة التيجان الملوكية والأرجوان الملوكى ، هكذا أولئك الذين يعتنقون طريق الحياة الانفرادية ، يخرجون عراة من العالم ، وينزلون إلى أعماق بحر الشر وإلى هاوية الظلمة ، ومن تلك الأعماق يخرجون حجارة كريمة مناسبة لتاج المسيح وللكنيسة السماوية ، وللعالم الجديد ، ولمدينة النور ، ولمحفل الملائكة .

٥٢ ــ وكما أن الشبكة تجمع أنوعًا كثيرة من السمك فتطرح الأصناف الرديئة فى البحر ثانية ، هكذا فإن شبكة النعمة تنتشر على الكل وتطلب القبول والرضا ، ولكن كثيرًا من الناس لا يوافقونها ، ولذلك فإنهم يطرحون ثانية إلى هوة الظلمة العميقة .

وكما أن الذهب يوجد بعد أن ينقى من وسط رمل كثير، على شكل ذرات صغيرة ، هكذا فإنه من وسط كثيرين يوجد قليلون يثبتون مع التمحص. فأولئك الذين لهم عمل الملكوت هم ظاهرون وكذلك أولئك الذين يلبسون فقط كلمة الملكوت هم ظاهرون أيضا . **والمُمَلحون بالملح السماوى يصيرون ظاهرين وكذلك الذين يمتلئون من كنوز الروح . وكذلك فالأوانى التى يسر الله بها هى ظاهرة أيضا ، وهو يعطيهم نعمته الخاصة ، وآخرون، بالصبر الكثير ينالون قوة التقديس بأنواع مختلفة كما يشاء الرب . فذلك الذى يتكلم ، إذا لم يكن منقادا ومرشدا بالنور والحكمة السماوية ، فإنه لا يستطيع أن يرضى ويشبع عقول الجميع ، إذ أنه توجد أغراض كثيرة مختلفة، والبعض يكون فى حالة حرب والبعض فى راحة .**

تطهير القلب والبناء الجديد :

٥٣ ـ وإذا كانت هناك مدينة خربة وأراد أحد الناس أن يعيد بناءها من جديد فإن أول شيء يفعله ، هو أن يهدم تماما كل الأشياء المتهدمة الساقطة وهكذا يبدأ فى الحفر ويضع الأساسات وهكذا يرتفع البناء رغم أنه لا يكون قد تم بناء بيت واحد بعد . وذلك الذى يريد أن يقيم حديقة جميلة فى مكان قفر كريه الرائحة فإنه يبدأ أولا فى تنظيف المكان وعمل سياج حوله وإعداد قنوات المياه ، ثم بعد ذلك يغرس البستان ، فتنمو الأشجار وهكذا بعد وقت طويل يأتى البستان بالثمر ، وهكذا قلوب البشر منذ السقوط ، قد جفت وصارت خربة ومملوءة بالأشواك . لقد قال الله للإنسان "*شوكا وحسكا تنبت لك الأرض*" (تك٣:١٨) .

لذلك فالأمر يحتاج تعب كثير وجهد لكى يطلب الإنسان الأساسات ويضعها، إلى أن تأتى النار إلى قلوب الناس ، وتبتدئ فى اقتلاع الأشواك وتنقية القلوب ، وهكذا يبتدئون أن يتقدسوا فيمجدون الآب والابن والروح القدس إلى الأبد آمين .

✢✢✢✢✢✢✢

العظة السادسة عشر :

أنت مدعو إلى فوق رغم التجارب

"الأشخاص الروحانيين يتعرضون لتجارب وشدائد مصدرها الخطيئة الأولى"

خلقنا فى حالة البراءة - الشر من حرية الإرادة :

١ ــ كل الجواهر الروحانية، أى الملائكة والنفوس البشرية والشياطين، كل هؤلاء قد خلقهم الخالق في حالة البراءة والبساطة التامة. أما كون البعض منهم قد تحولوا إلى الشر فهذا ناتج من حرية إرادتهم. فباختيارهم حادوا عن طريق التفكير السليم . فإذا قلنا أن الله خلقهم هكذا أشرارًا ، فإننا بذلك نجعل الله قاضيا ظالما بإرسال الشيطان إلى النار. إن بعض الهراطقة قد قالوا أن المادة أزلية أى ليس لها بداية، وأن المادة هى أصل كل الأشياء. وأن هذا الأصل هو القوة، وهى قوة كافية بذاتها . وهذا الكلام نجيب عليه قائلين: " أية قوة إذن هى القوة الغالبة ؟. هى بالتأكيد قوة الله ، إذن فالمغلوب ليس معادلا للغالب لا فى القوة ولا فى الزمن" . وأولئك الذين يقولون أن الشر هو جوهر حقيقى ، لا يعرفون شيئًا. فبالنسبة إلى الله ليس هناك شر جوهرى وذلك لأن الله حسب طبيعته الإلهية غير قابل للتألم أو للأهواء ، أما فينا نحن فإن الشر يعمل بقوة كاملة ويجعل نفسه محسوسا ويوحى بكل الشهوات الرديئة ولكن الشر ليس مختلطا بنا ، كاختلاط الخمر بالماء كما يقول البعض ، ولكنه مثل الزوان مع القمح فالقمح وحده والزوان وحده ، رغم أنهما موجودان فى نفس الحقل ، كما أنه فى بيت واحد قد يوجد اللص فى جزء منه، ورب البيت فى جزء آخر.

اختلاط الخطية بالنفس :

٢ ــ إن ينبوع الماء ينبع ماءًا صافيًا رغم أنه يوجد طين أسفل الينبوع تحت الماء . فلو أن أحدًا حرك الطين ، فإن الينبوع كله يتعكر .وهكذا النفس حينما تثار فإنها تتنجس وتختلط بالشر ، ويصير الشيطان واحدا مع النفس ، كروحين متفقين ، فى فعل الزنا أوفى القتل . لهذا السبب " *فالذى يلتصق بزانية هو جسد واحد*" (اكو٦:١٦) ولكن فى لحظة أخرى تكون النفس قائمة بذاتها، تائبة عما فعلته من خطية ، وتبكى وتصلى وتتذكر الله، لأنه لو كانت النفس غارقة دائما فى الشر فكيف يمكنها أن تفعل ذلك ؟ إذ أن الشيطان لا يريد أبدا أن يأتى الناس إلى التوبة . لأنه خال من كل رحمة أو شفقة .

شركة الروح القدس مع النفس :

والزوجة باتفاقها مع زوجها تصير واحدا معه ، ولكنهما فى لحظة أخرى يفترقان ، لأنه قد يحدث أن أحدهما يموت والآخر يعيش . وعلى مثال هذه الشركة تكون شركة الروح القدس مع النفس . فيصيران روحًا واحدًا " *لأن من التصق بالرب فهو روح واحد*" (اكو٦:١٧) وهذا الأمر يحدث عندما يمتلئ الإنسان بالنعمة فتحيطه من كل ناحية .

٣ ــ ولكن يوجد البعض من الذين حصلوا على تذوق الله ، ولكنهم لا يزالون خاضعين لتأثير العدو ، وهم يستغربون ، بسبب نقص خبرتهم أنه بعد افتقاد الله لهم بالنعمة فإنهم لا يزالون معرضين للتشكيك فى أسرار الإيمان المسيحي. وأما أولئك الذين نضجوا فلا يستغربون هذا الأمر. وكما أن الفلاحين المهرة بسبب طول الخبرة ، فإنهم فى زمن الرخاء لا يزال عندهم حذر وحرص ، وينظرون إلى أوقات القحط والغلاء ، ومن الجهة

الأخرى فحينما تأتى أوقات الغلاء والقحط فإنهم لا يتضجرون وييأسون لأنهم يتوقعون تغير الحال إلى الأفضل فى المستقبل ، وهكذا هو الحال فى الأمور الروحية حينما "*تقع النفس فى تجارب متنوعة*" (يع١:٢). فحينما تقع النفس فى تجارب متنوعة ، فهى لا تعتبره أمرًا غريبًا من ناحية، ومن الناحية الأخرى لا تيأس لأنها تعلم أن التجارب تأتى بسماح لأجل امتحانها وتهذيبها بالشر الذى يقابلها .

ومن الناحية الأخرى فحينما تكون فى غنى كثير واطمئنان فإنها لا تتخلى عن اليقظة والحذر ، بل تضع فى اعتبارها احتمالات تغير الحال فى المستقبل .

إن الشمس التى هى جسم مخلوق، تضئ فى الأماكن ذات الرائحة الرديئة ، حيث يوجد الوحل والقاذورات ، دون أن تصاب الشمس بأى أذى أو نجاسة، فكم بالحرى جدا يحتفظ الروح القدس النقى بشركته مع النفس ، حينما تكون تحت تأثير من الشرير ، دون أن يصيبه (أى الروح القدس) أى شيء من هذا الشر. "والنور يضئ فى الظلمة والظلمة لا تدركه" (يو١:٥).

الرجاء الثابت وعدم اليأس :

٤ ـــ لذلك فحينما يكون الإنسان فى عمق (الروح) ، وهو غنى بالنعمة، لا يزال فيه بقية من الشر موجودة معه . ولكن يوجد له معين قريب منه ليسعفه ويعينه . لذلك فحينما يكون الإنسان فى الشدائد وتثور عليه موجات عظيمة من الأهواء فلا ينبغى أن ييأس ، لأن اليأس يجعل الخطية تزدهر وتجد فرصة أكثر للتملك على الإنسان . ولكن حينما يكون للإنسان رجاء مستمر ثابت فى الله ، فإن الخطية تتناقص وتذوى وتجف .

إن الشلل والتشوهات، والحمى أو الأمراض ، هذه كلها ناتجة عن الخطية. لأن الخطية هى أصل كل الشرور ، وكل الشهوات الناتجة عن أهواء النفس أو من أفكار الشر ، إنما ترجع كلها إلى الخطية . فإن كان هناك نبع ماء جارى ــ ويحيط به مستنقعات وأراض رطبة موحلة ، ومع ذلك فحينما يأتى عليه الحر ، فإن النبع وما يحيط به من أراض ــ يجف تماما . هكذا الحال مع عبيد الله الذين تفيض فيهم النعمة وتزداد، فإن هذه النعمة تجفف الشهوة سواء كانت من العدو الشرير، أو من الطبيعة (طبيعتهم البشرية) ، فإن رجال الله الآن ، أعظم من آدم الأول .

الله فى كل مكان :

٥ ــ إن الله غير محدود وغير مدرك وهو يُظهر نفسه فى كل مكان ، فى الجبال، وفى البحر، وفى الأعماق، ولكن بدون أن ينتقل من مكان إلى آخر مثل الملائكة الذين ينزلون من السماء إلى الأرض . فهو فى السماء ، وهو هنا على الأرض . ولكنك ستقول لى "كيف يمكن أن يكون الله فى الجحيم ؟ أو كيف يمكن أن يكون فى الظلمة ، أو فى الشيطان ، أو فى الأماكن الفاسدة؟ "فأجيبك أن الله غير قابل للتأثر بالشر ويحوى كل الأشياء، لأنه غير محدود، وأما الشيطان الذى هو خليقة الله ، فهو مقيد . أما طبيعة الصلاح (الله) فلا تؤثر فيها النجاسة أو تلوثها كما أن الظلمة لا تستطيع أن تجعله مظلما. فإذا قلت إنه لا يحوى كل الأشياء بما فيها الجحيم والشيطان، فإنك بذلك تجعله محدودًا من جهة المكان الذى يوجد فيه العدو الشرير، وعلى هذا الأساس يقتضى البحث عن واحد آخر أعلى منه. فالله إذن يلزم أن يكون فى كل مكان. ولكن اللاهوت له طبيعة سامية ونقية جدًا حتى أن الظلمة، رغم وجودها فيه فإنها لا تستطيع أن تدركه أو تفهمه . لا تستطيع

الشرير أن يشترك فى نقاوته رغم أنه موجود فيه . وبالنسبة لله لا يوجد شر جوهرى حيث أن الشر لا يستطيع أن يصيبه بأى أذى .

لنحول أفكارنا إلى المسيح :

٦ ــ أما بالنسبة لنا ، فالشر حقيقى ، لأنه يسكن فى القلب ويعمل فيه إذ أنه يوحى بالأفكار الشريرة والمنجسة ، ولا يدعنا نصلى نقاوة ، بل يجذب عقولنا إلى العبودية لهذا العالم ، وقد جعل النفوس ملبسًا له وتغلغل حتى إلى عظامنا ولمسها مع أعضائنا .

فكما أن الشيطان موجود فى الهواء ، وكما أن الله موجود هناك ، فإن الله لا يصاب بأى أذى نتيجة وجوده مع الشيطان فى الهواء . وهكذا فإن الخطية موجودة فى النفس ونعمة الله موجودة فيها كذلك دون أن تحس نعمة الله بأى أذى وكما أن الخادم الذى يكون بجوار سيده هو فى خوف مستمر بسبب قربه من سيده ، وهو لا يفعل شيئا بدون سيده . هكذا يجب علينا أن نحول أفكارنا إلى سيدنا المسيح ونكشفها له ، وهو الذى يعرف القلب، وليكن فى داخلنا رجاء وثقة أنه هو "مجدى، وهو أبى، وهو غناى".

ينبغى أن يكون لك فى قلبك حرص ومخافة . فحتى إذا لم يكن الإنسان حاصلاً على نعمة الله مغروسة وثابتة فيه بشدة حتى أنها ليلاً ونهارًا وبلا انقطاع تقوده وتوقظه وتحثه على الأشياء الصالحة وتكون مرتبطة بنفسه كما برابطة طبيعية ، فعلى الأقل ، ينبغى أن يكون له الحرص ، والخوف والاجتهاد، وانسحاق القلب، ثابتة فيه باستمرار كأنها حقيقة طبيعية غير متغيرة .

النعمة تنشئ المحبة الإلهية وتغير القلوب :

٧ ــ ومثل نحلة تضع قرصًا من العسل داخل الخلية، هكذا النعمة تنشئ المحبة الإلهية سرًا فى القلوب وتغيرها من المرارة إلى الحلاوة ومن الخشونة إلى الرقة واللطف ، وكما أن الصائغ والنقاش حينما يحفرون أو ينقشون لوحة، فإنه يغطى أجزاء من الصور التى ينقشها على اللوحة ، ولكنه حينما ينهى عمله ، فإنه يظهرها لامعة بالنور ، هكذا الرب الصائغ والفنان الحقيقى يحفر على قلوبنا وينقشها ، ويجددها فى صمت وسكون إلى أن يأتى يوم خروجها من الجسد ، وحينئذ يظهر جمال النفس بوضوح.

وأولئك الذين يريدون أن يصنعوا أواني، ويصوروا فيها صور حيوانات فإنهم يصنعون تصميمهم أولا على الشمع (قالب)، ثم يصببون المعدن على القالب، وهكذا يكتمل العمل على حسب التصميم الموضوع أصلاً. هكذا الخطية ، رغم أنها ليس لها جسد ، ولكن لها صورة وهى تتخذ أشكالا كثيرة ، وبنفس الطريقة فإن الإنسان الباطن هو مثل واحد من هذه الحيوانات (التى ترسم) فإن له صورة وله شكل لأن الإنسان الباطن هو على مثال الإنسان الخارجى . وما أعظم هذا الإناء وما أثمنه إذ أنه هو الإناء الوحيد الذى سر الرب به من بين جميع المخلوقات . وأفكار النفس الصالحة هى كحجارة ثمينة ودرر ، وأما الأفكار النجسة فهى مملوءة "*عظام أموات وكل نجاسة* " ورائحة رديئة (مت٢٣:٢٧) .

من هم المسيحيون بالحق ؟ :

٨ ــ فالمسيحيون إذن هم من عالم آخر وهم أولاد آدم السماوى، جنس جديد، أولاد الروح القدس **واخوة المسيح المضيئين**، مثل أبيهم آدم السماوى المضئ. وهم من تلك المدينة، ومن ذلك النسب، ومن تلك القوة

(السماوية)، إنهم ليسوا من هذا العالمْ ، بل من عالم أخر ، والرب نفسه يقول "أنتم لستم من هذا العالم كما أنى أنا لست من هذا العالم" (يو١٧: ١٦).

ولكن كما أن التاجر الذى كان فى رحلة طويلة لأجل تنمية تجارته ويكون قد سبق قبل عودته وأرسل لأصدقائه ليهيئوا له منازل وحدائق وملابس بحسب ما يلزمه وحينما يعود إلي بلدته فإنه يحضر معه أموال كثيرة ويلاقيه أصحابه وأقرباؤه بفرح عظيم ، كذلك فى الأمور الروحانية فالذين يجعلون الغنى السماوى هو موضوع عملهم وانشغالهم فإن أصدقاءهم وأهل بلدتهم ، أى أرواح الصديقين القديسين والملائكة يعرفون عملهم واهتمامهم ، ويقولون بفرح وإعجاب : "إن اخوتنا الذين على الأرض قد أتوا بغنى عظيم . فهؤلاء عند رحيلهم من العالم يكون الرب معهم ويسببون فرحا عظيما لأولئك الذين هم خاصة الرب فى السماء ، يستقبلونهم مجهزين لهم بيوتا وبساتين وملابس كلها لامعة وثمينة جدًا .

الحاجة للاعتدال والإفراز :

٩ ــ إننا نحتاج إلى الاعتدال والتبصر في كل الأمور ، حتى لا تتحول الأشياء الصالحة التى تبدو أننا قد امتلكناها ، إلى ضرر لنا . فإن الذين هم رحومين بطبيعتهم ، إذا لم يحفظوا أنفسهم فقد ينزلقون تدريجيا إلى الضلال عن طريق نفس شفقتهم ورحمتهم ، وأولئك الذين عندهم حكمة يمكن أن تخدعهم حكمتهم . فيجب على الإنسان أن يكون معتدلاً ومتزنًا معًا فى جميع الاتجاهات: بأن يجمع الشفقة مع الشدة، والحكمة مع حرية التصرف، والقول مع العمل ، وفى كل شىء يضع ثقته فى الرب لا فى نفسه .

لأن الفضيلة تُتَبل بتوابل متنوعة كثيرة ، كما أن طعامنا الضرورى يُتَبل بأنواع من البهارات – ليس بالعسل فقط ، بل بالفلفل أحيانا – وهكذا يصير صالحًا ومناسبًا للأكل .

١٠ ــ وأولئك الذين يقولون أن الخطية غير موجودة فى الإنسان هم مثل أناس مغمورين تحت مياه كثيرة فائضة ، ومع ذلك لا يقرون بأن المياه تغمرهم ، بل يقولون ، "إننا سمعنا صوت المياه سماعا" ورغم أنهم يكونون مغمورين فى عمق أمواج الشر ، فمع ذلك يقولون أن الخطية غير موجودة فى عقلهم أو أفكارهم .

الفرق بين الفكر النظرى وبين الدخول للكنوز السماوية :

يوجد فرق عظيم بين أولئك الذين لهم فكر نظرى وقدره على الكلام ، ولكنهم غير مُملّحين بالملح السمائى – الذين يتحدثون عن المائدة الملكية دون أن يكونوا قد ذاقوا منها شيئا أو تمتعوا بها وبين إنسان يرى الملك نفسه ، وقد كشفت له الكنوز السماوية وقد دخل إليها ، وصار وارثا لها ، وهو يأكل ويشرب من المأكولات السماوية الثمينة .

الحرص وانسحاق القلب وعناية النعمة :

١١ ــ وإن كان لأم ابن وحيد ، وسيم جدا ، وعاقل وحكيم ، ومزّين بكل الأشياء الصالحة ، وقد وضعت كل آمالها فيه فإذا مات هذا الابن ودفنته فإنها تصاب بأحزان لا نهاية لها وبكاء ونحيب حتى أنها لا تستطيع أن تتعزى وهكذا أيضا ينبغى على العقل أن يحزن ويبكى حينما تموت النفس عن الله ويكون له كآبة كثيرة وقلب منسحق ، ويكون فى خوف وحرص ، وفى نفس الوقت يكون له جوع وعطش باستمرار إلى كل ما

هو صالح ، فمثل هذا الإنسان تأخذه يدى نعمة الله والرجاء الإلهى لتعتنى به النعمة فلا يعود يحزن أيضًا ، بل يبتهج ويفرح كمن وجد كنزًا عظيمًا ، ولكنه يرتعد خوفا أيضا لئلا يفقد الكنز . لأن اللصوص يحضرون كثيرًا للهجوم عليه . ومثل إنسان تعرض لخسائر كثيرة من اللصوص واستطاع أن ينجو منهم بصعوبة شديدة وبعد هذا حصل على غنى وفير وخيرات كثيرة ، فإنه لا يعود يخشى تأثير الخسارة عليه بسبب ثرائه الوفير ، هكذا الرجال الروحانيون فإنهم يتعرضون أولا لتجارب وضيقات مخيفة ، ولكنهم حين يمتلئون بالنعمة ويفيضون بالصالحات ، فإنهم لا يعودون يخافون من أولئك الذين يريدون أن يسرقوهم ، بسبب أن غناهم صار عظيما ، ولكنهم يخافون – ليس خوف المبتدئ من أرواح الشر ، بل لهم خوف وحرص كيف يستثمرون المواهب الروحية التى ائتمنوا عليها .

النعمة تغرس التواضع فى النفس :

١٢ ــ والواحد من هؤلاء الروحانيين ، يعتبر نفسه أحقر من جميع الخطاة ، ويتأصل فيه هذا الفكر حتى يصير كجزء من الطبيعة وكلما تقدم فى معرفة الله ، بقدر ذلك يحسب نفسه جاهلا تماما ، وكلما تعلم فإنه يحسب نفسه أنه يعرف أقل . إن النعمة هى التى تقوم بهذا التأثير فى النفس وتجعله كجزء من الطبيعة فى النفس .

ومثل الطفل الذى يحمله شاب قوى ، والذى يحمله يأخذه إلى حيث يشاء ، هكذا النعمة التى تعمل فى أعماق النفس فإنها تحملها وترفعها إلى السموات ، إلى العالم الكامل ، والراحة الأبدية .

الراحة وعدم الراحة :

ولكن النعمة فيها درجات ورتب . إذ أن رئيس العسكر الذى يحق له الدخول إلى الملك يختلف عن الضباط . وكما أن البيت الذى يمتلئ بالدخان يفرغ الدخان أيضا إلى الفضاء الخارجى هكذا الخطية المخزونة فى النفس تخرج إلى الخارج وتنتج ثمارها . وكما أن أولئك الذين كلفوا بحكم إحدى الولايات أو كلفوا بإدارة الخزانة الملكية هم دائما فى قلق وحذر لئلا يسيئوا إلى الملك ، هكذا أولئك الذين استؤمنوا على العمل الروحانى هم دائما فى حذر وحرص رغم أنهم يكونون فى راحة إلا أنهم لفترة من الوقت يكونون كأنهم لم يحصلوا على الراحة بعد . لأن مملكة الظلمة التى دخلت إلى مدينة النفس والقوات الغريبة التى سيطرت على مراعيها هى فى طريقها أن تطرد خارج النفس .

١٣ ــ والمسيح الملك يرسل لينتقم للمدينة ويقيد الظالمين بالسلاسل ، وتعسكر الجنود السماوية وجيش الأرواح المقدسة هناك كأنهم فى السموات، وحينئذ فإن الشمس تضئ فى القلب وتخترق أشعتها وتدخل إلى كل الأعضاء ، وهكذا يملك سلام عميق ويصير هو القوة المسيطرة هناك .

استمرار الصراخ إلى الله :

ولكن عزيمة الإنسان فى الحرب والجهاد وقيمته الحقيقية . وإرادته الصالحة من نحو الله ، كل هذه تظهر حينما تتأخر النعمة ولكنه يظل شجاعا ويستمر يصرخ إلى الله. إنك حينما تسمع أن هناك أنهار بها تنانين، وأفواه أسود وقوات مظلمة تحت السماء ونار تحرق الأعضاء فإنك لا تفكر فيها ، غير عالم أنك إن لم تنل عربون " الروح القدس" (٢كو ١:٢٢) ، فإن

هذه كلها تمسك بنفسك عند خروجها من الجسد ولا تدعوك تصعد إلى السماء .

أتى هو بشخصه ليدعوك إلى فوق :

وبنفس الطريقة ، حينما تسمع عن كرامة النفس وكيف أن جوهرها العاقل ثمين جدا ، فإنك لا تفهم أن الله لم يقل عن الملائكة ، بل عن الطبيعة البشرية "*لنصنع الإنسان على صورتنا كشبهنا*" (تك١:٢٦) . وأن السماء والأرض تزولان ولكنك أنت قد دعيت إلى الخلود ، والتبنى ، والأخوة للملك ولتكون عروسا للملك . فى هذا العالم الذى حولنا كل ما هو للعريس يصير للعروس ، وهكذا كل ما هو للرب ، مهما كان فإنه يودعه إياك . لقد أتى هو إلى معونتك بشخصه ، ليدعوك إلى فوق ، وأنت لا تقدر ولا تفهم مقدار كرامتك . لذلك فالمرنم الملهم يبكى على سقطتك قائلا: "*إنسان فى كرامة ولا يفهم ، فهو مثل البهائم بلا عقل ، وهو يُشبّه بها*" (مز٤٩:٢٠) . فليكن المجد للآب وللابن ، وللروح القدس . إلى الأبد آمين .

✣✣✣✣✣✣✣

العظة السابعة عشر :

مسحة الروح القدس

"مسحة المسيحيين الروحانية ومجدهم ، وأنه بدون المسيح يستحيل الخلاص وتستحيل الشركة فى الحياة الأبدية"

مسحة الروح :

١ ــ المسيحيون الكاملون الذين حسبوا أهلا للوصول إلى مقاييس الكمال والالتصاق جدا بالملك (المسيح) ، **هؤلاء يكرسون أنفسهم دائما لصليب المسيح** . وكما كانت المسحة في أيام الأنبياء هى أثمن من جميع الأشياء – إذ أن المسحة جعلتهم ملوكا وأنبياء ، هكذا الأشخاص الروحيون الآن ، الذين يمسحهم بالمسحة السماوية فإنهم يصيرون مسحاء بحسب النعمة ، فيكونون هم أيضا ملوكا وأنبياء للأسرار السماوية .

هؤلاء هم أبناء وأرباب وآلهة ، مأسورون ومستعبدون لنعمة الله ، ومستغرقون فى العمق ، مصلوبون ومكرسون . فإن كانت مسحة الزيت ، التى استخرجت من نبات مادى ــ من شجرة منظورة لها كل هذه القوة ، حتى أن أولئك الذين مسحوا بها ، نالوا كرامة فوق كل اعتبار ــ فإنه هكذا كانت القاعدة الثابتة التى بها يعينون ملكًا ، فداود مثلا بعد أن مُسح ، وقع فى الحال فى اضطهاد وآلام ، ثم بعد سبع سنوات صار ملكًا ــ **فكم بالحرى جدًا كل الذين يُمسحون فى العقل والإنسان الباطن بدهن البهجة (عب١ : ٩) الذى يقدس ويبهج ، الدهن السماوى الروحانى ، ينالون علامة ذلك الملكوت الذى لا يفنى ، والقوة الأبدية ، عربون الروح (٢كو٥ : ٥) ، أى الروح القدس المعزى . وهو يسمى المعزى لأنه يعزى أولئك الذين فى الشدائد .**

الدخول منذ الآن ومعاينة النور :

٢ ــ فهؤلاء إذ قد مُسحوا من شجرة الحياة – أى يسوع المسيح الغرس السماوى ، فإنهم ينالون امتياز المجىء إلى درجات الكمال ، **درجات الملكوت والتبنى ، ويكونون مشاركين حقيقيين فى أسرار الملك السماوى وخفاياه** ، إذ يدخلون بحرية إلى القدير ، يدخلون فى قصره حيث يكون الملائكة وأرواح القديسين ، **وهم يدخلون منذ الآن بينما هم لا يزالون فى هذا العالم . ورغم أنهم لم ينالوا الميراث الكامل المُعَد لهم فى ذلك الدهر ، فإنهم متيقنون – عن طريق العربون الذى قد نالوه الآن – كأنهم قد كُلِّلوا ومَلَكُوا** ، وإذ هم عتيدون أن يملكوا مع المسيح ، **فإنهم لا يستغربون وفرة وحرية فيض الروح . لماذا ؟. لأنهم حصلوا ــ وهم لا يزالون فى الجسد ــ على لذة حلاوته وعلى عمل قوته الفعالة .**

٣ ــ فحينما يكون إنسان ما صديقا للإمبراطور ، ويعمل فى قصره ويتعرّف على أسراره وخفاياه ، وينظر أرجوانه ، فإذا صار ذلك الإنسان هو نفسه إمبراطورًا فيما بعد ، وتوج فإنه لا يندهش أو يُصدم (بما فى القصر) حيث أنه سبق أن تَدَّرب طويلاً فى أسرار القصر وخفاياه . فلا يستطيع شخص ساذج أو جاهل أو غريب عن خفايا القصر أن يدخل القصر ويملك ، بل يستطيع ذلك فقط أولئك الذين لهم خبرة وتدرب ، **وكذلك المسيحيون الذين سيملكون فى الدهر الآتى ، فإنهم لا يستغربون ، إذ أنهم سبق أن تعرّفوا على أسرار النعمة وخفاياها** . فحينما تعدى الإنسان الوصية ألقى الشيطان على النفس حجابًا مظلمًا . ثم تأتى النعمة فتزيل الحجاب تماما ، حتى أن النفس إذ تصير نقية ، وتستعيد طبيعتها الأصلية ، وتصير صافية بلا عيب ، **فإنها تنظر دائما بصفاء – بعينها النقية – مجد النور الحقيقى ، وشمس البر الحقيقية ساطعة بأشعتها داخل القلب نفسه .**

٤ ــ وكما أنه فى نهاية العالم تزول السماء (الجلد) ويعيش الأبرار حينئذ فى الملكوت والنور والمجد **ولا يعاينون شيئا آخر سوى المسيح وهو فى المجد جالس دائما عن يمين الآب ، هؤلاء الناس يختطفون منذ الآن إلى ذلك الدهر الآتى ويؤسرون ، وهناك يعاينون كل أنواع الجمال والبهاء والعجائب .**

فنحن رغم أننا على الأرض فإن " *مدينتنا هى فى السموات* " (فى٣: ٢٠) إذ فيما يخص العقل والإنسان الباطن ، نصرف وقتنا ونقوم بأنشطتنا فى ذلك العالم . وكما أن العين الظاهرة – عندما تكون صافية – ترى الشمس دائما بوضوح ، **هكذا العقل المُطَهر تماما فإنه دائما ينظر مجد نور المسيح ويكون مع الرب ليلا ونهارا ، كما أن جسد الرب المتحد باللاهوت هو دائما مع الروح القدس .**

قوة عمل النعمة وتأثير الخطية :

ولكن الناس لا يصلون إلى هذه المقاييس فى لحظة ، بل بالتعب والآلام والجهاد الكثير . لأن البعض منهم تعمل النعمة معهم وتسكن فيهم ، ومع ذلك فالشر أيضا يعمل فيهم فى الداخل فكل من النور والظلمة له عمل وتأثير على القلب الواحد بعينه .

٥ ــ ولكنك ستسألنى قائلاً: " *أى شركة للنور مع الظلمة* " (٢كو٦: ١٤) وكيف يتأثر النور الإلهى أو يَظلَمْ ؟ وكيف يمكن أن يتلوث ما هو طاهر ونقى؟ **كما هو مكتوب " *النور يضىء فى الظلمة والظلمة لم تدركه* " (يو ١: ٥)** ولكننا لا يجب أن نفكر فى هذه الأمور من وجه واحد وبدون تدقيق . **فالبعض من الناس يستقرون فى نعمة الله ويعتمدون عليها لدرجة عظيمة ، حتى أنهم يصيرون أقوى من الخطية التى فيهم وينعمون بنعمة الصلاة**

وراحة كثيرة فى الله ، ولكنهم فى لحظة أخرى يكونون تحت تأثير الأفكار الشريرة وينخدعون بالخطية بالرغم من كونهم لا يزالون فى نعمة الله .

ولكن الناس ذوى العقول الخفيفة ــ الذين لم يدركوا حقيقة الأمر ــ حينما تعمل فيهم النعمة، إلى حد ما ، فإنهم يتخيلون أنه لم يبقى هناك شئ اسمه الخطية. **أما الذين لهم تمييز وفطنة فلا يجرؤون أن ينكروا أننا حتى مع حصولنا على نعمة الله فإننا معرضون لتأثير الأفكار الشريرة والمنجسة .**

٦ ــ لقد وجدنا أمثلة كثيرة بين الأخوة الذين حصلوا على فرح عظيم ونعمة هذا مقدارها حتى أنهم لمدة خمس أو ست سنوات متتابعة جفت فيهم الشهوة ولكنهم بعد ذلك حينما ظنوا أنهم صاروا أحرارًا تمامًا منها ، فإن الشر الذى كان مختفيا تحرك عليهم ثانية واشتعلت فيهم الشهوة ، حتى أنهم تعجبوا وقالوا " من أين جاء علينا وقام ضدنا هذا الشر بعد كل هذا الوقت الطويل ؟ " .

فلا يجرؤ إنسان ذو عقل سليم أن يقول "حيث أن النعمة حاضرة فىَّ فأنا حر من الخطية على الإطلاق" والحقيقة فإن كل من النعمة والخطية يكون لها ــ فى ذلك الوقت ــ عمل وتأثير على القلب .

والذين ليس لهم خبرة فى هذه الأمور، حينما تعمل فيهم النعمة بعض العمل، يتصورون أنهم قد وصلوا إلى الظفر الكامل وصاروا مسيحيين كاملين.

ولكن من جهتى أنا أقول أن حقيقة الأمر هى هكذا: حينما تكون الشمس فى السماء مشرقة فى جو صاف ثم تأتى السحب وتحيط بها وتغطيها ، وتجعل الجو معتما ، فإن الشمس مع ذلك تكون بعيدة جدا ولا يضيع شيء من نورها ولا من جوهر طبيعتها ، **هكذا هو الأمر مع أولئك الذين لم يتطهروا ويتنقوا تنقية كاملة . أنهم يكونون فى نعمة الله ، ولكنهم ممسكين**

تحت السطح بالخطية ولذلك فإن حركاتهم الطبيعية ، وأفكارهم الحقيقة ، متجهة بقوة إلى الله وبالرغم من ذلك فإنها ليست مرتبطة ارتباطًا كليًا بالصلاح .

٧ ــ ومن الجهة الأخرى فهناك البعض الآخر هم مُمْسكين فى العمق بقوة الخير والصلاح ــ قوة النعمة ومع ذلك لا يزالون فى عبودية وخضوع للأفكار الشريرة وجانب الشر . لذلك فالأمر يحتاج إلى إفراز كثير لكى يعرف الإنسان بالاختبار أن حقيقة الأمر هى هكذا . وأنى أذكر لكم أنه حتى الرسل رغم نوالهم المعزى فى داخلهم لم يكونوا خالين تماما من الخوف فإلى جانب امتلائهم من الفرح والبهجة كان فيهم أيضا خوف ورعدة ناشئة من النعمة نفسها وليست ناشئة من جانب الشر ، وكانت النعمة نفسها تحفظهم . وتحرسهم لكى لا ينحرفوا أى انحراف .

فإذا رمى إنسان حجرا صغيرا على حائط فإنه لا يضر الحائط ولا يحركه من مكانه وإذا أطلق سهم على رجل يلبس درعا فإنه لا يضر درع الحديد ولا جسم لابس الدرع لأنه ينعكس ويرتد إلى خلف . هكذا حتى إذا اقترب جزء صغير من الشر ، من الرسل فإنه لم يكن ليجرحهم أو يضرهم لأنهم كانوا بقوة المسيح الكاملة وإذ كانوا كاملين ، كانت لهم الحرية الكاملة لعمل البر بكل أنواعه .

٨ ــ إن البعض يقولون أن النفس بعد نوالها النعمة تصير بلا خوف ولكن الله يطلب إرادة النفس – حتى فى الكاملين – لتصير فى خدمة الروح ، لكى يعملا كلاهما فى توافق واتفاق .

فالرسول يقول " *لا تطفئوا الروح*" (١تس٥:١٩") فالبعض منهم كانوا غير راغبين أن يثقلوا على غيرهم ، والبعض كانوا يسيرون على حِدَتهم ،

والبعض الآخر كانوا يأخذون من العائشين فى العالم ويوزعون على الفقراء . وهذا كان أفضل .

لأن البعض تكون فيهم النعمة فيهتمون فقط بنفوسهم بينما يسعى آخرون لمنفعة نفوس اخوتهم أيضا وهؤلاء أفضل من الآخرين . والبعض من الذين لهم النعمة يسلمون أجسادهم للتعييرات والآلام من أجل اسم الله وهؤلاء أيضا أفضل من أولئك . والبعض فى سعيهم إلى الفضيلة يميلون إلى التشامخ وإلى نوال الكرامة والمديح من الناس، ويقولون إنهم مسيحيون وشركاء للروح القدس. وآخرون يجتهدون فى إخفاء أنفسهم حتى من مقابلة الناس وهؤلاء أفضل من أولئك الآخرين . **وهكذا ترون أنه حتى فى الكمال تكون الإرادة الصالحة نحو الله المتوافقة بتكامل مع الإرادة الطبيعية هى التى تعلو وتتفاضل كثيرًا جدًا .**

الحديث الروحى بدون تذوق واختيار :

٩ ــ فإذا كان إنسان فقير، يرى نفسه غنيًا فى حلم الليل، وحينما يستيقظ من النوم يجد نفسه فقيرًا عريانًا مرة أخرى. كذلك الذين يتحدثون الحديث الروحانى ويظهرون كأنهم يتحدثون بكفاءة تامة، **ولكنهم إن لم يكونوا حاصلين على الشيء الذى يتحدثون عنه، متحققا فى قلوبهم بالتذوق والقوة والاختيار الشخصى فإنه لا يكون لهم سوى مظهر باطل وخيال وهمى.**

أو مثل امرأة مزينة بالحرير ومتحلية بالجواهر وتعرض نفسها فى مكان الفساد والعار ، هكذا يكون قلب هؤلاء الناس مأوى للأرواح النجسة فإنهم يسرعون إلى التكلم والحديث عن البر بينما هم لم يتمتعوا حتى بنظرة لهذه الحقائق .

١٠ ــ السمكة لا تستطيع أن تعيش خارج الماء ، ولا يستطيع أحد أن يمشى بدون قدمين ، أو يرى النور بدون عينين أو يتكلم بدون لسان أو يسمع بدون أذنين . **هكذا بدون الرب يسوع وعمل قوته الإلهية، لا يستطيع أحد أن يعرف أسرار الله وحكمته، أو أن يحصل على الغنى الحقيقى ويصير مسيحيًا.** فإن الحكماء، المحاربون، الشجعان، فلاسفة الله هم **أولئك الذين ينقادون ويتغذون وينضبطون فى الإنسان الباطن بالقوة الإلهية** . إن فلاسفة اليونانيين يتعلمون صناعة الكلام بينما الآخرون هم " عاميون فى الكلام " (٢كو١١:٦) ، ويبتهجون ويفرحون متهللين بنعمة الله لأنهم رجال تقوى فلنحكم أيهما أفضل. فالرسول يقول " *ملكوت الله ليس بكلام بل بالفعل والقوة* " (١كو٤:٢٠) .

١١ ــ فإنه من السهل جدًا على أى إنسان أن يقول : "هذا الخبز مصنوع من القمح" . ولكن كان ينبغى أن يخبرنا عن كيفية إعداده وعجنه بالتفصيل . هكذا فإن التحدث عن التحرر من الأهواء وعن الكمال هو أمر سهل ولكن خبرة الوصول إلى الكمال ليست أمرًا هينا .

فالإنجيل مثلا يقول فى اختصار "*لا تغضب ، لا تشتهى*" وأيضًا " *من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك ، فاترك له الرداء أيضًا*" (مت٥:٣٩، ٤٠) .

ولكن الرسول إذ يتتبع كيفية تتميم عمل التطهير فإنه بصبر ومثابرة قليلاً قليلاً يعلمنا بالتفصيل مغذيا إيانا باللبن كالأطفال ثم يأتى بنا إلى النمو وإلى النضج الكامل . فالإنجيل قال : إن الثوب مصنوع من صوف الحملان (مت٧:١٥) ، ولكن الرسول أعلن بالتفصيل كيفية صنعه .

١٢ ــ هكذا أولئك الذين يتحدثون بالأحاديث الروحية ، بدون أن يتذوقوا ما يتحدثون عنه فإنهم يشبهون إنسانًا مسافرًا فى صحراء مقفرة تحت أشعة الشمس المحرقة ، وبسبب عطشه فإنه يتخيل صورة ينبوع ماء جار ويرى نفسه وهو يشرب منه ، بينما تكون شفتاه ولسانه كلها جافة مشتعلة من شدة العطش الذى يتملكه، أو كمثل إنسان يتحدث عن العسل ويقول أنه حلو، مع أنه لم يذقه قط، ولذلك فإنه لا يعرف قوة حلاوته. هكذا هى حالة أولئك الذين يتحدثون عن الكمال والفرح، والتحرر من الأهواء دون أن يكون فيهم العمل الفعّال أو المعرفة الشخصية لهذه الأمور، وليست الأشياء كلها كما يصفونها هم . وإذا حسب إنسان من هذا النوع ، أهلا لأن يكتشف الحقيقة ، فإنه يقول فى نفسه إنى لم أجد الحقيقة كما كنت أظن ، فإنى كنت أتحدث فى اتجاه، والروح يعمل فى اتجاه آخر .

١٣ ــ **لأن المسيحية هى فى الحقيقة طعام وشراب** ، فكلما أكل الإنسان منها ازداد قلبه ولعا بحلاوتها ، ولا يتوقف أو يكتفى بل يطلب المزيد ، ويستمر يأكل بلا شبع أو امتلاء . فإذا أعطى شراب حلو لإنسان عطشان ، فإنه بعد أن يتذوقه، يزداد ظمئا إليه ، ويشتاق إليه بحرارة أكثر من الأول. **والحقيقة أن مذاقة الروح تشبه ذلك ، ولكن بغير حدود ، حتى أنه لا يوجد شيء يمكن أن يمثل به ، وهذه ليست مجرد كلمات . فهذا هو فعل الروح القدس وعمله الذى يعمله فى الخفاء فى القلب .**

القداسة هى نقاوة القلب :

إنْ البعض يتصورون أنهم صاروا قديسين بسبب امتناعهم عن الزواج وعن بعض أمور أخرى منظورة ، ولكن الأمر ليس كذلك . فإن الخطية لا تزال تعيش وترفع رأسها فى العقل وفى القلب . فإن القديس هو ذلك الذى

يتنقى ويتقدس فى الإنسان الباطن. وحيثما يرفع الحق رأسه ، فهناك يبدأ الشر هجومه محاولا أن يخفى الحق ويحجبه .

١٤ ــ وحينما كان اليهود يمتلكون الكهنوت ، فإن بعضًا من تلك الأمة كانوا يُضطهدون ويتألمون بسبب ثباتهم فى الحق، مثل أليعازر والمكابيين. والآن بعد الصليب وانشقاق الحجاب، فارق الروح اليهود، وأما الآن فإن الحق كُشف هنا وهو يعمل هنا (فى المؤمنين بالمسيح) ، وهكذا فإن البعض من هذه الأمة (المسحيين) يُضطهدون بدورهم . إن الاضطهاد والشدائد تقع على المؤمنين، **لكى يستطيع محبى الحق أن يشهدوا له لأنه كيف يظهر الحق إن لم يكن له أعداء ، الذين هم الكذبة والمقاومون للحق ...؟**

وحتى بين الأخوة ، يوجد البعض ممن يحتملون آلام وشدائد كثيرة ، ومع ذلك يحتاجون إلى احتراس كثير لكى لا يسقطوا .

فواحد من الأخوة كان مرة فى صلاة مع آخر ، وأُسرَ من القوة الإلهية واختطف ورأى أورشليم العليا ومناظرها المضيئة ، والنور اللانهائى ، وسمع صوتًا يقول هذا هو مكان راحة الأبرار ، وبعد وقت قصير ، انتفخ فى نفسه وظن أن الرؤيا التى رآها هى مختصة به وتنسب إليه ، وبعد ذلك سقط إلى أعماق الخطية ، وآلاف أمور شريرة .

١٥ ــ فإن كان الذى دخل إلى الداخل والمتقدم كثيرًا سقط هكذا ، فكيف يستطيع الشخص العادى أن يقول " أنى بصومى وتغربى ، وتوزيع كل أموالى قد صرت قديسًا ؟" .

إن مجرد الامتناع عن الشرور ليس هو الكمال ــ بل إن دخلت إلى قلبك الخرب وذبحت الحية القتّالة التى تكمن تحت العقل ، تحت سطح الأفكار ،

وتختبئ داخل ما نسميه – مخادع النفس ومخازنها الخفية – فإن القلب هوة عميقة – فقط إن كنت تقتل هذه الحية وتخرج خارجا كل ما كان فيك من النجاسة فحينئذ تتحول إلى النقاوة . فإن كل الفلاسفة والناموس والأنبياء بل مجيء المخلص كل هذا من أجل الطهارة . فكل الناس يهودًا كانوا أم **أممًا يحبون الطهارة** ،رغم أنهم لا يستطيعون أن يكونوا أطهارًا . **فينبغى أن نستمر فى البحث عن الكيفية والوسائل التى نحصل بها على نقاوة القلب .**

طريق النقاوة :

وبالتأكيد لا يوجد طريق آخر سوى بواسطة ذلك الذى صلب لأجلنا . فهو الطريق والحياة والحق ، والباب والجوهرة ، والخبز الحى السماوى . وبدون هذا الحق تستحيل معرفة الحق ، أى يستحيل الخلاص .

فكما أنه من جهة الأمور المنظورة ، قد تخليت عن كل شيء ووزعت أموالك، هكذا أيضا من جهة الحكمة العالمية ، فإن كان لك علم وفصاحة كلام ، فإنك ينبغى أن ترذلها وتعتبرها كلا شيء ، حتى تستطيع أن تتهذب وتتبنى " *بجهالة الكرازة* " (١كو١:٢١)، **هذه الكرازة التى هى الحكمة الحقيقية** التى لا تعتمد على عظمة وغرور الكلام ، **بل لها قوة تعمل بفاعلية بواسطة الصليب المقدس** . فالمجد للثالوث الواحد فى الجوهر إلى الأبد . آمين .

✠✠✠✠✠✠✠

العظة الثامنة عشر :

غنى وكنز الروح القدس

"عن كنز المسيحيين ، الذى هو المسيح والروح القدس الذى يدربهم بطرق متنوعة ، ليأتى بهم إلى الكمال" ..

كنز الروح :

١ ــ إذا كان إنسان غنى فى هذا العالم وعنده كنز مخفى فإنه من ذلك الكنز والغنى الذى له يمكنه أن يشترى أى شىء يشتهيه . وكل الأشياء النادرة التى يشتهيها – فى هذا العالم ، فإنه بسهولة يجمعها ويكدسها ، معتمدا على كنزه لأنه بواسطة هذا الكنز ، يسهل عليه اقتناء كل الممتلكات التى يشتهى امتلاكها . وبنفس الطريقة فإن أولئك الذين يطلبون ويسعون إلى الله ، وقد وجدوا الكنز السماوى أى **حصلوا على كنز الروح ، الذى هو الرب نفسه، مضيئا فى قلوبهم ، فإنهم يتممون كل بر الفضائل وكل غنى الصلاح الذى أوصى به الرب ، وذلك من كنز المسيح الذى فيهم ،** وبواسطة ذلك الكنز يتممون كل فضائل البر معتمدين على مجموع الغنى الروحى الكثير المتجمع فى داخلهم ، ويعملون بسهولة كل وصايا الرب بواسطة غنى النعمة غير المنظور الذى فيهم . يقول الرسول " *لنا هذا الكنز فى أوان خزفية*" (٢كو٤:٧) . أى الكنز الذى أعطى لهم فى هذه الحياة ليمتلكوه فى داخل نفوسهم ، " *الذى صار لنا حكمة من الله وبرًا وقداسة وفداءً* " (١كو١:٣٠) .

٢ ـــ فالذى وجد وامتلك فى داخله كنز الروح السماوى هذا فإنه يتمم به كل بر الوصية وكل تتميم الفضائل **بنقاوة وبلا لوم، بل بسهولة وبدون تغصب.**

لذلك فلنتضرع إلى الله ، ونسأله ونطلب منه بشعور الاحتياج، أن ينعم علينا بكنز روحه، لكيما نستطيع أن نسلك فى وصاياه كلها بطهارة وبلا لوم، ونتمم كل بر الروح بنقاوة وكمال بواسطة الكنز السماوى، الذى هو المسيح.

فالذى يكون فقيرًا وعريانًا ومحتاجًا ومعدمًا فى هذا العالم ، لا يستطيع أن يقتنى شيئا ، لأن فقره يمنعه من ذلك ، ولكن الذى يملك الكنز – كما سبق أن قلت– فإنه بسهولة يقتنى كل ما تصبو نفسه إليه ، بدون جهد أو ألم . **هكذا النفس العريانة والمقفرة من شركة الروح ، الواقعة تحت فقر الخطية المرعب لا تستطيع ـــ حتى إذا رغبت ـــ أن تثمر أى ثمر من ثمار روح البر بالحق ، قبل أن تدخل فى شركة الروح .**

٣ ـــ فليغصب كل واحد منا نفسه ليطلب من الرب أن يحسب أهلاً أن ينال وأن يجد كنز الروح السماوى . **لكيما يستطيع بتهيؤ وبدون صعوبة ، أن يعمل كل وصايا الرب بنقاوة وبلا لوم** ـــ تلك الوصايا التى لم ينجح قبل ذلك فى أن يعملها مهما غصب نفسه. لأنه إذ يكون فقيرًا وعريانًا من شركة الروح، فكيف يمكنه أن يقتنى الكنوز السماوية بدون أن يحصل على كنز وغنى الروح ؟. **أما النفس التى وجدت الرب الذى هو الكنز الحقيقى فإنها بواسطة طلب الروح ، وبالإيمان والثقة ، وبصبر كثير ، تثمر ثمار الروح بسهولة وراحة ، كما قلت سابقًا** ، وتعمل كل وصايا الرب ، التى

أوصى بها الروح ، هذه كلها تعملها فى نفسها ، وبنفسها ، بنقاوة وكمال وبلا لوم .

غنى الروح ومنفعة الآخرين :

٤ ــ ولنستخدم توضيحًا آخر : إنسان غنى يريد أن يصنع وليمة فاخرة فإنه يصرف من ثروته والكنز الذى يملكه ، ولأنه غنى جدا فإنه لا يخاف من عدم كفاية أمواله لتجهيز كل لوازم الوليمة . وهكذا فإنه يكرم الضيوف الذى دعاهم . ببذخ وأبهة ، واضعًا أمامهم أنواع كثيرة من المأكولات وبأحدث أنواع التجهيز . وأما الفقير الذى ليس عنده مثل هذا الغنى فإنه إذا رغب فى عمل وليمة لأصدقاء قليلين فإنه يضطر أن يستعير كل شىء ، من الأوانى والأطباق والمفارش وكل شىء آخر ، وبعد ذلك حينما تنتهى الوليمة ويخرج المدعوين فإنه يعيد كل الأشياء التى استعارها إلى أصحابها سواء أطباق فضة أو مفارش أو أى أشياء أخرى ، وهكذا حينما يرجع كل شىء يظل هو نفسه فقيرا وعريانا إذ ليس له غنى خاص يعزى به نفسه .

٥ ــ وبنفس الطريقة فإن أولئك **الذين يكونون أغنياء بالروح القدس الذين عندهم الغنى السماوى حقا وشركة الروح فى داخل نفوسهم ، فإنهم حينما يكلمون أحدا بكلمة الحق أو حينما يتحدثون بالأحاديث الروحية ويريدون أن يعزوا النفوس فإنهم يتكلمون ويخرجون من غناهم ومن كنزهم الخاص الذين يمتلكونه فى داخل نفوسهم** ، ومن هذا الكنز يعزون ويفرحون نفوس الذين يسمعون أحاديثهم ، ولا يخافون أن ينضب معينهم ، لأنهم يملكون فى داخلهم كنز الصلاح السماوى الذى يأخذون منه ليعزوا ويفرحوا ضيوفهم الروحيين .

أما الفقير الذى لا يملك غنى المسيح وليس عنده الغنى الروحى فى داخل نفسه الذى هو ينبوع كل صلاح سواء فى الأقوال أو الأعمال أو الأفكار الإلهية والأسرار التى لا ينطق بها . فحتى إذا أراد هذا الفقير أن يتكلم بكلمة الحق ويعزى بعض سامعيه بدون أن ينال فى نفسه كلمة الله بالقوة والحق ، فإنه يكرر من الذاكرة ويقتبس فقط كلمات من أجزاء مختلفة من الكتاب المقدس أو مما سمعه من الرجال الروحيين فيخبر ويعلم بها الآخرين – وهكذا يظهر كأنه يعزى ويفرح الآخرين ، والآخرون يبتهجون بما يخبرهم ولكن بعد أن ينتهى من الكلام تعود كل كلمة إلى مصدرها الأصلى الذى أخذت منه ويبقى هذا الإنسان ويعود كما كان **عريانا وفقيرا لأن ليس له كنز الروح الخاص به ليأخذ منه ويعزى ويفرح الآخرين إذ أنه هو نفسه لم يتعز أولا ولا ابتهج بالروح .**

٦ ــ لهذا السبب ينبغى لنا أولا أن **نطلب من الله باجتهاد قلب وبإيمان ، حتى يهبنا أن نجد فى قلوبنا هذا الغنى ، أى كنز المسيح الحقيقى بقوة الروح القدس وفاعليته . ولهذا فعندما نجد الرب أولا فى نفوسنا لمنفعتنا أى للخلاص والحياة الأبدية ، فحينئذ يمكننا أن ننفع الآخرين أيضا إذ يصير هذا ممكنا** ، لأننا نأخذ من المسيح الذى هو الكنز الموجود فى داخلنا ونخرج منه كل الصلاح الذى للكلمات الروحية ونكشف أمامهم أسرار السماء . لأن هذه هى مسرة صلاح الآب أن يسكن فى كل من يؤمن به ويحبه " *من يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه وأظهر له ذاتى*" ويقول أيضا " *إليه نأتى ، أنا والآب ، ونصنع عنده منزلاً* " (يو ١٤: ٢١، ٢٣) .

هذا ما شاءه إحسان الآب غير المتناهى ، وهذا ما سرت به محبة المسيح الفائقة المعرفة ، وهذا ما وعد به صلاح الروح الذى لا ينطق به فالمجد للحنان غير المنطوق به الذى للثالوث الأقدس .

أنواع فاعلية النعمة فى القلب :

٧ ــ لأن أولئك الذين أعطى لهم أن يصيروا أبناء الله ، وأن يولدوا من فوق من الروح ، والذين لهم المسيح منيرا فى داخلهم ، ومنعشا لهم ، هؤلاء يقودهم الروح بطرق متنوعة كثيرة . وتعمل النعمة سرا فى قلوبهم وتعطيهم راحة روحية .

فلنستعمل صور التنعمات والمسرات الملموسة التى فى هذا العالم لنوضح بها ــ إلى حد ما ــ أعمال النعمة فى القلب . ففى بعض الأوقات **تعزيهم النعمة وتفرحهم** كما فى وليمة ملوكية فيفرحون بفرح وسرور لا ينطق به وفى وقت آخر يكونون مثل عروس تتنعم **بالشركة مع عريسها فى راحة إلهية . وفى وقت آخر يصيرون كملائكة بدون أجساد** ، لكثرة سموهم وخفتهم وعدم تثقلهم حتى بالجسد . وفى وقت آخر **يكونون كأنهم سكارى إذ يكونون منتعشين وثملين بالروح وبالأسرار الإلهية الروحانية .**

٨ ــ وفى وقت آخر يكونون كأنهم فى بكاء ونحيب لأجل جنس البشر وإذ يتوسلون لأجل ذرية آدم كلها فإنهم يولولون ويبكون ، إذ تشتعل فيهم محبة الروح نحو جنس البشر . **وفى وقت آخر يشعلهم الروح بفرح ومحبة كثيرة حتى أنه لو أمكنهم لأدخلوا كل إنسان إلى أحشائهم** ، بدون تفريق بين الردىء والجيد .

وأحيانا يصيرون **تحت كل الناس فى تواضع الروح** حتى أنهم يحسبون أنفسهم آخر الكل وأقل الكل .

وأحيانًا يجعلهم الروح **فى فرح لا يُنطق به . لدرجة أنهم يرهقون من الفرح** . وفى وقت آخر يكونون مثل **إنسان جبار** قد لبس الدرع الملكى الكامل ونزل إلى المعركة ضد أعدائه ، فيحاربهم بقوة ويهزمهم ، فإنه مثل هذا الجبار كذلك يأخذ الإنسان الروحانى أسلحة الروح السماوية وينزل لمقاتلة الأعداء فيحاربهم، ويدوسهم تحت قدميه .

٩ – وفى وقت آخر تستريح النفس فى **هدوء عظيم وسكون وسلام** ، دون أن تشعر بأى شيء آخر سوى اللذة الروحانية والراحة والسعادة التى لا توصف .

وفى وقت آخر ، تعلمها النعمة **بنوع لا ينطق به من الفهم والحكمة** ، ومعرفة الروح الذى يفوق الفحص وتعلمها أشياء لا يمكن النطق بها باللسان والكلام ، هكذا فإن معاملات النعمة متنوعة جدا فى النفوس ، وهى تقود النفس التى تنعشها وتحييها ، بطرق كثيرة بحسب إرادة الله وتدربها بطرائق مختلفة لكى تعيدها إلى الآب السماوى كاملة ونقية وبلا عيب .

١٠ ـــ ولكن أفعال الروح هذه التى تحدثت عنها تختص بالدرجات العظيمة القريبة من الكمال ، لأن تنعمات النعمة المختلفة هذه ، رغم أنه يُعبّر عنها بطرق مختلفة ولكنها تفعل بلا انقطاع فى أولئك الأشخاص ، فاعلية تليها فاعلية أخرى . لأنه حينما تصل النفس إلى كمال الروح ، وتتطهر بالتمام من الشهوة ، وتتحد مع الروح المعزى وتختلط به بشركة لا توصف ، **فإنها تحسب أهلا أن تصير هى نفسها روحًا ، فى اختلاطها مع الروح ، حينئذ تصير كلها نورًا ، وكلها عينًا ، وكلها روحًا ، وكلها فرحًا ، وكلها راحة ، وكلها بهجة ، وكلها محبة ، وكلها حنان ، وكلها صلاح ، وكلها رأفات محبة .**

وكما أن الحجر الذى فى قاع البحر تحيط به المياه من كل ناحية ، كذلك كل **هؤلاء** أيضا **إذ يكونون مغمورين بالروح من كل ناحية** فإنهم يصيرون مشابهين للمسيح ، **حاصلين فى أنفسهم** على فضائل قوة الروح بلا تغيير لكونهم بلا عيب وأنقياء وبلا لوم من الداخل والخارج .

١١ ــ وإذ قد ردهم الروح وأعادهم إلى الله هكذا فكيف يمكنهم أن يخرجوا ثمر الخطية ؟ بل فى كل الأوقات وفى كل الظروف تشع منهم ثمار الروح ظاهرة فيهم .

لنطلب نعمة الروح بالإيمان والمحبة والرجاء :

فلنتوسل إذًا إلى الله بإيمان وبالمحبة والرجاء الكثير ، لكى يمنحنا النعمة السماوية ، نعمة الروح ، لكى ما يحكمنا ويضبطنا ذلك الروح نفسه أيضا، ويقودنا إلى كل إرادة الله وينعشنا ويحيينا بكل أنواع إنعاشه وإحيائه لكى بواسطة هذا الحكم وفاعلية النعمة ، والنمو الروحانى **نتقدم ، لنحسب أهلا لإدراك كمال ملء المسيح كما يقول الرسول** " ***لتمتلئوا بكل ملء المسيح*** " (أف١٩:٣) وأيضا يقول " *إلى أن ننتهى جميعنا إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح* " (أف١٣:٤) .

ولقد وعد الرب كل الذين يؤمنون به ويسألونه بالحق أن يعطيهم أسرار شركة الروح الذى لا يُنطق به .

لذلك فلنكرس نفوسنا بكليتها للرب ونسرع للحصول على الخيرات التى تكلمنا عنها . وإذ نكرس نفوسنا وأجسادنا ونتسمر على صليب المسيح فلنكن لائقين ومستعدين للملكوت السماوى ، ممجدين الآب والابن والروح القدس إلى الأبد . آمين .

✣✣✣✣✣✣✣

العظة التاسعة عشر :

وصايا المسيح
والامتلاء من الروح القدس

" المسيحيون الذين يريدون التقدم والنمو ، ينبغى أن يغصبوا أنفسهم إلى كل ما هو صالح ليتحرروا من الخطية الساكنة فيهم وليمتلئوا من الروح القدس"..

الإيمان بثبات والمواظبة على الصلاة :

١ ـ إن أراد أحد أن يأتى إلى الرب، وأن يوجد أهلا للحياة الأبدية، **وأن يصير مسكنا للمسيح وأن يمتلئ بالروح القدس** لكيما يستطيع أن يثمر ثمار الروح ، ويتمم وصايا المسيح بنقاوة وبلا عيب، يجب عليه أن **يبتدئ أولا بالإيمان بالرب بثبات ، وأن يسلم نفسه كلية إلى كلمات وصاياه ،** ويتخلى عن العالم تخليا تاما ، لكى لا ينشغل عقله بالمرة بشيء عالمى .

ويجب عليه أيضا أن **يواظب دائما على الصلاة ، وينتظر دائمًا بإيمان وتوقعٍ افتقاد الرب وعونه** ، جاعلاً نظر عقله مثبت دائما نحوه . ثم ينبغى أن يغصب نفسه إلى كل عمل صالح وإلى وصايا الرب كلها ، وذلك بسبب الخطية الساكنة فيه . فمثلا ، ليغصب نفسه إلي تواضع القلب مع جميع الناس ، ويحسب نفسه أقل منهم وأردأ منهم ، فلا يطلب كرامة أو مدحًا أو مجدًا من أى واحد من الناس ، كما هو مكتوب فى الإنجيل (يو١٢:٤٤) ، بل يضع الرب ، ووصاياه ، أمام عينه كل حين ، **راغبًا فى أن يرضى الرب وحده بوداعة القلب** ، كما يقول الرب " *تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب ، فتجدوا راحة لنفوسكم*" (مت١١:٢٩) .

وصايا المسيح والصلاة بإيمان وثقة :

٢ ــ وبنفس الطريقة فليعود نفسه على أن يكون رحيمًا ، شفوقًا رقيق القلب ، صالحًا ، بأقصى طاقة عنده . كما يقول الرب " *فكونوا رحماء كما أن أباكم أيضًا رحيم* " (لو٦:٣٦) ، ويقول أيضا " *إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى* " (يو١٤:١٥) وأيضا " *ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه* " (مت١١:١٢) . وأيضا يقول " *اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق* " (لو١٣:٢٤) .

وفوق كل شيء فليحفظ في ذاكرته – بدون نسيان مطلقا – تواضع الرب يسوع وسلوكه ، ووداعته وسيرته ، كمثاله الدائم أمام عينيه . وليواظب على الصلاة بمثابرة متوسلا إلى الرب **بإيمان وثقة لكى يأتى ويسكن فيه ويصير كاملا** ،ويقويه فى حفظ جميع وصاياه ، **وليصير الرب ذاته هو موضع سكنى نفسه** وهكذا فإن الأشياء التى يفعلها الآن بالتغصب وبقلب معارض ، يأتى يوم حين يفعلها برضى وإرادة منه ، معودا نفسه دائما على ما هو صالح ، ومتفكرا دائما فى الرب ، **وينتظر الرب بمحبة كثيرة فى الروح القدس** .

ملء الروح وعمل الوصايا بدون صعوبة :

وحينما يرى الرب تشوقه ، واجتهاده الصالح ، وكيف أنه يغصب نفسه لتذكر الرب وكيف يلزم قلبه بما هو صالح حتى لو كان بخلاف رغبته ، ويلزمه بالتواضع والوداعة والمحبة بأقصى طاقة عنده ، **فإن الرب يتحنن عليه وينقذه من أعدائه ، ومن الخطية الساكنة فيه، ويملأه بالروح القدس** .

وهكذا فبعد ذلك يفعل كل وصايا الرب بالحق بدون تغصب أو صعوبة أو تعب، أو بالحرى فإن الرب نفسه هو الذى يفعل وصاياه فيه ، وحينئذ يخرج ثمار الروح بنقاوة .

يغصب نفسه إلى ما هو صالح (وصايا المسيح) :

٣ ــ فالذى يأتى إلى الرب يلزمه أولاً أن **يغصب نفسه إلى ما هو صالح حتى لو كان ضد ميل قلبه**، منتظرًا دائمًا رحمة الرب بإيمان لا يتزعزع.

ويغصب نفسه إلى المحبة حينما تنقصه المحبة، ويغصب نفسه إلى الوداعة حينما لا تكون عنده وداعة ، ويغصب نفسه إلى الشفقة إلى أن يكون له قلب حنون ــ وأن يغصب نفسه على تحمل الازدراء وأن يحتمله بصبر، وحينما يُحتقر أو يُعير ، فلا يغضب، كما هو مكتوب " *ولا تنتقموا لأنفسكم ايها الأحباء* " (رو١٢: ١٩) ــ وليغصب نفسه إلى الصلاة حينما لا تكون له الصلاة الروحانية ، وهكذا إذ يراه الله مجاهدًا وغاصبًا بالرغم من معارضة قلبه، **فإنه يهب له صلاة الروح الحقيقية وينعم عليه بالمحبة الحقيقية، والوداعة وأحشاء الرأفات والشفقة الحقيقية، وباختصار فإنه يملأه بثمار الروح.**

٤ ــ ولكن إن كان إنسان يغصب نفسه إلى الصلاة فقط لكى ما يحصل على نعمة الصلاة ، ولكنه لا يغصب نفسه إلى الوداعة والتواضع والمحبة وبقية وصايا الرب ولا يهتم أو يتعب ويجتهد لكى يتمم هذه الوصايا – **بقدر ما هو مستطاع لحرية الإرادة وعزم القلب** – فقد تعطى له أحيانا نعمة الصلاة جزئيًا ، مع تعزية وفرح من الروح بحسب ما سأل وطلب ولكنه يظل كما هو فى صفاته وسلوكه . فيكون بلا وداعة ، لأنه لم يطلبها

باهتمام ، ولم يعد نفسه ليقبلها فيصير وديعًا ويكون بلا تواضع لأنه لم يطلب التواضع ، ولم يغصب نفسه إليه . ويكون بلا محبة من نحو الناس لأنه لم يهتم ويجتهد لكى يحصل عليها بالتوسل والصلاة وليس له إيمان وثقة فى الله فى تكميل ما عليه من الأعمال ، لأنه لم يعرف نفسه ، ولم يكتشف أن هذا هو ما يعوزه ، ولم يبذل أى اهتمام أو جهد ليحصل على احتياجه ، طالبا من الرب أن يحصل على إيمان ثابت وثقة حقيقية فيه .

٥ ــ فإنه كما أن كل واحد يلزم ويغصب نفسه إلى الصلاة بالرغم من نفور القلب ، هكذا ينبغى لمن يغصب نفسه أيضًا إلى الثقة بالله ، وإلى التواضع ، وإلى المحبة ، وإلى الوداعة ، وإلى الإخلاص والبساطة ، وإلى "كل صبر وطول أناة بفرح" (كو١:١١) ، وأن يعتبر نفسه كلا شيء ويحسب نفسه أقل وآخر الكل ، وهكذا يتجنب الدخول فى المحادثات التى لا تنفع ، **بل يتأمل دائما فى أمور الله ويتكلم بها ، بفمه وقلبه** ،وأيضا لا يكون غضوبا أو ذا صخب وصراخ كما هو مكتوب "*ليرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث* " (أف٤:٣١) ، ويسير فى طرق الرب كلها ، فى عمل الفضيلة وفى حياة صالحة نبيلة ، فى كل سيرة الصلاح وكل تواضع الوداعة ، فلا يتشامخ ولا يتكبر ولا يتكلم فى حق أى إنسان .

٦ ــ فينبغى أن يغصب الإنسان نفسه إلى كل الأشياء إن كان يريد أن يرضى المسيح ويسر قلبه ، حتى أن الرب عندما يرى غيرته وعزم قلبه فى غصب نفسه هكذا إلى كل الصلاح والبساطة والرحمة والتواضع والمحبة والصلاة وكيف أنه يسوق نفسه إليها جميعا بالقوة ، **فإن الرب يعطيه نفسه – أى أن الرب نفسه بالحق يعمل فيه كل هذه الأشياء بنقاوة**

وبدون تعب أو تغصب ، هذه الأشياء التى لم يكن يستطيع قبلا أن يعملها حتى بالتغصب وذلك بسبب الخطية التى كانت ساكنة فيه ، وتصير كل أعمال الفضيلة هذه طبيعة فيه . **لأن الرب حينما يأتى ويسكن فيه وهو يسكن فى الرب. فإن الرب نفسه يتمم فيه وصاياه بدون تعب مالئًا إياه بثمار الروح .**

وأما أن غصب إنسان إلي الصلاة فقط لكى ينال موهبتها من الله ولكنه لا يغصب نفسه بنفس الطريقة ويلزم ويعود نفسه على كل هذه الأمور الأخرى ، فإنه لا يستطيع أن يتمم هذه الأشياء بالحق ، وبنقاوة وبلا عيب. فينبغى أن يعد نفسه بهذه الطريقة إلى ما هو صالح بأقصى طاقته ، فإن النعمة الإلهية تأتيه أحيانا وقت السؤال والصلاة والتضرعات . لأن الله صالح ورحيم والذين يسألون يعطيهم ما يسألون ، وأما من كان خاليا من الأشياء التى قد تكلمنا عنها ولم يعود أو يكيف نفسه عليها مقدما ، فإنه حتى إذا نال النعمة ، فسيفقدها ويسقط بالكبرياء أو على الأقل فهو لا يتقدم وينمو ويزداد فى النعمة التى وهبت له ، لأنه لم يسلم نفسه إلى وصايا الرب بإرادته . **لأن مكان سكنى الروح القدس وراحته هو التواضع والمحبة والوداعة وكل وصايا الرب الأخرى .**

طاعة الوصية والمداومة على الصلاة :

٧ ــ لذلك فكل من يريد أن يرضى الله بالحق وأن **ينال منه نعمة الروح القدس السماوية ، وأن ينمو ويكمل فى الروح القدس ينبغى له أن يغصب نفسه إلى كل وصايا الله ويخضع لها قلبه مهما كان رافضا** ، كما هو مكتوب " *لأجل هذا بازاء كل وصاياك تقومت وكل طريق شر أبغضت*" (مز ١١٩:١٢٨)، فكما يغصب الإنسان نفسه ويلزمها بالمثابرة فى

الصلاة إلى أن ينجح فى ذلك هكذا بنفس الطريقة ، إن أراد فقط ، فإنه يستطيع أن يغصب ويلزم نفسه بكل ممارسات الفضيلة ويعود نفسه عادة حسنة، **وهكذا إذ يداوم على الصلاة والسؤال من الرب وبحصوله على ما يطلب ونواله مذاقة الله وإذ يصير شريكا فى الروح القدس فإنه يجعل الموهبة التى منحت له تنمو وتزدهر، إذ يستريح مستقرًا فى تواضعه، وفى المحبة والوداعة.**

٨ — والروح نفسه يمنحه هذه الأشياء، **ويعلمه الصلاة الحقيقية، والمحبة الحقيقية، والوداعة الحقيقية**، التى كان قبلا يغصب نفسه إليها، وكان يطلبها ويهتم بها ويتأمل فيها، والآن أعطيت له، ولأنه نما هكذا وتكمل فى الله، فإنه يحسب أهلاً أن يصير وارثًا للملكوت. فالمتواضع لا يسقط أبدًا. وإلى أين يسقط إذا كان هو تحت الكل ؟ أما القلب المتشامخ فهو انحطاط عظيم ، والقلب المتواضع هو ارتفاع عظيم وكرامة ومجد .

طلب الروح والصلاة بالروح وثمار الروح :

لذلك فلنغصب نفوسنا ونلزمها بالتواضع حتى ولو كان قلبنا غير راغب فى ذلك ، ونغصبها إلى الوداعة ، وإلى المحبة ، **مصلين ومتوسلين إلى الله بالإيمان ، والرجاء ، والمحبة ، وبلا انقطاع ، وبانتظار وثبات ، أن يرسل روحه إلى قلوبنا ، حتى نصلى "*ونسجد لله بالروح والحق*" (يو ٤ : ٢٤) .**

٩ — ولكيما يصلى الروح نفسه فينا ، لكيما يعلمنا الروح بنفسه تلك الصلاة الحقيقية — التى لم نحصل عليها حتى الآن رغم أننا **نغصب أنفسنا إليها، ويعلمنا التواضع الحقيقى** الذى لا نستطيع الآن أن نصل إليه ، حتى بالتغصب ، **ولكن يعلمنا أن نثمر بالحق أحشاء رأفات (كو٣: ١٢) ، وشفقة،**

وكل وصايا الرب بدون تعب أو تغصب ، كما يعرف الروح نفسه كيفية ذلك حين يملأنا بثماره .

وهكذا إذ نتمم وصايا الرب بواسطة روحه ، الذى هو وحده يعرف مشيئة الرب ، وإذ يكملنا الروح فى نفسه وهو نفسه يكمل فينا حينما نتطهر من كل دنس وعيب الخطية ، فإنه يحضر نفوسنا طاهرة وبلا عيب ، كعرائس جميلات إلى المسيح ، ونستريح فى الله فى ملكوته ، ويستريح الله فينا إلى دهر الدهور .

فالمجد لتعطفاته ، ورحمته ومحبته أنه أعطى لجنس البشر مثل هذه الكرامة والمجد ، وأنعم عليهم أن يصيروا أبناء للآب السماوى ودعاهم أخوة له خاصة . له المجد إلى الأبد آمين .

✢✢✢✢✢✢✢

العظة العشرون:

لباس الروح

"المسيح ، الطبيب الحقيقى للإنسان الداخلى ، وهو يستطيع وحده أن يخلص النفس ، ويزينها بثوب النعمة "..

١ ـــ إن كان أحد عرياناً لقلة الملابس الإلهية السماوية التى هى قوة الروح القدس كقول الرسول " *إن كان أحد ليس له روح المسيح فهو ليس من خاصته*" (رو٨:٩). فليبك ويتوسل إلى الرب حتى ينال الثوب الروحانى الذى من السماء ويأخذ غطاء لنفسه العارية من القوة الإلهية لأن الإنسان الغير مكسو بكساء الروح فهو مكسو بالعيب العظيم: عيب الأهواء الدنيئة .

لأنه كما فى الأشياء المنظورة إن كان أحد عريانا يحل به خزى وفضيحة عظيمة بل الأصدقاء ينصرفون عن أصدقائهم العرايا والأقارب عن أهاليهم. بل أن من البنين من رأوا أباهم عرياناً وصرفوا عنه وجوههم لكيلا يعاينوا جسد أبيهم العريان ، وإنما رجعوا على أعقابهم وستروه . ولذلك ارتفعت عنه عيونهم . كذلك ينصرف الله عن النفوس غير المكسوة بلباس الروح **فى ملء ثقة الإيمان لكونها لم تلبس الرب يسوع** (رو ١٣:١٤) . **بالقوة والحق .**

خطورة العرى الروحى :

٢ ـــ ثم أن الإنسان الأول لما رأى نفسه عريانا خجل . فما أعظم فضيحة العرى . فإذا كان من جهة الجسد يعتبر العرى فضيحة كبرى ، فكم بالحرى النفس العارية من القوة الإلهية **التى لا تكتسى ولا تلبس اللباس**

الأبدى الروحانى غير الموصوف **وهو الرب يسوع نفسه بالحق** ــ وهى مغطاة بالخجل والأهواء الرديئة ، وكذلك كل من كان غير مكتسى **بذلك المجد الإلهى يجب عليه** أن يستحى ويقر بفضيحته كما استحى آدم من عرى جسده ومع أنه ستر نفسه بورق التين فلم يزل خجله مصاحبًا له لعلمه بفقره وعريه جدًا . **فعلى هذه النفس أن تطلب من المسيح الذى يعطى المجد لكى يكسوها بالمجد فى النور الذى لا يوصف** ، بدون أن تعمل لنفسها غطاء من الأفكار الباطلة أو **تنخدع بزعمها أنها بارة من نفسها** وأنها تملك لباس الخلاص .

المسيح هو بر الله لنا :

٣ ــ فإنه أن استند أحد على بره ولم يتطلع إلى بر الله ، هذا البر الذى هو الرب يسوع " *الذى صار لنا برًا وفداءً* " (اكو١:٣٠). كما يقول الرسول، فإن تعبه يصبح باطلا لا ثمرة له ، لأن كل زعمه ببره يظهر فى اليوم الأخير كلا شيء بل يكون مثل خرقة نجسة كما قال أشعياء النبى "*كخرقة الحائض كل برنا*" (أش٦٤:٦) .

فلنطلب إذن من الله ونتوسل إليه أن يلبسنا لباس الخلاص وهو الرب يسوع المسيح، النور الفائق الوصف الذى إذا لبسته النفوس لا تخلعه قط، بل تتمجد أجسادهم أيضا فى القيامة بمجد ذلك النور الذى تلبسه النفوس الأمينة الفاضلة منذ الآن حسب قول الرسول "*إن ذلك الذى أقام المسيح من بين الأموات سيحيى أجسادهم المائتة أيضا بروحه الساكن فيكم* " (رو ٨:١١). فالمجد لمراحمه المتعطفة ولرأفته التى تفوق كل وصف وكل تعبير .

٤ ــ وأيضا كما أن المرأة التى كانت معتلة بنزف الدم لما صارت مؤمنة بالحق ، ولمست طرف ثوب ربنا شفيت حالا وانقطع نزيف دمها النجس ، كذلك كل نفس فيها جرح الخطية الذى لا شفاء له ، وينبوع الأفكار الخبيثة النجسة ، **إن هى أتت فقط إلى المسيح وصلت إليه بإيمان صحيح فإنها تعود إلى الصحة وتخلص من ينبوع الأهواء الفاسدة الذى لم يكن له علاج** . وذلك الينبوع الذى يخرج أفكارًا نجسة لا ينقطع ويجف إلا بقوة المسيح فقط ، وليس لأحد غيره قدرة على شفاء هذا الجرح . لأن العدو كان محتالا للغاية فى معصية آدم حتى أنه جرح الإنسان الباطن وأظلمه أى العقل المرشد الذى ينظر الله . فمالت عيناه بعد ذلك إلى الخطية والأهواء وكانت مغلقة عن رؤية خيرات السماء .

المسيح وحده هو الذى يخلص ويشفى النفس مجانا :

٥ ــ فهذه كانت شدة جرحه حتى أنه لم يستطع أن يشفه منه غير الرب وحده . فهذا مستطاع عنده وحده . ولهذا فقد جاء "*ورفع خطية العالم*" (يو ١:٢٩) ، أى جفف الينبوع النجس . ينبوع أفكار النفس . لأنه كما أن تلك المرأة التى كانت مريضة بنزف الدم كانت قد صرفت كل ما كان لديها على الذين وعدوها بالشفاء ولم يشفها أحد ، إلى أن أتت إلى الرب بإيمان صادق ولمست طرف ثوبه فشعرت حينئذ بالشفاء فى الحال ، ووقف نزف الدم. كذلك هو حال النفس التى جرحت منذ البدء بجرح أهواء الخطية الذى لا شفاء له ، فلم يقدر أن يعالجه أحد من الأبرار . كلا ولا الآباء ولا البطاركة.

٦ ــ ولقد أتى موسى ولكنه لم يقدر أن يعطى شفاءً كاملاً . والكهنة والعطايا والعشور والسبوت والأهلة والغسلات والذبائح والمحرقات وسائر

متفرعات البر كانت تحفظ جميعها بالدقة تحت الناموس . ومع ذلك لم يمكن بها شفاء النفس وتطهيرها من الينبوع النجس أى ينبوع أفكار الخطية. وكل بر النفس لم ينفع لشفاء الإنسان **إلى أن أتى المخلص نفسه الطبيب الحقيقى الذى يشفى مجانا فبذل نفسه فداء لجنس البشر . فهو وحده صنع فداء النفس العظيم وخلاصها وشفاءها** ، وهو ذاته الذى حررها من العبودية وأخرجها من الظلمة ممجدا إياها بنوره الخاص . فهو حقا جفف ينبوع الأفكار النجسة الذى كان فيها لأن الكتاب المقدس يقول " *هو ذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم* " (يو ١:٢٩) .

الدواء الوحيد :

٧ ــ لأن أدويتها التى كانت من الأرض يعنى أفعالها البارة لم تقدر أن تعالجها وتشفيها من هذه الضربة العظيمة غير المنظورة **بل يتم الشفاء بالطبيعة السماوية الإلهية التى لموهبة الروح القدس . فإنه بواسطة هذا الدواء فقط يمكن للإنسان أن يجد الشفاء ويحصل على الحياة إذ يتطهر فى قلبه بالروح القدس** . ولكن كما أن تلك المرأة ، ولو أنها لم تكن قد شفيت وكان فيها مرضها لكنها جاءت بقدميها إلى الرب ، وعند مجيئها نالت الشفاء – وكما أن الأعمى أيضا الذى لم يقدر أن يمشى ليأتى إلى الرب ، بسبب عماه، صرخ إليه صرخة شديدة وصل بها إلى الرب لأنه قال " *ارحمنى يا ابن داود*" (مز ١٠:٤٧) وبإيمانه نال الشفاء إذ أن الرب أتاه بنفسه وجعله يبصر بوضوح– كذلك النفس ولو أنها جرحت بجروح الأهواء الفاسدة وعميت بظلمة الخطية **فمع ذلك لا تزال فيها الإرادة أن تصرخ إلى يسوع وتناديه ليأتى ويصنع لها فداءً أبديًا** .

ضرورة المجيء إلى المسيح بثقة الإيمان :

٨ ــ لأنه كما أن الأعمى لو لم يصرخ إلى الرب ، والمرأة التى كان بها النزف الدموى لو لم تأت إليه لما وجدا الشفاء ، **كذلك الآن إن لم يأت الإنسان إلى الرب بإرادته وبكل نية قلبه ويطلب منه بثقة الإيمان التامة فلا يشفى أبدًا . فلماذا شفى هذان الاثنان للوقت بإيمانهما ، ونحن لم يعد إلينا بصرنا بالحقيقة ولم نشف من أمراضنا الخفية ؟** . مع أن الرب يهتم ويعتنى بالنفس غير المائتة أكثر من الجسد ، لأنها إن انفتحت عينيها ، كما يقول " *افتح عينى* " (مز ١١٩ :١٨) فلا تعمى أبدًا فيما بعد . وإن شفيت فلا تعود تتجرح أبدا . فإنه إن كان الرب عند مجيئه على الأرض اعتنى بالأجساد الفاسدة ، **فكم بالحرى يعتنى بالنفس غير المائتة المصنوعة على شبهه ؟ ولكن بسبب قلة إيماننا وانقسام قلوبنا وعدم محبتنا له من كل القلب ، وعدم إيماننا به حقيقة ، لذلك لم نجد بعد الشفاء الروحى والخلاص .**

فلنؤمن به إذن ولنأت إليه بالحقيقة لكى يتم فينا حالاً عمل الشفاء الحقيقى لأنه وعد بأنه يعطى للذين يسألونه روحه القدوس ويفتح للذين يقرعون وبأن الذين يطلبونه يجدونه . **فالذى وعد لا يمكن أن يكذب له المجد والقدرة إلى الأبد آمين .**

✢✢✢✢✢✢✢

العظة الحادية والعشرين:

الحرب الروحية

"الإنسان المسيحى يخوض معركتين ، معركة داخلية وأخرى خارجية . المعركة الخارجية هى فى ابتعاده عن الارتباكات العالمية وأما المعركة الداخلية فتحدث فى القلب ضد إيحاءات أرواح الشر" .

الحرب الخارجية والحرب الداخلية :

١ ـ الإنسان الذى يريد حقيقة أن يرضى الله ويكون معاديًا حقًا للعدو الشرير ، ينبغى أن يقاتل فى معركتين . معركة منهما تكون فى الأمور المنظورة لهذه الحياة ، وذلك بأن يتحول تماما ويبتعد من الارتباكات الأرضية ومحبة الارتباطات العالمية ومن الشهوات الخاطئة .

والمعركة الأخرى تحدث فى الداخل – فى الخفاء ضد أرواح الشر نفسها ، كما يقول الرسول " *فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء ، مع أجناد الشر الروحية فى السماويات*" (أف٦:١٢) .

نوعان من القيود :

٢ ـ فالإنسان حينما تعدى الوصية وطرد من الفردوس، صار مقيدًا من ناحيتين، وبقيدين مختلفين. أحد هذين القيدين كان عن طريق هذه الحياة، أى فى اهتمامات المعيشة ومحبة العالم، أعنى محبة اللذات الجسدية والشهوات، ومحبة الغنى والعظمة والمقتنيات والزوجة والأولاد، والأقرباء والأهل والبلد، والأمكنة الخاصة، والملابس وكل الأشياء الأخرى المتصلة بالحواس، والتى تحثه كلمة الله على أن ينفك منها باختياره، (حيث أن ما

يربط أى إنسان بكل أمور الحواس إنما يكون باختياره ورضاه)، حتى إذا تحرر من كل هذه الاهتمامات يستطيع أن يحفظ الوصية حفظا كاملا .

وإلى جانب هذا الرباط – ففى كيان الإنسان الداخلى ، تكون النفس محاصرة بسياج ومربوطة بقيود الظلمة من أرواح الشر ، فيكون الإنسان غير قادر أن يحب الرب كما يريد ، أو أن يؤمن كما ينبغى ، أو أن يصلى كما يرغب . فمن كل ناحية توجد مقاومة سواء فى الأمور المنظورة والظاهرة أو فى الأمور الخفية غير المنظورة ، وهذه المقاومة قد نتجت وصارت فينا من سقوط الإنسان الأول .

قبول الكلمة واكتشاف الحرب الداخلية :

٣ ـ لذلك فحينما ينصت أى إنسان لكلمة الله ويقبلها ، ويدخل فى المعركة ويلقى عنه اهتمامات هذه الحياة ورباطات العالم وينكر كل اللذات الجسدية ويتحرر منها ، فبعد ذلك إذ يلازم الرب وينتظره فى الصلاة وبمداومة، فإنه يصير فى وضع يمكنه من أن يكتشف وجود حرب أخرى فى داخل قلبه ، إنه يكتشف مقاومة خفية وحرب أخرى مع إيحاءات أرواح الشر وتنفتح أمامه معركة أخرى .

وهكذا بوقوفه ثابتا صارخاً إلى الرب بإيمان لا يتزعزع وصبر كثير ، منتظرًا الحماية والمعونة التى تأتى منه ، فإنه يستطيع أن يحصل من الرب على حرية داخلية من القيود والسياجات والهجمات وظلام أرواح الشر التى تعمل فى مجال الشهوات والأهواء الخفية .

نعمة الله تبطل الحرب تمامًا :

٤ ــ ولكن هذه الحرب تبطل وتنتهى تمامًا بنعمة الله وقوته . فلا يستطيع إنسان بنفسه، أن ينقذ نفسه بقوته الخاصة من مقاومة وغوايات الأفكار والشهوات الداخلية وحيل الشر .

أما إذا كان الإنسان مربوطا بالأمور المادية الحسية التى لهذا العالم ، وواقعا فى شرك الرباطات الأرضية المتنوعة ومنساقا بشهوات الشر ، فإنه لا يستطيع حتى أن يكتشف وجود معركة أخرى ، وأن هناك حرب تدور فى داخل نفسه .

فالإنسان حينما يدخل المعركة ويتحرر من الرباطات العالمية الخارجية ويحل نفسه من الأمور المادية ولذات الجسد ويبتدئ أن يتعلق بالرب ويلتصق به مفرغا نفسه من هذا العالم فإنه حينئذ يستطيع أن يرى ويكتشف حرب الشهوات والأهواء الداخلية التى تحدث فى باطنه . ويصير واعيًا وعارفًا بهذه الحرب الداخلية ، حرب الإيحاءات الشريرة .

وكما قلت سابقًا ، فإنه إذا لم يناضل وينكر العالم ويتحرر من الشهوات الأرضية بكل قلبه ويشتهى ويصمم بكل نفسه أن يصير ملتصقا كلية بالرب، فإنه لا يكتشف ويعرف خداع أرواح الشر الخفى وشهوات الشر الخفية . ويظل غريبا عن نفسه ولا يعرف أنه مجروح من الداخل وأن فيه شهوات خفية وهو لا يدرى بها . لأنه لا يزال مربوطًا بالأشياء الخارجية ومتعلقًا بأمور هذا العالم وارتباكاته برضاه وموافقته .

نوال السلاح السماوى والانتصار :

٥ ــ ولكن الإنسان الذى رفض العالم حقا وطرح عنه ثقل هذه الأرض وألقى عنه الشهوات الباطلة الجسدية، وشهوات المجد والسلطان والكرامات

البشرية وابتعد عنها جميعا بكل قلبه ــ (حيث إن الرب يعطيه النعمة والمعونة سرًا فى هذا الصراع المستمر ، حتى أنه يتنكر للعالم تمامًا) ــ ووضع فى قلبه بثبات أن يخدم الرب ويعبده ويلتصق به بكل كيانه، جسدًا ونفسًا ، مثل هذا الإنسان، أقول، إنه يكتشف وجود المقاومة، أى الأهواء الخفية والقيود غير المنظورة والحرب الخفية ــ أى المعركة والصراع الداخلى، وهكذا إذ هو يتوسل إلى الرب ، فإنه ينال السلاح السماوى : سلاح الروح القدس، الذى وصفه الرسول المبارك بقوله " *درع البر، وخوذة الخلاص، وترس الإيمان، وسيف الروح*" (أف٦:٤). وإذ يتسلح بهذه الأسلحة فإنه يستطيع أن يقف ضد خداعات إبليس ، حتى رغم كونه محاطًا بالشرور .

وإذ قد سلح نفسه بهذا السلاح بكل صلاة ومواظبة وطلبة وصوم مع إيمان، فإنه يصير قادرا أن يحارب ضد الرئاسات والسلاطين وولاة ظلمة هذا العالم، وهكذا بانتصاره على القوات المعادية بمساعدة الروح القدس مع سعيه وغيرته فى كل فضيلة فإنه يكون معدا للحياة الأبدية ، ممجدًا للآب والابن والروح القدس الذى له المجد والقدرة إلى الأبد آمين .

✣✣✣✣✣✣✣

العظة الثانية والعشرون :

حالة النفس بعد الموت

"الحالتان اللتان تكون عليهما النفوس التي تنتقل من هذه الحياة "

١ ــ حينما تخرج نفس الإنسان من الجسد فإن هناك سر عظيم يتحقق. فإن كان الشخص المنتقل تحت ذنب الخطية فإن جماعات من الشياطين والملائكة الساقطين وقوات الظلمة يأتون ويأسرونه ويأخذون تلك النفس إلى مكانهم . ولا ينبغي أن يتعجب أحد من هذه الحقيقة . لأنه إذا كان هذا الإنسان أثناء حياته فى هذا العالم خاضعًا لهم وعبدًا مطيعًا لهم ، فكم بالحرى عندما يترك هذا العالم ، فإنه يصير أسيرًا لهم فى مملكتهم .

٢ ــ ويمكنك أن تفهم هذا الأمر ، مما يحدث لأولئك الذين فى الجانب الآخر ــ جانب الصلاح والغبطة .

فإن عبيد الله القديسين تحرسهم الملائكة باستمرار وتحيط بهم الأرواح المقدسة وتحميهم ، وحينما يخرجون من الجسد ، فإن جماعات الملائكة تستلم نفوسهم وتحملها معهم إلى مساكنهم فى عالم الأبدية النقى ، وهكذا يحضرونهم إلى الرب ، الذى يليق به المجد والقدرة إلى الأبد آمين .

✣✣✣✣✣✣✣

العظة الثالثة والعشرون :

العائلة السماوية وسلاح الروح

" كما أن الجوهرة الملوكية الثمينة لا يستطيع أحد أن يلبسها إلا المولودين من نسل الملوك ، هكذا فإن أولاد الله فقط هم الذين يسمح لهم أن يلبسوا الجوهرة السماوية " .

المولودون من الروح :

١ ــ إن الجوهرة العظيمة الثمينة الملوكية ، والتى تختص بالتاج الملوكى ، إنما تليق بالملك وحده . والملك فقط هو الذى يستطيع أن يلبس هذه الجوهرة ولا يسمح لإنسان آخر أن يلبس مثل هذه الجوهرة . هكذا أيضا ، إذا لم يولد لإنسان من روح الله الملوكى ، ويصير من أعضاء العائلة السماوية الملوكية وابنا لله بحسب المكتوب : " *وكل الذين قبلوه أعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله* " (يو ١:١٢) ، فلا يستطيع أن يلبس الجوهرة السماوية الثمينة جدا ، أى صورة النور الذى لا يعبر عنه – الذى هو الرب نفسه ، وذلك لأنه ليس ابنًا للملك . لأن أولئك الذين يمتلكون الجوهرة ويلبسونها ، إنما يحيون مع المسيح ويملكون معه إلى الأبد . لهذا يقول الرسول " *كما لبسنا صورة الترابى سنلبس أيضًا صورة السماوى* " (١كو١٥:٤١) .

٢ ــ وكما أن الحصان طالما هو يرعى مع الحيوانات الوحشية فى البرية ، فإنه لا ينقاد للناس ولا يطيعهم .ولكن بعد أن يمسك لكى يروض ، فإنهم يضعون عليه لجاما ثقيلا إلى أن يتعلم أن يسير بنظام وانضباط . بعد ذلك يمكن أن يركبه راكب ماهر ليدربه لكى يصير نافعًا فى الحروب .

وبعد ذلك يضعون عليه السلاح : الدرع الزرد[1] ولكنهم يرفعون اللجام أولا ويهزونه أمام عينيه لكى يتعود عليه ولا يخاف منه . وهكذا إذ يعلمه الراكب ، فإنه يستطيع أن يشترك فى الحرب . لأنه بدون درع فإن الحصان لا يكون ذو نفع فى الحرب. ولكن بعد أن يتدرب ويتعود الحرب، فإنه بمجرد أن يشم رائحة المعركة ويسمع صوت الحرب فإنه فى الحال يهجم على العدو من نفسه حتى أن الصوت الذى يصنعه الحصان يكون كافيا لإلقاء الرعب فى قلب العدو .

روح المسيح يغير الإنسان :

وبنفس الطريقة فإن الإنسان منذ السقوط صار متوحشا وغير مطيع وهو يتجول فى برية العالم مع الوحوش ، التى هى أرواح الشر . وهو تحت الخطية ويرفض أن يخدم ويطيع . **ولكن حينما يسمع كلمة الله ، ويؤمن فإن الروح يلجمه ويجعله يخلع عنه عاداته الوحشية وأفكاره الجسدية إذ يصير الآن تحت قيادة المسيح الذى يركب عليه ويقوده .**

وبعد ذلك يتعرض الإنسان لشدائد ويختبر ضيقات فى ترويضه للخضوع لنير المسيح . وهذا يكون كامتحان للنفس حتى تصبح بالتدريج مطيعة رقيقة سهلة الانقياد بواسطة الروح . والخطية التى فيها تتناقص بالتدريج إلى أن تتلاشى كلية . وهكذا إذ يلبس الإنسان "درع البر" و"خوذة الخلاص" و"ترس الإيمان " و" سيف الروح " (أف٦: ٤) ، فإنه يتعلم أن يحارب ضد أعدائه .

[1] الزرد هى قطعة من السلاح مصنوعة من حلقات حديدية على شكل ضفيرة تغطى الصدر تماما .

وهكذا إذ يتسلح بروح الرب فإنه يقاتل أرواح الشر ، ويطفئ سهام الشرير الملتهبة . ولكن بدون سلاح الروح لا يتقدم إلى خط القتال ،ولكن ، حينما يحصل على سلاح الرب فإنه بمجرد أن يسمع ويحس بوجود الحروب فإنه يتقدم ، " بصياح وهتاف " كما يقول فى أيوب (أى٣٩:٢٥) ، **لأن نفس صوت صلاته يوقع الأعداء ساقطين على الأرض . وهكذا إذ يقاتل وينتصر فى الحرب بقوة الروح ، فإنه ينال أكاليل الغلبة بثقة عظيمة وهكذا يجد راحة ويستريح مع الملك السماوى ، الذى يليق به المجد والقدرة إلى الأبد آمين .**

✣✣✣✣✣✣✣

العظة الرابعة والعشرون :

الربح العظيم والخميرة السماوية

(حالة المسيحيين تشبه التجارة وتشبه الخميرة . وكما أن التجار يجمعون الأرباح الأرضية ، هكذا فإن المسيحيين يجمعون أفكارهم المشتتة فى العالم . وكما أن الخميرة تخمر العجين كله، هكذا فإن خمير الخطية يتغلغل فى كل نسل آدم ، ولكن المسيح يسكب فى النفوس المؤمنة خميرة الصلاح السماوية).

التجارة العظيمة :

١ ــ إن المسيحيين يشبهون التجار الذين يتاجرون للمكاسب العظيمة وكما أن التجار يجمعون مكاسب أرضية من الأرض . هكذا المسيحيون أيضا يجمعون أيضا أفكار قلوبهم من الأرض كلها ، التى تكون قد تشتتت فى هذا العالم الحاضر وهم **يفعلون هذا بواسطة كل الفضائل وبمعونة قوة الروح القدس . وهذه هى التجارة العظمى والحقيقية .**

لأن هذا العالم يتعارض مع العالم السماوى ، وهذا الدهر هو مخالف للدهر الأبدى لذلك فينبغى على المسيحى ، حسب تعليم الكتاب المقدس ، أن يجحد العالم وينتقل ويرتفع بفكره عن هذا العالم الحاضر ، (الذى يوجد فيه العقل الآن وهو يتعرض للإغراءات وذلك منذ سقوط آدم) إلى عالم آخر ، العالم السماوى . وينبغى أن يحيا بفكره فى العالم الإلهى فى الأعالى كما هو مكتوب " *أن سيرتنا هى فى السموات* " (فى٣: ٢٠) .

٢ ــ ولكن هذا لا يمكن أن يتحقق إذا لم يجحد المسيحى هذا العالم ويؤمن بالرب من كل قلبه . وفى هذه الحالة فإن قوة الروح الإلهى تستطيع

أن تجمع القلب المشتت فى الأرض كلها وتأتى به إلى محبة الرب وتنقل الذهن إلى العالم الأبدى .

خميرة الشر :

لأنه منذ سقوط آدم ، قد تشتتت أفكار النفس بعيدا عن محبة الله متجهة إلى هذا العالم ، واختلطت بالأفكار المادية الأرضية . وكما أن آدم حينما تعدى قبل فى ذاته خميرة الأهواء الشريرة وهكذا اشترك فى هذه الخميرة كل الذين ولدوا منه أى كل جنس البشر ــ وقد نمت وتكاثرت خميرة الشر فى الناس حتى وصلوا إلى الفسق والنجاسة والدعارة وعبادة الأصنام والقتل وغيرها من الأعمال الشنيعة حتى تشبع الجنس البشرى بخميرة الخطية . وتزايد الشر بين الناس للدرجة التى فيها ظنوا أنه لا يوجد إله وصاروا يعبدون الأحجار العديمة الحس ولم يستطيعوا حتى أن يتصوروا بفكرهم وجود الله . إلى هذه الدرجة قد تخمر نسل آدم القديم كله بخميرة الأهواء الشريرة .

المسيح الفادى والخميرة السماوية :

٣ ــ وبنفس الطريقة فإن الرب ، حينما أتى على الأرض ، سُرّ أن **يتألم عن الجميع لكى يشتريهم ويستردهم بدمه ، ولكى يضع خميرة الصلاح السماوية فى النفوس المؤمنة ، التى كانت مسحوقة ومذلولة تحت الخطية ــ ثم سر أيضا أن يحقق ويكمل فيهم كل بر أوصاهم به وكل فضيلة وذلك بواسطة عملية النمو والتقدم إلى أن يتخمروا إلى واحد فى الصلاح ، ويصيروا مع الرب "روحًا واحدًا" . كما يقول القديس بولس (١كو٦:١٧) ،** وحتى أن الخطية والشر لا تستطيع حتى بالفكر أن تأتى إلى النفس التى

تتخمر هكذا تماما وكلية بالروح الإلهى كما هو مكتوب " *المحبة لا تفكر بالشر* " (١كو١٣:٥) .

ولكن بدون الخميرة السماوية التى هى قوة الروح الإلهى ، لا يمكن للشخص أن يتخمر بصلاح الرب ويصل إلى الحياة . كما أن أبناء آدم لم يكونوا ليخدعوا بالشر والخطية ويتحولوا إليها لو لم تكن خميرة الشر ، التى هى الخطية، قد دخلت إلى آدم نفسه ، تلك الخميرة الشريرة هى قوة من الشيطان ذات طبيعة روحية عقلية .

٤ ــ وكما يحدث فى حالة الإنسان الذى يعجن دقيقا بدون أن يضع فيه خميرة، فمهما كان الجهد الذى يبذله فى تقليبه وعجنه ، فإن العجينة تظل غير مخمرة وغير مناسبة للأكل ، ولكن إذا وضعت الخميرة فى العجين فإنها تجتذب إليها كل كتلة العجين وتخمرها كلها وتجعلها خميرا كما قال الرب فى مثله عن الملكوت ، " *يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها فى ثلاث أكيال دقيق حتى اختمر الجميع* " (مت١٣:٣٣) .

مزج خميرة الروح:

إذا كان إنسان عنده لحوم ويلزم أن يحفظها ولكنه لم يملحها بالملح الذى يقتل الدود ويمنع الرائحة الكريهة ، فإن اللحوم تنتن وتعفن وتصبح غير صالحة لاستعمال الناس. **وبنفس الطريقة انظر إلى كل جنس البشر وتصورهم كلحم أو كعجين غير مختمر وتيقن أن الملح والخميرة إنما ينتميان إلى عالم آخر، أى طبيعة الروح القدس الإلهية** . والآن إذا لم تمتزج خميرة الروح السماوية ــ ذلك الملح الصالح المقدس، ملح اللاهوت، الذى من فوق ــ إذا لم يمتزج ويدخل فى طبيعة البشر الضعيفة فإن الإنسان لا

يستطيع أن يتخلص من رائحة الخطية الكريهة . ولا يتخمر مثل ذلك الإنسان لكى يخلع عنه ثقل الخطية ويتحرر وينفك من حالة عدم التخمر (بالروح) الناتجة من الشر .

٥ ــ فكل ما يظن الشخص أن يفعله بذاته ، ويبذل جهدا واهتماما وتعبا كثيرا فى تتميمه معتمدا على قواه الخاصة وحدها ويظن أنه يستطيع أن يحقق نجاحا كاملا بذاته، بدون معونة الروح القدس، فإنه يضل ضلالا عظيمًا، فمثل هذا الموقف لا يناسب من يسعى إلى السماويات ــ إلى الملكوت. إذ أن مثل هذا الشخص يعتقد أنه يستطيع من ذاته وبذاته وحدها بدون الروح، أن يصل إلى النقاوة الكاملة .

فإذا لم يأت الإنسان ــ المعذب بالأهواء إلى الله منكرا العالم ، ويؤمن ويثق برجاء وصبر أنه سينال شيئا صالحا مختلفا تماما عن طبيعته الخاصة ، وأعني به قوة الروح القدس ، وإن لم يسكب عليه الرب من فوق حياة اللاهوت ، فإن هذا الإنسان لن يختبر الحياة الحقيقية أبدا (الحياة الإلهية) ، ولن يفيق من سكر الأمور المادية . ولن تضىء إنارة الروح ساطعة بلمعان وبهاء فى تلك النفس المظلمة ، ولن تنيره بنور "يوم مقدس" ولن يستيقظ من سبات الجهل العميق ، ليمكنه إذا استيقظ أن يعرف الله حقيقة عن طريق قوة الله فاعلية نعمته .

٦ ــ لأنه إذا لم يُحسب الإنسان أهلاً ــ بالإيمان ، أن ينال النعمة فلا نفع فيه ولا يكون لائقا للملكوت . ولكن من الجهة الأخرى فإنه إذا نال نعمة الروح ولم يتغير ذهنه أو إذا يقاوم النعمة بالإهمال أو ردىء الأعمال ، أما إذا لم يقاوم النعمة ، وهكذا يجاهد زمنا لكى لا يحزن الروح ، فإنه يحسب

أهلا للشركة فى الحياة الأبدية ، فإنه كما أن الإنسان يدرك تأثيرات الشر عن طريق الأهواء ، أعنى عن طريق الغضب والشهوة والحسد والهم الردىء ، والأفكار الشريرة وغير ذلك من الأشياء الخاطئة ، هكذا أيضا يجب على الإنسان أن يدرك النعمة وقوة الله عن طريق الفضائل ، أعنى عن طريق المحبة والشفقة والصلاح والفرح ، والبساطة والبهجة الإلهية لكى يصير مشابها للطبيعة الصالحة الإلهية ومختلطا معها بفاعلية النعمة اللطيفة المقدسة وحينما تمتحن إرادة الإنسان مع الزمن والنمو وبحسب الفرصة لكى يظهر ما إذا كان الإنسان واحدًا مع النعمة باستمرار ومرضيًا لها . فإنه بالتدريج يتحول ليصير واحدا تماما مع الروح ، وهكذا يصير مقدسا ونقيا بواسطة فعل الروح ويصير لائقا للملكوت. والمجد والعبادة والسجود لأبى الطهارة ، وللابن وللروح القدس آمين .

✢✢✢✢✢✢✢

العظة الخامسة والعشرون :

قوة سر الصليب والنار الإلهية

" هذه العظة تعلم أنه لا يستطيع إنسان ، بدون أن يتأيد بالمسيح ، أن يغلب عثرات الشرير، وما ينبغى أن يفعله أولئك الذين يطلبون المجد الإلهى باشتياق، وتعلم أيضًا أنه بواسطة عصيان آدم قد نزلنا جميعًا إلى عبودية الشهوات اللحمية ، والتى أنقذنا منها بالسر المختفى فى الصليب، وتعلم العظة أيضًا أن قوة الدموع والنار الإلهية هى قوة عظيمة " .

السر الذى فى الصليب :

١ ـ أولئك الذين كُتب فى داخلهم الناموس الإلهى ، ليس بحبر وحروف بل **هو مطبوع فى قلوب لحمية ، فهؤلاء إذ قد استنارت عيون أذهانهم ويتطلعون إلى الرجاء الذى لا يُلمس ولا يُرى بل هو غير منظور وغير مادى فهؤلاء يملكون القوة أن يغلبوا عثرات الشرير وذلك بقوة لا يمكن أن تُقهر .**

أما أولئك الذين لم يُكرّموا ويتشرفوا بكلمة الله ولم يتهذبوا بالشريعة الإلهية فإنهم " ينتفخون باطلاً " (كو٢:٨). وهم يظنون أنهم بإرادتهم الحرة يستطيعون أن يقطعوا **أسباب الخطية التى يُحكم عليها فقط بواسطة السر الذى فى مقاومة الشيطان ، ولكنها لا تمتد إلى السيادة المُطلقة على الشهوات.** " *فإن لم يبن الرب البيت* ـ كما يقول الكتاب ـ *وإن لم يحفظ المدينة فباطلاً يسهر الحارس، وباطلاً يتعب البانى* " (مز١٢٧:١).

٢ ـ لأنه لا يستطيع احد أن يطأ على " *الأفعى والحية ويدوس الأسد والتنين* " (مز٩١:١٣) إن لم يطهر نفسه أولاً ـ بأقصى ما فى طاقة

الإنسان ــ وأن يتأيد بقوة ذلك الذى قال لرسله : " *ها أنا أعطيكم السلطان لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو* " (لو١٠ : ١٩).

حاجتنا للروح القدس للغلبة والتبنى :

فلو كانت طبيعة الإنسان لها القدرة بدون سلاح الروح القدس الكامل أن " *تقف ضد مكايد إبليس* " (أف٦ : ١١)، لما كان الرسول قد قال بتأكيد: " *إله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعًا* " (رو١٦ : ٢٠). وأيضًا " *الذى سيبيده الرب بنفخة فمه* " (٢تس٢ : ٨). لهذا السبب أيضًا قد أوصانا الرب أن نصلى ونطلب قائلين " *ولا تدخلنا فى تجربة ، لكن نجنا من الشرير* " (مت٦ : ١٣). **فإن لم تخلصنا معونة القوة العليا من سهام الشرير الملتهبة، وإن لم نُحسب أهلاً لأن نكون أبناء بالتبنى، فإن حياتنا على هذه الأرض تكون حينئذٍ باطلة وبلا هدف، إذ نوجد بعيدين عن قوة الله .**

٣ ــ **لذلك فمن يريد ويشتهى أن يصير شريكًا فى المجد الإلهى ، وأن يرى كما فى مرآة صورة المسيح فى داخل عقله ، فينبغى أن يطلب معونة الله التى تتدفق منه بقوة ــ يطلبها بحب مشتعل لا ينطفئ وبرغبة حارة من كل قلبه وكل قدرته، ليلاً ونهارًا** ، هذه المعونة الإلهية التى لا يمكن نوالها ، كما قلت سابقًا إن لم يتخل الإنسان عن لذة العالم وعن شهوات ورغبات القوة المعادية ، والتى هى أجنبية عن النور ومخالفة له وهى من نشاط وعمل الشرير، وليس لها أى قرابة أو مشابهة لعمل الصلاح بل هى غريبة تمامًا عنه .

حالتنا فى الإنسان العتيق :

لذلك ، فإذا أردنا أن نعرف لماذا نحن الذين قد خُلقنا فى كرامة ووُضعنا لنحيا فى الفردوس، صرنا بعد ذلك " *مثل البهائم التى لا تفهم وشُبهنا بها* " (مز٤٩: ١٢، ٢٠)، إذ قد سقطنا من المجد الأصلى ، **فاعرف أننا بواسطة التعدى ، صرنا عبيدًا للأهواء الجسدية . لقد أخرجنا أنفسنا من " *أرض الأحياء المغبوطة* " (مز١١٦: ٩) وسرنا إلى الأسر حيث لا نزال " *جالسين على أنهار بابل* " (مز١٣٧: ١).**

ولأننا لا نزال محبوسين فى " مصر" ، لذلك فإننا لم نرث بعد أرض الموعد، " *التى تفيض لبنًا وعسلاً* "(خر٣: ٨). إننا لم نتخمر بعد "*بخميرة الإخلاص* " (١كو٥: ٨)، ولكننا لا نزال فى "خميرة الشر". إن قلبنا لم يُرش بعد بدم الله، لأن " فخ جهنم " (أم٩: ١٨ السبعينية) ، وصنارة الخطية لا تزال منصوبة فيه .

٤ ـ إننا إلى الآن لم نقبل بهجة خلاص المسيح ، لأن " شوكة الموت " (١كو١٥: ٥٥) لا تزال جذورها فينا . إننا لم نلبس بعد " *الإنسان الجديد، المخلوق بحسب الله فى القداسة*" (أف٥: ٢٤). لأننا لم نخلع بعد " *الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الخطية* " (أف٤: ٢٢). إننا لم نحمل بعد "صورة السماوى" (١كو١٥: ٤٩). ولم نصر " *مشابهين لصورة مجده* " (فى ٣: ٢١). إننا لم نعبد الله " *بالروح والحق*" (يو٤: ٢٤) لأن " *الخطية تملك فى جسدنا المائت* " (رو٦: ١٢).

إننا لم نرَ بعد " مجد *الله الذى لا يفنى*" (رو١: ٢٣) لأننا لا نزال تحت سطوة " *الليل المظلم*" (مز٢: ١١). وإلى الآن لم " *نلبس أسلحة النور*" (رو

١٢:١٣) لأننا لم نلق عنا سلاح الظلمة وسهامها وأعمالها. نحن " *لم نتغير* بعد عن *شكلنا* بتجديد *أذهاننا*" ، لأننا لا نزال " *مشاكلين ومطابقين لهذا العالم*" (رو١٢:٢)، " *فى الذهن الباطل*" (أف١٧:٤). إننا لم نتمجد بعد مع *المسيح*" ، *لأننا لم نتألم* بعد معه" (رو١٧:٨) . إننا لا " *نحمل سماته بعد فى جسدنا* " (غل١٧:٦) لأننا لا نحيا فى سر صليب المسيح ، لأننا لا نزال فى " *أهواء وشهوات الجسد*"(غل٢٤:٥). إننا لم نصر بعد " *ورثة الله ووارثون* مع *المسيح*" (رو٧:٨)، لأن " *روح العبودية* " لا يزال فينا وليس " *روح التبنى* " (رو١٥:٨) ، وحتى الآن لم " *نصر هيكلاً ومسكنًا للروح القدس* " (١كو١٦:٣)، لأننا لا نزال هيكلاً للأصنام ومستودعًا لأرواح الشر بسبب تعلقنا بالشهوات.

٥ ـــ وفى الحقيقة أننا إلى الآن لم نحصل على بساطة السيرة واستنارة العقل. وإلى الآن لم نُحسب أهلاً لنوال " *اللبن العقلى العديم الغش*" (١بط ٢:٢)، والنمو الروحى غير المنظور. وإلى الآن لم ينفجر النهار ولم يطلع كوكب الصبح فى قلوبنا (٢بط١٩:١). " *إننا لم نمتزج بشمس البر* " (ملا ٢:٤). ولا ابتدأنا أن نضئ بأشعته . إننا لم نقبل بعد " شبه *الرب* " (تك ٢٦:١)، ولا صرنا " *مشاركين للطبيعة الإلهية* " (٢بط٤:١). وإلى الآن لم نصر ذلك الأرجوان الملوكى الحقيقى ، ولا صرنا صورة الله الحقيقية. إننا لم نسبى بعد بالحب الإلهى ولا انجرحنا بمحبة العريس الروحانية. إننا لم نعرف بعد تلك الشركة السرية التى تفوق الوصف ولم نعرف القوة والسلام الموجودان فى القداسة. وبكلمة واحدة فإننا لسنا بعد " *جنسًا مختارًا، كهنوتًا ملوكيًا، أمة مقدسة، شعب اقتناء*" (١بط٩:٢) لأننا لا نزال إلى الآن " *حيات وأولاد أفاعى* " (مت٣٣:٢٣).

أنوح وأبكى أمام الله على شقاوتنا :

٦ ـــ وكيف نكون سوى حيات ، ونحن لا نطيع الله بل نعيش فى العصيان الذى دخل إلينا بواسطة الحية . وأنا لا أستطيع أن أعرف كيف أبكي وأنوح على شقاوتنا هذه كما تستحق ولا أعرف كيف أصرخ بصوت عال باكيًا أمام الله الذى يستطيع وحده أن ينزع منى الخطأ المزروع فيّ. " *كيف أرنم ترنيمة الرب فى أرض غريبة* " (مز١٣٧:٤)، كيف أنوح على أورشليم؟ وكيف أهرب من عبودية فرعون القاسية؟ وكيف أهجر مكان الإقامة الدنس؟ وكيف أستطيع أن أنكر أو أجمد الطغيان المُر ؟ وكيف أستطيع أن أخرج من أرض مصر؟ وكيف أستطيع أن أعبر البحر الأحمر؟ وأسير في وسط البرية الكبرى؟ وكيف أنجو من الهلاك بلدغات الحيات ؟ وكيق أهزم الغرباء؟ وكيف أحكم الأمم الذين فى داخلى تمامًا (الشعوب الوثنية أى عبادة الأصنام ـــ يقصد الأهواء الشريرة)، وكيف أتقبل أقوال الشريعة الإلهية على ألواح قلبى؟ وكيف أرى عمود النور الحقيقى والسحاب الناشئ من الروح القدس؟ وكيف أتنعم بمَنّ البهجة الأبدية؟ وكيف أشرب الماء من الصخرة المعطية الحياة ؟ كيف أعبر الأردن وأدخل إلى أرض الموعد الجيدة ؟ وكيف أعاين رئيس جند الرب الذى حينما رآه يشوع بن نون ، خر فى الحال ساجدًا ؟ .

ضرورة العبور والدخول إلى الراحة :

٧ ـــ لأننى إن لم أعبر بكل هذه وأحطم الأمم الذين يعيشون فى داخلى فإننى لن أستطيع أن أدخل إلى " أقداس الله " وأستريح (مز٧٣:١٧). "ولا أصير شريكًا فى مجد الملك " .

لذلك أسع بكل اجتهاد لتكون ابنًا لله بلا لوم، وأن "*تدخل فى تلك الراحة*" (عب٤: ١١)، حيث دخل المسيح كسابق لأجلنا (عب٦: ٢٠).

اجتهد أن يكون أسمك مكتوبًا فى " *الكنيسة التى فى السماء مع الأبكار* " (عب١٢: ٢٣)، لكى توجد عن " *يمين العظمة فى الأعالى* " (عب١: ٣). أسع أن تدخل إلى المدينة المقدسة، أورشليم مدينة السلام، التى هى فوق ، فوق الكل ، حيث يوجد الفردوس . فلا يوجد أمامك طريق آخر للدخول إلى هذه الأحوال العجيبة السعيدة سوى أن تسكب الدموع نهارًا وليلاً مثل ذلك الذى قال "*كل ليلة أعوم سريرى وبدموعى أبل فراشى*" (مز٦: ٦). وأنت تعرف جيدًا أن " *الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج*" (مز١٢٦: ٦). لهذا السبب فإن النبى يقول بكل صراحة "*لا تسكت عن دموعى*" (مز٣٩: ١٢). وأيضًا "*أجعل دموعى أمام عينك كما وعدت*"(مز٥٦: ٨). وأيضًا " *دموعى صارت لى خبزًا نهارًا وليلاً*" (مز٤٢: ٣). وفى مزمور آخر " *مزجت شرابى بدموعى*" (مز١٠٢: ٩).

قوة الدموع :

٨ ــ لأن الدموع التى تُسكب حقًا من حزن كثير وكآبة قلب وبمعرفة للحق واحتراق فى الداخل ، إنما هى طعام للنفس يأتيها من الخبز السماوى الذى سبقت مريم وأخذت منه حينما جلست عند قدمى الرب وبكت بحسب ما شهد لها المخلص نفسه. فإنه قال: "*لقد اختارت مريم النصيب الصالح الذى لن يُنزع منها* " (لو١٠: ٤٢).

فما أثمن تلك الدرر، التى تتساقط مع انسكاب وفيض الدموع المغبوطة ! ويا لتلك الاستجابة الفورية والانصات المستمر! وأى عقل قوى حكيم! ويا لشدة روح الرب، التى تتحرك بقوة نحو عريس بلا عيب!

وأى رغبة شديدة وشوق فى النفس إلى الله الكلمة! وأى شركة حميمة للعروس مع العريس السماوى !.

النار الإلهية :

٩ ــ فتمثل بها إذن يا ابنى ، اقتد بتلك التى ثبتت عينيها عليه وحده، ذلك الذى قال " *جئت لألقى نارًا على الأرض وإلاّ اضطرامها* "(لو ١٢: ٤٩).

فهناك اشتعال للروح، هو الذى يُشعل القلوب نارًا . فإن النار الإلهية غير المادية لها فاعلية لإنارة النفوس وتمحيصها كما يُمتحن الذهب النقى بنار البوتقة. ولكنها (النار الإلهية) تحرق كل شر مثل الأشواك والقيود " *لأن إلهنا نارًا آكلة* " (عب١٢: ٢٩) " معطيًا *نقمة للذين لا يعرفون الله، فى نار لهيب ، وللذين لا يطيعون إنجيله* " (٢تس١: ٨).

وهذه النار هى التى عملت فى الرسل حينما تكلموا بألسنة نارية (أع ٢: ٢٥). هذه النار هى التى أحاطت ببولس بالصوت الذى انار عقله ولكنها أعمت بصره (أع٩: ٣). فلم تكن رؤيته لقوة ذلك النور بدون الجسد. هذه النار ظهرت لموسى فى العليقة، وهذه النار، فى شكل مركبة هى التى اختطفت إيليا من الأرض (٢مل٤: ١١). وداود المبارك كان يطلب فاعلية هذه النار حينما قال "امتحنى يارب ، جربنى محص كليتى وقلبى " (مز ٢٦: ٢).

١٠ ــ هذه النار هى التى ألهبت قلب كليوباس ورفيقه حينما تكلم المخلص معهما بعد القيامة . والملائكة والأرواح الخادمة تأخذ من لمعان هذه النار كما هو مكتوب " الصانع ملائكته أرواحًا وخدامه نارًا ملتهبة " ب١: ٧). وهذه النار هى التى تحرق الخشبة التى فى العين الداخلية، يجعل العقل نقيًا، حتى إذا استرد قوة رؤيته الطبيعية ، يمكنه أن يتفرس بلا

انقطاع فى عجائب الله كما هو مكتوب " افتح عينى، لكى أبصر عجائب من شريعتك " (مز ١١٩: ١٨).

· **هذه النار أيضًا تطرد الشياطين، وتنزع الخطايا ، ولها قوة القيامة، وفاعلية قوة الخلود، وهى نور النفوس المقدسة، وسند القوات العاقلة.**

فلنصلِ ولنتوسل أن تأتي إلينا أيضًا هذه النار، حتى بسيرنا دائمًا فى النور ، فإننا "*لا تعثر بحجر أقدامنا*" (مز ٩١: ١٢) ولا إلى لحظة واحدة ، بل "*نضئ كأنوار فى العالم*" "*ممسكين بكلمة الحياة الأبدية*" (فى ٢: ١٥)، حتى إذا تنعمنا بخيرات الله بين قديسيه ، فإننا نجد راحة مع الرب فى الحياة ، ممجدين الآب والابن والروح القدس الذى له المجد إلى الأبد . آمين .

العظة السادسة والعشرون :

كرامة النفس - تجارب الشر والانتصار

" كرامة وقيمة وقوة وفاعلية النفس الخالدة ، وكيف تُجرب بواسطة الشيطان ، وكيف تحصل على الحرية من التجارب . وتحتوى العظة أيضًا على بعض أسئلة مملوءة بتعاليم هامة " .

كرامة النفس البشرية :

١ ــ أيها الحبيب ، لا تستخف بالطبيعة العقلية للنفس البشرية . فالنفس الخالدة هى مثل إناء غالى الثمن ، فانظر مقدار عظمة السموات والأرض، ومع ذلك فإن الله لم يُسرّ بها بل وجد مسرته فيك أنت فاعتبر كرامتك وسموك ، حيث إن الرب قد أتى لأجل حمايتك وخلاصك بنفسه وليس بواسطة ملائكة وذلك لكى يناديك ويدركك أنت ، أنت الذى قد ضعت وضللت ، أنت الذى جُرحت ، وذلك لكى يعيدك إلى حالة وشكل آدم النقى الذى خُلق عليه أولاً . لأن الإنسان كان سيدًا على السموات والأرض ، وقادرًا أن يميز الأهواء ، وكان غريبًا تمامًا عن الشياطين ، وجُرح ومات. وأظلم الشيطان عقله . فهو هكذا من ناحية معينة ، ومن ناحية أخرى هو لا يزال يحيا ويميز ويملك الإرادة .

استئصال الخطية :

٢ ــ **سؤال** : أليس صحيحًا أن الشهوة الطبيعية تُستأصل مع الخطية بحلول الروح القدس ؟

الجواب : فقد سبق أن قلت إن الخطية تُستأصل والإنسان يسترجع ثانية شكل آدم الأصلى فى طهارته ــ وفى الحقيقة ، فإن الإنسان ــ بقوة الروح

والتجديد الروحانى لا يصل فقط إلى قياس آدم الأول بل يصير فى حالة أعظم منه لأنه يصير شريكًا فى الطبيعة الإلهية .

حدود حرب الشيطان :

٣ ــ **سؤال** : هل الشيطان يحارب ضدنا كما يشاء أم أن له حرية محدودة فى محاربتنا ؟

الجواب : إن الشيطان يهاجم ليس المسيحيين فقط بل وعابدى الأصنام والعالم كله ، فلو كان مسموحًا له أن يحارب كما يشاء لكان أهلك جميع البشر وحطم كل شئ . ولماذا هكذا ؟ لأن هذه هى غايته وشهوته . وكما أن الخزاف يصنع أوعيته فى النار ويحمّى الفرن تدريجيًا وليس بما يفوق الحد اللازم لئلا تنشق الأوانى ، وأيضا ليس بأقل من الحد اللازم لئلا تصير الأوانى نيئة وغير نافعة للاستعمال ، وكما أن الصائغ أو الجواهرجى يسلط النار بقدر محسوب ، لأنه إذا زادت النار عن اللازم يسيل الذهب والفضة ويصيران كالماء ويتلفان ، وإذا كان عقل الإنسان يعرف كيف يقيس الأحمال المناسبة لدابته سواء كان جملاً أو غيره من الحيوانات بحسب قدرة كل حيوان على الحمل ، فكم بالحرى جدًا يفعل الله الذى يعرف قدر احتمال الناس لا يسمح للقوة المعادية أن تحارب كل إنسان إلاّ بقدر احتماله وسعته .

٤ ــ كما أن الأرض رغم أنها واحدة، ومع ذلك فهناك أجزاء فيها صخرية وأجزاء أخرى سهلة وخصبة، وأجزاء مناسبة لزراعة الكروم وغيرها لزراعة القمح والشعير، هكذا أيضًا حقول القلوب البشرية والمشيئات تختلف من واحد إلى آخر. وهكذا أيضًا مواهب النعمة التى من فوق تُوزع بتنوع واختلاف. فلواحد تُعطى موهبة الكرازة بالكلمة ، ولآخر

موهبة التمييز ولثالث مواهب الشفاء (١كو١٢: ٩). فإن الله يعرف طاقة كل إنسان فى تحقيق وكالته ، وهكذا أيضًا على حسب ذلك يوزع مواهبه المتنوعة . وبطريقة مشابهة أيضًا فيما يخص الحرب الداخلية يسمح لقوة العدو بمحاربة كل واحد على قدر طاقته فى تقبل ومواجهة حرب الشرير .

النعمة والطبيعة الشخصية :

٥ ــ **سؤال** : حينما ينال إنسان القوة الإلهية ويتغير بها نوعًا ما ، هل يظل فى الطبيعة التى كانت له قبلاً ؟

الجواب : لكى ما تُمتحن الإرادة ، بعد نوال النعمة لكى يظهر ميلها وموافقتها ، فإن الطبيعة تظل كما كانت قبلاً : فالذى كان شديدًا يبقى على شدته ، والرقيق على رقته . ولكن يحدث أحيانًا أن إنسانًا غير متعلم يُولد ثانيةً روحيًا ويتحول إلى إنسان حكيم وتُعلن له الأسرار الخفية ، ومع ذلك يظل على طبيعته كإنسان غير متعلم . وآخر قد يكون شديدًا بطبيعته ولكنه يُسلّم نفسه وإرادته لخدمة الله فيقبله الله رغم أن طبيعته تبقى على شدتها ، ومع ذلك يُسرّ الله به . وإنسان آخر يكون رقيقًا فى عاداته ولطيفًا وصالحًا، ويعطى نفسه لله ويقبله الله ولكن إن لم يثبت فى الصلاح فإن الله لا يُسرّ به لأن طبيعة البشر كلها قابلة للتغير إلى الخير أو إلى الشر ، وهى قادرة على فعل الشر إذا أرادت ، ولكن إذا أرادت أيضًا فلها القوة أن لا تتمم الشر فعلاً .

٦ ــ ومثل الكتابة على الورق ، فإنك تكتب شيئًا ربما لم تقصده ولذلك تمحوه ثانيةً . فالورق يتقبل أى نوع من الكتابة ، هكذا الإنسان القاسى أو الشديد الذى أعطى ذاته لله ، فإنه تحول إلى ما هو صالح ، وقبله الله . لأن الله يقبل الناس من كل الأنواع ومن كل الاتجاهات ، لكى يُظهر رحمته .

والرسل حينما كانوا يأتون إلى مدينة ويمكثون فيها بعض الوقت فإنهم كانوا يشفون بعضًا من المرضى والبعض الاخر لا يشفون . والرسل من ناحيتهم يرغبون أن يعطوا الحياة لكل الموتى ، والشفاء لكل المرضى . لكن لم يكن لهم ما أرادوه : فلم يكن مسموحًا لهم أن يفعلوا ما يشاءون . وبنفس الطريقة حينما أمسك والى الحارث ، بولس الرسول فإن النعمة التى كانت مع الرسول كان يمكن لو أرادت أن تجعل الوالى وسور المدينة كلاهما يسقطان ، حيث إن بولس كان إنسانًا مؤيدًا بالروح القدس ، ولكن الرسول تدلى فى زنبيل (٢كو١١:٣٢) . فأين كانت إذن القوة الإلهية المصاحبة له ؟ .. إن هذه الأشياء حدثت بتدبير العناية، وفى بعض الأمور كانوا يصنعون الآيات والعجائب ، وفى حالات أخرى كانوا بلا قوة لكى يظهر الفرق بين الذين يؤمنون والذين لا يؤمنون ، ولكى تُمتحن وتظهر حرية الإرادة ، وهل سيعثر البعض عندما يرون أنهم (الرسل) ضعفاء . فلو كان الرسل قد فعلوا كل ما يشاءون فى كل شئ لكانوا قد أتوا بالناس إلى خدمة الله بالقوة الجبرية ، **ولا يكون الأمر حينئذ مسألة إيمان أو عدم إيمان . المسيحية هى " *حجر صدمة وصخرة عثرة* "** (رو٩:٣٣).

٧ ــ وأيضًا ما كُتب عن أيوب ليس بدون معنى ، إذ يتضح من الكتاب أن الشيطان طلبه وسعى إليه . فإن الشيطان لا يستطيع أن يعمل شيئًا من ذاته بدون إذن من الله . وماذا يقول الشيطان للرب ، " *سلمه ليدى فإنه فى وجهك سيجدف عليك* " (أيوب١:١٢ سبعينية). ولا يزال أيوب كما هو إلى الآن ، وهكذا الله أيضًا وكذلك الشيطان . فبقدر ذلك يطلبه الشيطان ويقول للرب " إنما هو يخدمك لأنك تساعده وتحميه وتعينه ، ولكن أبسط يدك الآن وسلمه لى فإنه فى وجهك يجدف عليك " . وباختصار ، بسبب أن الشخص

يكون حاصلاً على العزاء بالنعمة ، فإن النعمة تنسحب قليلاً حتى يمكن أن يُسلم للتجارب ، ويأتى الشيطان ويحضر معه ألاف من الشرور كتجارب للإنسان مثل : اليأس والارتداد والأفكار الرديئة ليعذب بها النفس لكى يضعفها ويفصلها عن الرجاء فى الرب .

٨ ــ ولكن الشخص الحكيم لا ييأس أبدًا فى وسط التجارب والشرور ، بل يتعلق لمن هو مُمسك به ، ومهما أثار الشيطان ضده من حروب فإنه يصبر فى وسط التجارب التى لا تُحصى قائلاً " إنى ولو مت فلا أطلق الرب وأتركه " . وحينئذ فإن صَبِرَ الإنسان إلى النهاية فإن الرب يحاور الشيطان قائلاً : " أنظر كم من الشرور والمصائب جلبت عليه ومع ذلك فلم يُنصت إليك بل هو يخدمنى ويتقينى " . فحينئذ ينغلب الشيطان من الخزى ولا يكون له شئ أكثر يقوله . وفى حالة أيوب ، لو كان الشيطان قد علّم أن أيوب سيظل ثابتًا فى وسط التجارب ولن ينهزم لما كان قد طلبه ، وذلك ليتحاشى الخزى الذى أصابه . وهكذا الآن أيضًا فى حالة أولئك الذين يحتملون الشدائد والتجارب ، فإن الشيطان يخزى ويندم لرجوعه خائبًا . والرب يقول له " أنظر ها أنا قد أعطيتك الإذن وسمحت لك أن تجربه ، فهل استطعت أن تفعل به شيئًا ؟ وهل سمع لك فى أى شئ ؟ " .

الشيطان معرفته محدودة بأفكار الإنسان :

٩ ــ **سؤال** : هل يعرف الشيطان كل أفكار الإنسان ومقاصده ؟

جواب : إذا كان إنسان يرافق إنساناً آخر ، فإنه يعرف عنه كل ما يختص به . وإن كنت أنت الذى لك من العمر عشرون سنة ، تعرف الأمور الخاصة بجارك ، أفلا يستطيع الشيطان الذى يحتك بك منذ ولادتك أن يعرف أفكارك ؟ فإن عمر الشيطان الآن ستة آلاف سنة. ومع ذلك

فنحن لا نقول إنه يعرف ما ينوى أن يفعله الإنسان قبل أن يجربه ؟ فالمجرب يبدأ بالتجربة ولكنه لا يعرف إن كان الإنسان سيطيعه أم لا إلى أن يأتى الوقت الذى فيه يُسلّم الإنسان إرادته للشيطان ليستعبده . كما أننى لا أقول إن الشيطان يعرف كل أفكار واختراعات قلب الإنسان . فكما أن الشجرة لها فروع وأغصان كثيرة ، هكذا النفس أيضًا لها فروع كثيرة من الأفكار والشيطان يعرف بعض هذه الفروع ، ولكن هناك أفكار ومقاصد أخرى لا يدركها الشيطان ولا يمسكها .

الالتجاء إلى الله بالإيمان والمحبة يهزم الشيطان :

١٠ ــ فقد يحدث فى أمر معين أن جانب الشر يكون أقوى فى الأفكار التى داخلنا ولكن فى أمر آخر ينتصر فكر الإنسان ويكون أقوى من الشر إذ ينال عونًا وفداءً من الله فيقاوم الشر ويمقته . إذن فإنه ينغلب فى أمر وفى أمر آخر ينتصر . فإنه أحيانًا يأتى إلى الله بحرارة ، والشيطان يعرف هذا ويرى ذلك الإنسان ينفر منه ويقاومه ، وأنه ــ أى الشيطان ــ عاجز أمامه . وما السبب فى ذلك ؟ السبب أن الإنسان له الإرادة والرغبة أن يصرخ إلى الله ، وفيه الثمار الطبيعية لمحبة الله ، ثمار الإيمان بالله ، وطلب المجىء إليه .

ففى أمور العالم الخارجية التى حولنا ، فإن الفلاح يُفلّح الأرض ، ولكنه بالرغم من تفليحه لها ، فإنه يحتاج إلى وابل من الأمطار من فوق . فإن لم يأت المطر من فوق فما ينتفع الفلاح شيئًا من تفليحه الأرض . هكذا الأمر أيضًا فى العالم الروحى . فإن هناك عاملان يؤخذان فى الاعتبار . فأولاً ، من الضرورى أن يُفلّح الإنسان أرض قلبه بحريته واختياره وتعبه ــ فإن الله يريد أن يبذل الإنسان كل جهده ويتعب ولا يتكاسل ــ ولكن إن

لم تظهر السحب السماوية وأمطار النعمة من فوق فإن الفلاح الروحانى لا ينتفع شيئًا من جهده وتعبه .

علامة المسيحية :

١١ ــ **هذه هى علامة المسيحية إنه مهما فعل الإنسان وتعب ومهما عمل أعمال بر، فإنه يشعر أنه لم يفعل شيئًا.** وحينما يصوم فإنه يشعر فى نفسه كأنه لم يَصم . وحينما يصلى يقول فى نفسه "هذه ليست صلاة ". وعندما يثابر فى الصلاة يشعر أنه لم يُثابر بعد بل يقول لنفسه " إننى فقط بدأت أن أمارس المثابرة والتعب " ، وحتى إذا كان بارًا أمام الله فينبغى أن يقول " أنا لست بارًا ، ولست أنا ، أنا لست عاملاً ، ولكننى فقط ابتدئ فى كل يوم " .

وينبغى أن يكون عنده الرجاء والفرح كل يوم وانتظار الملكوت الآتى والفداء الكامل ، وان يقول " إن لم أكن قد افتُديت (تحررت) اليوم فإننى سأُفتدى غدًا " . ومثل الإنسان الذى يزرع كرمًا ، فإن عنده فرح ورجاء فى نفسه قبل أن يبدأ الزرع ، إذ هو يتصور الكرم فى عقله ويحسب الربح الناتج منه أيضًا ، قبل أن يثمر الكرم ، وهكذا فإنه يبتدئ بالتعب والجهد ــ لأن الرجاء والانتظار يجعلانه يجتهد بغيرة وحماس وهو ينفق على الكرم لفترة طويلة من ماله .

وهكذا أيضاً الإنسان الذى يبنى بيتًا أو يزرع حقلاً فإنه يتكلف كثيرًا فى البداية ، ولكنه يفعل ذلك على رجاء الربح الذى سيحصل عليه .

وبنفس الطريقة فى هذا الأمر الذى أمامنا . فإن لم يضع الإنسان أمام عينيه الفرح والرجاء قائلاً فى نفسه : " إننى سأحصل على الفداء الكامل (التحرر) والحياة " ، فإنه لا يستطيع أن يحتمل الشدائد بصبر أو الأثقال ولا

يستطيع السير فى الطريق الضيق. فإن وجود الرجاء والفرح فى قلبه هما اللذان يجعلانه يتعب ويحتمل الشدائد وتحمل ثقل السير في الطريق الضيق.

١٢ ــ ولكن كما أنه ليس من السهل خروج الميسم (سيخ حديد) من النار ، هكذا فليس من السهل أن تهرب النفس من نار الموت إلاّ بتعب كثير . فكثيرًا ما يوحى الشيطان تحتَ ستار الأفكار الصالحة مثّل " بهذه الطريقة يمكنك أن ترضى الله " يوحى إلى الشخص ويقوده بمكر إلى أفكار خادعة ولطيفة حسب مظهرها ، وهو لا يعرف كيف يكتشف ثم يميز أنه مخدوع . وهكذا فإنه يسقط فى " فخ وهلاك إبليس " (اتى٦:٩، ٣:٧).

السلاح الفتاك :

إن أشد أسلحة المجاهد المسيحى فتكًا هى هذه : أن يحارب ضد الشيطان فى أعماق قلبه ، وأن يبغض نفسه ، وينكر نفسه ، وأن يغضب منها ويوبخها ، ويقاوم الشهوات التى تتحرك فى داخله ويعارك مع أفكاره ويحارب ضد ذاته .

١٣ ــ فإذا كنت تحفظ جسدًا خارجيًا من الفساد والدنس ولكنك ترتكب الزنا والفسق فى أفكارك فإنك زانٍ أمام الله ولا تنفعك عذراوية جسدك شيئًا. فإن كانت هناك امرأة شابة يحاول شاب أن يغريها ويخدعها حتى يفسدها بحيلته ومكره ، فإنها بعد ذلك تصير مكروهة من زوجها لأنها صارت زانية . هكذا أيضًا النفس الروحانية فإنها إذا عقدت شركة مع الحية المختفية فى ثنايا القلب الداخلية ، فإنها ترتكب الزنا مع الروح الخبيث ضد الله كما هو مكتوب " *إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنا بها فى قلبه* " (مت٥:٢٨). فهناك زنى بالجسد ، وهناك زنى آخر للنفس حينما تقيم شركة مع الشيطان. فالنفس إما أن تكون شريكة وشقيقة

للشياطين ، أو لله والملائكة ، فإن كانت تزنى مع الشيطان ، فهى غير مناسبة للعريس السماوى .

الحرب مستمرة ولكن الرب يحفظ من الأذى :

١٤ ــ **سؤال** : هل الشيطان يهدأ أحيانًا ويكون الإنسان حُرًا من الحروب ؟ أم أن الحرب لا تكف عنه مادام حيًا فى الجسد ؟

جواب : إن الشيطان لا يهدأ أو يكف عن الحرب . ومادام الإنسان يحيا فى هذا العالم ويلبس الجسد فهو مُعرض للحرب . ولكن حين " *تنطفئ سهام الشرير الملتهبة* " (أف٦:١٦) فأى ضرر يصيب الإنسان إذا أتى الشيطان بإيحاءاته ؟ فالشخص الذى يكون صديقًا للملك ، وتُرفع شكوى ضده من عدوه ، فحيث إن الملك صديق له ويتمتع بفضل وإنعامات الملك، ويقدم له الملك المساندة والعون ، فإنه لا يُصاب بأى ضرر . وحينما ينجح أى شخص فى أن يعبر بكل الرتب والدرجات ويصير صديقًا للملك ، فلا يستطيع أحد أن يلحق به ضررًا . وفى هذا العالم المادى توجد بعض المدن التى تحصل على هبات وإنعامات من الإمبراطور . فحتى إذا قامت هذه المدن بالصرف على بعض الخدمات فإنها لن تخسر كثيرًا ، حيث إنها تحصل على خيرات وافرة من الإمبراطور . هكذا المسيحيون أيضًا ، فحتى إذا كان العدو يحارب ضدهم فإنهم يحتمون فى اللاهوت كحصنهم وقوتهم ، وقد لبسوا القوة والراحة من الأعالى ، ولا يبالون بالحرب التى تقوم ضدهم .

١٥ ــ وكما أن الرب لبس الجسد متخليًا عن كل رئاسة وقوة ، كذلك المسيحيون يلبسون الروح القدس ويصيرون فى سلام . فحتى إذا أتت

الحرب من الخارج وبدأ الشيطان هجومه ، فإنهم يتقوون داخليًا بقوة الرب ولا يقلقون من الشيطان .

فالشيطان جرب الرب فى البرية أربعين يومًا ولم يصبه بأى ضرر باقترابه من جسده أو من الداخل فكان هو الله . **هكذا المسيحيون ، رغم أنهم يُجرّبون من الخارج فإنهم من الداخل مملوؤن باللاهوت ولا يصيبهم أى أذى . ولكن من يصل إلى هذه المقاييس ، فإنه يكون قد وصل إلى محبة المسيح الكاملة ، وإلى ملء اللاهوت . وأما من لم يكن هكذا فإنه لا يزال يعانى من الحرب فى داخله . فإنه فى ساعة معينة يبتهج ويفرح فى الصلاة ولكنه فى ساعة أخرى يكون فى شدة وفى حرب . وهذه هى إرادة الرب . فلأن مثل هذا الشخص لا يزال طفلاً ، فإن الرب يدربه فى الحروب، ومن داخله تنبع كلاً من أفكار النور والظلمة ، والسلام والشدة، ومثل هؤلاء الأشخاص يصلون فى سلام فى بعض الأوقات وفى أوقات اخرى يكونون فى ضيق وقلق .**

١٦ ـــ ألاّ تسمع ما يقوله الرسول بولس ؟ " *إن كان لى كل المواهب ، وإن سلمت جسدى حتى احترق ، وإن كنت أتكلم بألسنة الملائكة، وليس لى محبة فلست شيئًا* " (١كو١٣:١ــ٣). **فهذه المواهب هى فقط لأجل حثنا وتحريضنا. وأولئك الذين يكتفون بها فإنهم لا يزالون أطفالاً رغم أنهم فى النور.**

فكثيرون من الاخوة قد وصلوا إلى هذه الدرجات وحصلوا على مواهب الشفاء ، والإعلانات والنبوة ، ولكن لأنهم لم يصلوا إلى المحبة الكاملة التى هى " رباط الكمال " (كو٣:١٨) فإن الحرب تثور ضدهم، ولأنهم لا يحترسون فإنهم يسقطون. ولكن الشخص الذى يصل إلى المحبة الكاملة فإنه يُحاصر بالنعمة ويصير أسيرًا لها . أما الذى يقترب قليلاً من هذه الدرجة ـــ درجة

المحبة الكاملة ــ ولكنه لا يُربط بالحب تمامًا ويُقيد به ، فمثل هذا الشخص لا يزال مُعرضًا للخوف والحروب واحتمال السقوط ، وإذا لم يحترس لنفسه فإن الشيطان يلقيه صريعًا على الأرض .

أسباب السقوط :

١٧ ــ وبهذه الطريقة فإن كثيرين أخطأوا بعد أن حصلوا على النعمة . إنهم ظنوا أنهم قد حصلوا على الكمال وقالوا " هذا يكفى ، إننا لا نحتاج إلى أكثر من ذلك " . ولكن الرب ليس له نهاية ، ولا يمكن إدراكه بصورة كاملة **ولا يجرؤ المسيحيون أن يقولوا " لقد أدركنا "** (فى٣:١٣)، ولكنهم يظلون يسعون ــ بتواضع ــ ليلاً ونهارًا . وفى أمور هذا العالم نجد أنه ليس هناك نهاية للتعلم ، وأكثر الناس إدراكًا لهذه الحقيقة هو الشخص الذى حصل على درجة كبيرة من العلم والمعرفة . هكذا أيضًا فى هذا الأمر الذى نتحدث عنه، فالله لا يمكن قياسه أو إدراكه إلاّ بواسطة أولئك الذين قد بداوا يتذوقونه ، أولئك الذين قبلوه شخصيًا ، ويعترفون بضعفهم وعجزهم. فإذا ذهب إنسان له بعض العلم إلى قرية حيث الناس غير متعلمين فإنهم يعجبون به يمدحونه كأحد العلماء ، لأنهم جهلاء تمامًا . ولكن إذا ذهب نفس هذا الشخص بعلمه القليل إلى مدينة حيث العلماء والخطباء فإنه لا يجسر أن يظهر بينهم أو يتكلم لأن العلماء الحقيقيون يحسبونه جاهلاً .

حالة الذى ينتقل أثناء الحرب الروحية :

١٨ ــ **سؤال** : إذا فرضنا أن إنسانًا لا يزال فى حرب داخلية ولا يزال يوجد فى نفسه كلاً من الخطية والنعمة ، فإذا انتقل من هذا العالم إلى أين يذهب ، حيث إنه يميل نحو الاتجاهين ؟

جواب : إنه يذهب إلى حيث يميل قلبه وإلى حيث يوجد حبه . وما عليك إذا أتت عليك الشدة والحرب إلاّ أن تقاومهما وتبغضهما . لأن مجئ الحرب عليك هذا ليس من صنعك . ولكن أن تبغض الحرب فهذا أمر متوقف عليك . وحينئذ إذ ينظر الرب إلى قلبك ويرى أنك تجاهد وأنك تحبه بكل نفسك ، فإنه يطرد الموت عن نفسك فى وقت قصير جدًا . فإن هذا ليس صعبًا عليه ، ويأخذك إلى حضنه وإلى نوره . وفى لحظة من الزمان ينتشلك من فم الظلمة وينقلك فى الحال إلى ملكوته . فمن اليسير على الله أن يفعل كل الأشياء فى لحظة من الزمان ، إن كنت فقط تضع حبك فيه . إن الله يريد عمل الإنسان . لأن النفس البشرية خُلقت لتكون لها شركة مع اللاهوت .

١٩ ـــ وقد سبق أن تكلمت كثيرًا عن مثل الفلاح الذى يتعب ويلقى البذار فى الأرض وكيف أنه ينبغى ان ينتظر المطر من فوق . فإن لم تظهر السحب وتهب الرياح فلا فائدة من تعب الفلاح. فإن البذار تبقى عارية . والآن نطبق هذا على النظام الروحى ، فالإنسان الذى يعتمد فقط على مجهوداته الخاصة ولا ينال ما هو خارج عن طبيعته البشرية فإنه لا يستطيع أن يقدم للرب ثمار تليق به . **والآن ما هو العمل المطلوب من الإنسان ؟ هل أن يتجرد من العالم ويتركه ، وأن يثابر على الصلاة ويسهر ، وأن يحب الله والاخوة . هذه هى المجالات المطلوب من الإنسان أن يعمل ويثابر فيها . ولكنه إن استند على عمله هذا واكتفى به ولم يترجى أن ينال العطية الأخرى ، التى هى رياح الروح القدس ، فإن عدم هبوب رياح الروح على نفسه ، بسبب أنه لم تظهر السحب السماوية ، ولم يهطل المطر من السماء ليرطب نفسه ، فإن الإنسان لا يستطيع أن يقدم للرب الثمار التى تليق به (بالرب) .**

٢٠ ــ إنه مكتوب إن الكرام حينما يرى الغصن يأتى بثمر " *ينقيه ليأتى بثمر أكثر* " (يو١٥:٢) وأما الغصن الذى لا يأتى بثمر فإنه ينزعه ويسلمه للحريق . وفى الحقيقة أنه يليق بالإنسان إنه إذا صام أو سهر الليالى أو صلى أو عمل أى شئ من الصلاح ، أن ينسب كل شئ للرب ويقول : " لو لم أنل القوة من الله لما كنت قد استطعت أن أصوم أو أصلى أو أتجرد من العالم " .

وبهذه الطريقة فإذ يرى الله قصدك ، أنك تنسب كل ما تعمله إليه ، فإنه ينعم عليك بما هو ليس من ذاتك أو من طبيعتك ــ **أى بما هو روحانى وإلهى وسماوى . وما أعنيه هو ثمار الروح والفرح والسعادة .**

الثمار الطبيعية والثمار الروحانية :

٢١ ــ **سؤال** : ولكن حيث إن الثمار الطبيعية هى المحبة والإيمان والصلاة ، فما هو الفرق بين هذه الثمار الطبيعية والثمار الروحانية ؟

جواب : الأشياء التى تعملها من نفسك هى حسنة ومقبولة أمام الله ، ولكنها ليست نقية تمامًا فمثلاً : أنت تحب الله ، ولكنك لا تحبه محبة كاملة. فحينما يأتى الرب إلى داخلك فإنه يعطيك محبة سماوية غير متغيرة . أو أنت تصلى ولكن صلاتك مُصابة بتشتيت الأفكار والقلق . وحينما يأتى الرب إليك فإنه يعطيك الصلاة النقية " بالروح والحق " (يو٤:٢٣) وإننا نجد فى العالم المادى ، أن التربة غالبًا ما تُخرج أشواكًا من نفسها .

والفلاح يحفر ويصلح الأرض بعناية ويضع فيها البذار ، ولكن الأشواك التى لم يزرعها أحد تنبت وتتكاثر . إذ أنه بعد سقوط آدم قيل له " *شوكًا وحسكًا تنبت لك الأرض* " (تك٣:١٨). ومرة ثانية يتعب الفلاح فى الأرض ويقتلع الأشواك ولكنها مع ذلك لا تزال تتكاثر . وإذا طبقنا هذا

تطبيقًا روحيًا نجد أنه منذ سقوط الإنسان صارت تربة القلب البشرى تنبت شوكًا وحسكًا. والإنسان يعمل ويتعب ، ومع ذلك تنبت فيها أشواك الخطية، إلى أن يأتى الروح القدس نفسه " ويعين ضعفات الإنسان " (رو٨:٢٦) . ويزرع الرب الزرع السماوى فى تربة القلب ويفلحها . ولكن برغم ذلك ، لا يزال الحسك والشوك ينبتان ثانية . ثم يعمل الرب والإنسان معًا فى أرض النفس ولا تزال أشواك وأرواح الشر تنبت وتنمو هناك حتى يأتى وقت الصيف والحرارة الشديدة حين تتفاضل وتتزايد النعمة فتجف الأشواك وتذبل من حرارة الشمس .

النعمة المتفاضلة تلغى سلطان الخطيـة :

٢٢ ــ فرغم أن الشر موجود فى الطبيعة البشرية (بعد نوال النعمة) ولكنه لم يعد له السلطان أن يسود عليها كما كان سابقًا . فرغم أن الزوان يمكن أن يخنق نبات القمح فى بداية نموه ولكن حينما يأتى الصيف وتنضج حبوب القمح فإن الزوان لا يكون له أى ضرر على القمح بعد ذلك. فإذا وضعت ربع مكيال[1] من الزوان فى ثلاثين مكيال من القمح النقى واختلطت معها فأى تأثير يكون للزوان . فإن كمية القمح الكبيرة تغطى على الزوان القليل بسبب وفرتها .

هكذا أيضًا فى مجال النعمة ، فحينما تتفاضل عطية الله وتفيض نعمته فى الإنسان فيصير غنيًا بالرب ، فحتى إذا كانت الخطية حاضرة فيه إلى درجة ما ، فإنها لا تستطيع أن تؤذيه ولا يكون لها سلطان أو قوة عليه. وهذا هو الهدف من مجيء الرب وعنايته بالإنسان ــ هو أن يطلق الذين كانوا أسرى

---

[1] (ربع) المكيال المقصود يساوى (١ على ٨) من مكيال القمح فتكون نسبة الزوان إلى القمح ١:٢٤٠.

للخطية ومستعبدين لها ، ويجعلهم أحرارًا وغالبين للموت والخطية . لذلك فلا ينبغى أن يستغرب الاخوة إذا أصابتهم ضيقات وشدائد من الناس فهذا يساعد على تخليصهم وتحريرهم من الخطية .

٢٣ــ فسابقًا فى العهد القديم كان موسى وهرون اللذان أُعطيا الكهنوت، يتحملان شدائد كثيرة ، أما قيافا حينما جلس فى كرسيهما اضطهد الرب وحكم عليه. والرب سمح بأن يتم هذا احترامًا للكهنوت . وبالمثل فإن الأنبياء قد اضُطهدوا من أمتهم وشعبهم.

وفى كنيسة العهد الجديد خلف بطرس ، موسى ، واستأمنه المسيح على كنيسته الجديدة والكهنوت الحقيقى . لأن المعمودية الآن هى معمودية النار والروح القدس . وقد أُعطينا ختانًا فى القلب . لأن الروح الإلهى السماوى يسكن فى داخل العقل .

ومع ذلك فحتى أولئك الكاملين ليسوا أحرارًا من القلق تمامًا ماداموا فى الجسد ، وذلك بسبب حرية إرادتهم ، ولذلك يتعرضون للخوف. ولهذا السبب عينه يُسمح لهم بأن يُجربوا. ولكن حينما يصل الإنسان إلى مدينة القديسين، فإنه حينئذ يستطيع أن يحيا بدون اضطراب وبدون تجارب . وهناك لا يوجد حزن أو اضطراب أو تعب أو شيخوخة أو شيطان أو حرب ، بل هناك راحة وفرح وسلام وخلاص. والرب موجود فى وسطهم وهو مخلصهم لأنه هو الذى أطلق المأسورين أحرارًا . وهو يُدعى الطبيب لأنه معطى الدواء السماوى الإلهى . ويشفى آلام وأهواء النفس التى تكون من بعض الوجوه متسلطة على الإنسان . وبالاختصار فإن يسوع هو الملك والله ، أما الشيطان فهو طاغية ورئيس الشر .

النفس لها الاختيار بين الله والشيطان :

٢٤ ـــ ولنقل ببساطة ، إن الله وملائكته يرغبون أن يجعلوا هذا الإنسان واحدًا معهم ليكون معهم فى ملكوت الله، والشيطان أيضًا وملائكته يرغبون أن يضموا الإنسان إليهم ليكون معهم . والنفس موجودة فى الوسط بين هذين الكيانين ـــ والجانب الذى تميل إليه إرادتها فإنها تصير ملكًا له وابنًا له . فكما يحدث من الأب الذى يرسل ابنه إلى أرض غريبة ، حيث توجد وحوش كاسرة وحيات سامة فى الطريق ، فإنه يعطيه أدوية وعلاجات يجهزه بها حتى إذا قابلته الوحوش أو التنانين لتهاجمه فإنه يستطيع أن يستعمل الأدوية ليقتلها .

الدواء السماوى والقلب النقى :

فاجتهدوا أنتم أيضًا فى الحصول على الدواء السماوى الذى هو شافى النفس وواقيها ، لكى بواسطته تستطيعون أن تقتلوا الوحوش السامة ـــ وحوش الأرواح النجسة . فبالحقيقة أنه ليس من السهل الحصول على قلب نقى إلاّ بتعب وجهد كثير . فإنه بذلك يحصل الإنسان على ضمير نقى وقلب طاهر وينتزع منه الشر كله .

٢٥ ـــ فإنه يحدث أحيانًا أن تأتى النعمة إلى إنسان ومع ذلك لا يكون قلبه نقيًا تمامًا . وهذا هو السبب الذى يجعل كثيرين يسقطون ، فإنهم يسقطون لأنهم لا يصدقون أنهم بعد نوالهم النعمة لا يزال فيهم دخان وخطية، تستطيع أن تؤثر عليهم . وأما جميع الأبرار فإنهم أرضوا الرب وساروا فى الطريق الضيق الكرب وساروا فيه إلى النهاية .

فإبراهيم رغم أنه كان غنيًا من جهة الله ومن جهة العالم إلاّ انه اعتبر نفسه " تراب ورماد " (تك١٨: ٢٧) وداود يقول إنه " *عار عند البشر ومُحتقر الشعب ، أما أنا فدودة لا إنسان*" (مز٢٢: ٦). وبنفس الطريقة ، فإن كل الأنبياء

والرسل أُهينوا وشُتموا، والرب نفسه، الذى هو الطريق ، وهو الإله، حينما جاء إلى العالم لأجلك وليس لأجل نفسه، ليكون مثالاً لك فى كل ما هو صالح.

أنظر إلى المسيح :

أنظر ، إلى أى تواضع صار ووضع نفسه " آخذًا صورة عبد " (فى٢:٧)، وهو يعطى بنفسه أدوية شافية ويشفى كل المجروحين حينما ظهر من الخارج كأنه واحد من " المجروحين " (إش٥٣:٤،٥).

٢٦ ــ ولكن لا تحتقر مجده الإلهى حينما تراه من الخارج متواضعًا كواحد منا. فإنه من أجلنا ظهر هكذا وليس لأجل نفسه، تأمل جيدًا فى تلك الساعة حينما كانت الجموع المزدحمة تصرخ " أصلبه أصلبه" (لو٢٣:٢١) وكيف كان متواضعًا ومسحوقًا أكثر من جميع الناس . وكما يحدث فى العالم حولنا فإن أى إنسان مجرم حينما يحكم عليه القاضى فإنه حينئذ يكون مكروهًا ومرذولاً من جميع الناس ، هكذا كان الرب فى ساعة الصليب وكإنسان محكوم عليه بالموت كان الفريسيون يعاملونه باحتقار شديد. وحينما بصقوا فى وجهه ووضعوا إكليل الشوك على رأسه وضربوه فأى احتقارٍ وهوانٍ قد احتمله ؟ لأنه مكتوب " *بذلت ظهرى للضاربين ، وجهى لم أستر من العار والبصاق وخدى من اللطم* " (إش٥٠:٦) . **فإن كان الله قد تنازل لاحتمال هذه الإهانات والآلام والتحقير ، فكم بالحرى أنت الذى بطبيعتك ترابى ومائت . فمهما احتُقرت فإنك لن تفعل أبدًا مثل سيدك ــ فإنه لأجلك وضع نفسه، أفلا تضع أنت نفسك لأجل نفسك أم تظل متكبرًا ومنتفخًا. لقد أتى ليحمل على نفسه آلامك وأثقالك وخطاياك ، وليعطيك راحته ، ولكنك ترفض أن تحمل أية متاعب أو أن تتألم لكى تحصل على شفاء لجروحك . والمجد لصبره وطول أناته إلى الأبد آمين .**

✣✣✣✣✣✣✣

العظة السابعة والعشرون :

حالة النعمة وحرية الاختيار

" هذه العظة كسابقتها تصف كرامة وحالة الإنسان المسيحى . ثم هى تعلم أمورًا نافعة كثيرة عن حرية الإرادة مع بعض أسئلة مملوءة بحكمة إلهية ".

كرامة الإنسان فى المسيح :

١ ــ **أعرف أيها الإنسان سموك وكرامتك وشرفك عند الله** ، لكونك أخًا للمسيح ، وصديقًا للملك ، وعروسًا للعريس السماوى ، لأن كل من استطاع أن يعرف كرامة نفسه ، فإنه يستطيع أن يعرف قوة وأسرار اللاهوت . وبذلك يمكنه أن ينسحق ويتضع أكثر ، ففى ضوء قوة الله يرى الإنسان خطورة حالته الساقطة. وكما أنه (المسيح) عبر الآلام والصليب قبل أن يتمجد ويجلس عن يمين الآب ، هكذا ينبغى لك أن تتألم معه ، وتُصلب معه ، وبذلك تصعد معه وتتحد بجسد المسيح ، وتملك معه إلى الأبد فى ذلك العالم ، " *إن كنا نتألم معه لكى نتمجد أيضًا معه*" (رو١٧:٨).

٢ ــ لأن أولئك الذين يستطيعون أن يغلبوا ويجوزوا حصون الشر ، فإنهم يدخلون إلى المدينة السماوية المملوءة بالسلام وأنواع الصالحات حيث "أرواح الأبرار" تجد راحة (عب٢٣:١٢). لذلك ينبغى أن نكد ونتعب كثيرًا من أجل ذلك . **فإنه لا يليق أن العريس الذى أتى من أجلك ، يتألم ، بينما العروس التى جاء لأجلها العريس تعيش فى بلادة وتكاسل هائمة فى العالم . وكما أنه فى الأمور العالمية تعطى الزانية نفسها لكل إنسان بدون تمييز فى عهارة ، هكذا النفس التى قد أعطت نفسها للشيطان حتى أفسدتها تلك الأرواح الشريرة. فإن البعض يخطئون ويفعلون الشر باختيارهم بينما البعض الآخر يخطئون رغمًا عنهم . فما معنى هذا ؟ إن أولئك الذين يفعلون**

الشر باختيارهم هم الذين قد باعوا إرادتهم للشر ، ويجدون لذتهم فيه ويعقدون معه صداقة . مثل هؤلاء هم متصالحون مع الشيطان ولا يحاربونه فى أفكارهم . وأما أولئك الذين يفعلون الشر بدون إرادتهم فهؤلاء تحارب الخطية فى أعضائهم (رو٧: ٢٣). وقوة وحجاب الظلمة تحارب ضد إرادتهم وهم لا يتوافقون معها فى أفكارهم، ولا يجدون لذتهم فيها ، ولا يطيعونها بل يحاربون ضدها فى القول والفعل. وهم يغضبون مع أنفسهم. فهؤلاء هم أسمى جدًا وأكرم فى عينى الله من الذين يبيعون إرادتهم للشر ويفرحون به.

٣ ــ فإذا افترضنا أن ملكًا وجد فتاة فقيرة تلبس خرقًا بالية ، ولم يستنكف منها بل أخذها وجردها من ثيابها الرثة وغسلها من سوادها وزينها بملابس أنيقة مبهجة وجعلها شريكته وجليسته على مائدته ، **فهكذا الرب أيضًا قد وجد النفس مجروحة ومضروبة، وأعطاها الدواء وخلع عنها الثياب السوداء وأزال عنها عار الخطية وألبسها الملابس الملوكية السماوية أى ملابس اللاهوت اللامعة المجيدة . ووضع تاجًا على رأسها وجعلها شريكة مائدته الملوكية للفرح والبهجة** . وكما فى حالة الحديقة الجميلة حيث توجد أشجار مثمرة ويكون الهواء مُحملاً بالرائحة الزكية ، وتوجد أمكنة كثيرة جميلة ومُنعشة وذلك لبهجة وراحة أولئك الذين يذهبون إلى هناك ، هكذا أيضًا تكون النفوس فى الملكوت فإنها تكون جميعها فى فرح وسعادة وسلام ، ويكونون ملوكاً وأربابًا وآلهة . لأنه مكتوب " *ملك الملوك ورب الأرباب* " (١تى٦: ١٥).

٤ ــ فالديانة المسيحية ليست إذن شيئًا عاديًا، " *هذا سر عظيم* " (أف٥: ٣٢)، لذلك فأعرف قدرتك وسموك لكونك دُعيت إلى الكرامة الملوكية "*جنس مختار كهنوت ملوكى وأمة مقدسة* " (١بط٢: ٩)، لأن سر المسيحية هو غريب بالنسبة لهذا العالم. والمجد المنظور الذى للإمبراطور أو الملك

وكل غناه، إنما هو أرضى وفانى ومضمحل وأما ذلك الملكوت وذلك الغنى السماوى فهو إلهى سماوى ومملوء مجدًا وهو لا يفنى ولا يضمحل لأن مثل هؤلاء المسيحيون يملكون مع الملك السماوى فى الكنيسة السماوية " *وهو البكر من الأموات* " (كو١:١٨) **وهم أيضًا أبكار**، ولكن رغم أن هذه هى حالتهم وهم مختارون ومقبولون أمام الله، فإنهم يعتبرون أنفسهم أقل الكل وليس لهم أى استحقاق، وقد صار أمرًا طبيعيًا عندهم أن يعتبروا أنفسهم كلا شئ.

نفسى ليست ثمينة عندى :

٥ ـ **سؤال** : هل معنى ذلك أنهم لا يعرفون أنهم قد نالوا شيئًا زائدًا وأنهم قد حصلوا على ما لم يكن لهم قبلاً أى ما هو غريب عن طبيعتهم ؟

جواب : ما أقوله هم إنهم لا يعتبرون أنفسهم مستحقين لمدح الله ورضاه، ويعتبرون أنهم لم يتقدموا ويرتقوا، وهم لا يعرفون كيف حصلوا على ما لم يكن لهم قبلاً. ولكن برغم كل ذلك **فإن النعمة نفسها تأتى وتعلمهم أن لا يحسبوا " *نفوسهم ثمينة عندهم* "** (أع٢٠:٢٤) **رغم أنهم قد نموا وتقدموا. بل وأن يحسبوا أنفسهم كأنهم من طبيعتهم لا قيمة لهم.** ورغم أنهم مكرمون وأعزاء عند الله ولكنهم ليسوا مكرمون عند أنفسهم. ورغم أنهم ينمون ويتقدمون فى معرفة الله، فإنهم يكونون كأنهم لا يعرفون شيئًا ورغم كونهم أغنياء عند الله فإنهم يرون أنفسهم فقراء ـ وكما أن المسيح "*أخذ صورة عبد* " (فى٢:٧) وغلب الشيطان بالتواضع ، هكذا فإنه فى البداية سقط الإنسان عن طريق الكبرياء والمجد الباطل بخداع الحية ، والآن **فإن الحية نفسها التى تختبئ فى القلوب البشرية تحاول أن تصرع وتهلك كثير من جنس المسيحيين عن طريق الكبرياء والمجد الباطل .**

٦ ـــ وإذا كان إنسان حر وكريم المولد بحسب العالم وعنده غنى كثير، وهو مستمر فى تنمية ثروته وزيادة دخله، فإن مثل هذا الإنسان يفقد اتزانه ويصير معتدًا بنفسه واضعًا نفسه فى ذاته. هذا الإنسان يصير غير محتمل، ويبتدئ يرفس الآخرين ويبطش بهم. هكذا يكون الحال أحيانًا مع بعض الأشخاص الذين ينقصهم التمييز، فإنهم بمجرد أن يبدأوا فى تذوق الفرح والقوة فى الصلاة، فإنهم يبتدأون أن ينتفخوا روحيًا، ويفقدون اتزانهم، ويبدأون في إدانة الآخرين ولذلك يسقطون إلى أسفل أعماق الأرض. وأن الحية نفسها التى طردت آدم من الفردوس عن طريق الكبرياء بقولها "*ستكونان كالآلهة* " (تك٣:٥)، لا تزال تلقى بأفكار الكبرياء فى قلوب البشر قائلة لكل منهم " أنت كامل ، إن عندك كثير وأنت غنى ، إنك لا تحتاج شيئًا ، إنك مغبوط وسعيد " .

وهناك أشخاص آخرون أغنياء بحسب هذا العالم ومستمرون فى تنمية ثرواتهم، ومع ذلك فإنهم يحفظون أنفسهم فى حدود بعض البصيرة والتمييز ولا يفتخرون أو ينتفخون بل يظلون متزنين لأنهم يعرفون أن الوفرة والغنى يمكن أن يعقبها القلة والشح. وأيضًا حينما تحدث لهم الخسارة والقحط فإنهم لا ييأسون بل يحفظون توازنهم عالمين أن الرخاء والوفرة ستعود مرة أخرى، وبكثرة تمرنهم فى وقت الخسارة لا يندهشون ويتحيرون .

المسيحية تذوق عميق للحق وأكله وشربه باستمرار :

٧ـــ والمسيحية فى حقيقتها هى تذوق عميق للحق ، هى أكل وشرب للحق ، أن تأكل وأن تشرب ، وهكذا تستمر تأكل وتشرب لتنال القوة والفاعلية .

وإذا افترضنا أن هناك عين ماء يأتى إليها شخص عطشان ويبدأ أن يشرب

منها ولكن فى أثناء شربه يأتى شخص آخر ويصده قبل أن يرتوى تمامًا كما يريد ، فإن ذلك الإنسان العطشان يشتعل عطشًا أكثر إلى الماء ، لأنه قد تذوق الماء ولذلك فإنه يطلبه بغيرة وجهد أكثر . هكذا أيضًا فى المجال الروحانى فإن الإنسان يتذوق الطعام السماوى ويشترك فيه ، ثم يأتى فى أثناء ذلك ما يمنعه فلا ينال شبعه تمامًا .

٨ ــ **سؤال** : ولماذا لا يسمح له أن ينال شبعه الكامل ؟

جواب : إن الرب يعرف ضعف الإنسان، وأنه ينتفخ بسهولة، ولهذا السبب فإنه يحجز عنه الشبع ويسمح للإنسان بأن يُمتحن ويُجرّب. فإذا كنت تنال قليلاً من النعمة ومع ذلك تصير غير محتمل وتكون منتفخًا، فكيف يكون الحال لو أنك أُعطيت حتى الشبع مرة واحدة بدون أن يحجز عنك الشبع؟ ولكن الله إذ هو يعرف ضعفك تمامًا فإنه بعنايته يرتب أن تأتيك الشدائد لكى تتضع وتطلب الله بغيرة واجتهاد. وكما يحدث فى حالة إنسان فقير فى الماديات وجد كيس ذهب وبخفة الفرح بدأ يصيح: " لقد وجدت كيسًا من الذهب وصرت إنسانًا غنيًا " وحينئذ يسمع صاحب الكيس الذى فقده فيأتى ويأخذ ذهبه .

وإنسان آخر كان غنيًا ، وفقد اتزانه وبدأ يرفس الناس ، ويحتقر كل واحد ، ويعظم نفسه على غيره من الأشخاص ، وحينما سمع الإمبراطور عنه صادر كل ممتلكاته . وهكذا الأمر في المجال الروحانى . فحينما يتذوق بعض الأشخاص قليلاً من العزاء والنعمة ، فإنهم لا يعرفون كيف ينتفعون بما نالوا ، بل إنهم يفقدون حتى ما قد نالوه لأن الخطية تضلهم وتظلم عقولهم .

النعمة والسقوط وحرية الاختيار :

٩ ــ **سؤال** : كيف يسقط البعض بعد افتقاده النعمة أفلاّ يصير الشيطان أضعف بواسطة النعمة ؟ وحيث يكون النهار كيف يمكن أن يكون هناك ليل ؟

جواب : ليس أن النعمة تنطفئ أو تضعف، بل إن إرادتك وحريتك تُمتحن لكي يتضح إلي أي اتجاه تميل، ولهذا، فإن النعمة تعطى فرصة لوجود الخطية. وحينئذ تقترب أنت ثانية من الرب باختيارك وتتوسل إليه أن تأتيك النعمة وتفتقدك. فإنه مكتوب " *لا تطفئوا الروح*" (اتس٥:١٩) فالروح نفسه لا يمكن أن ينطفئ ، بل هو نور دائم، ولكن إذا كنت أنت مهملاً، فبعدم توافقك وتعاونك مع الروح فإنك تنطفئ وتفقد الروح. وبالمثل يقول الكتاب " *لا تحزنوا الروح القدس الذى به ختمتم ليوم الفداء* " (أف ٤:٣٠) وأنت ترى هنا، أنك متروك لاختيارك وحريتك أن تكرم الروح القدس ولا تحزنه. وإنى أؤكد لك أن حرية الاختيار تظل باقية حتى فى المسيحيين الكاملين الذين يُسبون بالصالحات ويسكرون بها، والنتيجة أنهم رغم تعرضهم لآلاف من الشدائد والشرور فإنهم يتجهون إلى الصلاح.

١٠ ــ وحينما يترك بعض الأشخاص من ذوى الرتب والثراء والنسب ــ يتركون أموالهم ويلبسون ثيابًا فقيرة رثة ويقبلون المسكنة والإهانات بدلاً من التكريم والاحترام ، ويحتملون الشدائد ويُحسبون بلا كرامة ، فإنهم إنما يفعلون هذا باختيارهم وإرادتهم . **وصدقنى أن الرسل أنفسهم الذين كانوا كاملين فى النعمة ، لم تكن النعمة تمنعهم من أن يفعلوا ما يريدون، إن رغبوا أحيانًا أن يفعلوا شيئًا غير موافق للنعمة. إن طبيعتنا البشرية معرضة لكل من الخير والشر، والقوة المعادية تعمل عن طريق الحث والإغراء**

وليس عن طريق الإجبار . وأنت تملك الحرية أن تميل إلى الاتجاه الذى تريده . ألم تقرأ ما هو مكتوب أن بطرس "*كان ملومًا*" (غل٢:١١). وأن بولس قاومه مواجهة . فرغم كل ما كان عليه بطرس من نعمة فإنه استوجب التوبيخ . وبولس ، مع كل الروحانية التى كان عليها، فإنه تشاجر مع برنابا حتى فارق أحدهما الآخر (أع١٥:٣٩) ، وبولس نفسه أيضًا يقول "*اصلحوا أنتم الروحانيون مثل هذا .. ناظرًا إلى نفسك لئلا تُجرب أنت أيضًا*" (غل٦:١). إذن فالروحانيون يُجربون لأن حرية إرادتهم باقية ، والأعداء يحاربونهم ماداموا فى هذا العالم.

١١ ــ **سؤال** : ألم يكن الرسل يستطيعون أن يخطئوا لو أرادوا ذلك ؟ أم أن النعمة كانت قوية جدًا فوق إرادتهم ؟

جواب : إنهم لم يكونوا يستطيعون أن يخطئوا ، لأنهم لم يكن فى استطاعتهم أن يختاروا الخطية لكونهم فى النور وفى ملء النعمة . وأنا لا أقول إن النعمة كانت ضعيفة فيهم ولكن ما أقول **إن النعمة تسمح حتى للأشخاص الروحانيين الكاملين أن تكون لهم حرية الإرادة ، وأن يكون لهم السلطان أن يفعلوا ما يختارون ، وأن يتجهوا الاتجاه الذى يرغبونه. والطبيعة البشرية، إذ هى ضعيفة لها الإمكانية أن تميل حتى مع وجود الصلاح والنعمة فيها.** وكما أن هناك أناسًا يلبسون السلاح الكامل من الرأس إلى القدم مع الدروع وغيرها من الأسلحة ، فإنهم حينئذ يكونون محفوظين فى الداخل ولا يستطيع الأعداء أن يهاجموهم ، فإنهم فى استطاعتهم أما أن يستخدموا أسلحتهم ويحاربوا ويجاهدوا ضد الأعداء وينتصروا أو أن يصالحوا الأعداء ويعقدوا معهم صلحًا ويكفوا عن محاربتهم رغم أنهم يملكون السلاح . وبنفس الطريقة ، فإن المسيحيين المسلحين بالقوة الكاملة والذين يملكون السلاح السماوى يستطيعون إن

أرادوا أن يتصالحوا مع الشيطان ويكفوا عن الحرب. إن الطبيعة البشرية معرضة للتغير، والإنسان يستطيع إذا أراد أن يصير ابنًا لله أو ابنًا للهلاك. وفى هذا يتضح أن حرية إرادتهم هى التى تحدد ماذا يكون .

أهمية الاختبار وبرهان الروح :

١٢ــ إن مجرد الحديث عن الأطعمة والمائدة شئ وأما أن تأكل وتتمتع بالطعام لتقوية أعضاء جسدك فهذا شئ آخر تمامًا. والحديث عن مشروب لذيذ بالكلمات شئ، وأما الاقتراب من الينبوع نفسه والشرب منه حتى الارتواء فهذا شئ آخر. وأن تتحدث عن الحروب وعن الأبطال والمحاربين الشجعان هذا شئ ولكن ذهاب الإنسان إلى المعركة فى الطليعة ومحاربة الأعداء وجهًا لوجه ومناورتهم والأخذ والعطاء معهم والانتصار عليهم فهذا شئ آخر تمامًا .

وبالمثل فى الأمور الروحية : الكلام والحديث بالمعرفة والأفكار العقلية هذا شئ ، وأما الجوهر والحقيقة فى ملء الاختبار وفى الإنسان الداخلى وامتلاك كنز ونعمة ومذاقة وفاعلية الروح القدس فى القلب فهذا شئ آخر . لأن أولئك الذين يتكلمون مجرد كلمات عارية يعيشون فى اوهام، "*وينتفخون فى ذهنهم*" (كو٢ :٨). والرسول يقول : "*وكلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع، بل ببرهان الروح والقوة*" (١كو٢ :٤) وأيضًا يقول: "*إن غاية الوصية هى المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء*" (١تى١ :٥). ومثل هذا الإنسان لا يسقط. وكثيرون من الذين يطلبون الله ينفتح لهم الباب ويبصرون الكنز ويدخلون فيه، وبينما هم يفرحون بهذا ويقولون " لقد وجدنا الكنز " فإنه يغلق الأبواب . ويبدأون بالصراخ والطلب والتوسل كثيرًا ويقولون " لقد وجدنا الكنز وضيعناه " . فإن النعمة تنسحب

بقصد وتدبير لكى ما نسعى ونطلب باجتهاد وغيرة. والكنز يُكشف لنا لكيما يجعلنا نسعى فى طلبه .

١٣ ــ **سؤال** : يقول البعض إن الإنسان بعد أن ينال النعمة مرة فإنه يعبر من الموت إلى الحياة . فهل من الممكن لمن قد صار فى النور أن تكون عنده أفكار غير طاهرة ؟

جواب : مكتوب " *أبعد ما بتدأتم بالروح تكملون بالجسد* " (غل٣:٣) وأيضًا يقول " *البسوا سلاح الروح الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد ابليس* " (أف٦:١١).

وهذه النصوص تبين وجود وضعين: الأول هو الذى يكون فيه الشخص حينما يكون لابسًا سلاح الروح، والآخر حينما يحارب مع السلاطين والرؤساء سواء فى النور أو الظلمة. ومكتوب أيضًا " *لكى تقدروا أن تطفئوا سهام الشرير الملتهبة* " (أف٦:١٦). وأيضًا " *لا تُحزنوا روح الله القدوس*" (أف٤:٣٠) وأيضًا " *لأن الذين استُنيروا مرة وذاقوا موهبة الله وصاروا شركاء الروح القدس وسقطوا لا يمكن تجديدهم أيضًا*"(عب٦:٤). فهناك أولئك الذين استنيروا وذاقوا الرب ومع ذلك يسقطون. **ومن ذلك نرى أن الإنسان يملك الإرادة أن يحيا فى توافق وانسجام مع الروح، وأيضًا يملك الإرادة أن يحزنه. وهو يأخذ الأسلحة لكى يذهب إلى المعركة ليحارب الأعداء. إنه بالتأكيد قد استنار حتى يمكن أن يحارب ضد الظلمة .**

الفرق بين المواهب والمحبة الكاملة :

١٤ ــ **سؤال** : ماذا يعنى الرسول بقوله " *إن كان لى كل علم وكل نبوة وأتكلم بألسنة الناس والملائكة فلست شيئًا* " (١كو١٣:١ــ٣).

جواب : لا ينبغى أن نفهم من هذا الكلام أن الرسول ليس بشئ ولكنه يعنى أن كل هذه المواهب ليست شيئًا بالمقارنة بالمحبة الكاملة ، وهذه كلها لها أهمية قليلة . والذى له مثل هذه المواهب يمكن أن يسقط . أما الذى يملك المحبة فلا يمكن أن يسقط . وإنى أؤكد لكم هذا ، إنى قد رأيت أشخاصًا نالوا كل المواهب الروحية وكانوا شركاء للروح ولكن لأنهم لم يصلوا إلى المحبة الكاملة فقد سقطوا . وأحد هؤلاء ــ وقد كان من النبلاء ــ رفض العالم وباع كل ممتلكاته وأطلق عبيده أحرارًا ، ولأنه كان ذو حكمة وفهم، فقد نال شهرة كبيرة بسبب شدة تنسكه فى الحياة . ولكنه ــ فى نفس الوقت ــ كانت له أفكار عالية عن نفسه ، وكان متكبرًا ، ففى نهاية الأمر سقط فى نجاسة فاضحة وآلاف أمور ردئية.

١٥ ــ وإنسان آخر فى زمن الاضطهاد، قدم جسده وصار معترفًا. ولما انتهى زمان الاضطهاد وأُطلق حرًا صارت له شهرة عظيمة لأن جفون عينيه كانت محترقة . وأيضًا هذا الإنسان نال مجدًا كثيرًا من الناس وكانوا يطلبون صلواته وصار يأخذ منهم نقودًا وتقدمات ويعطيها لخادمه . وتغيرت أفكاره حتى صار كأنه لم يسبق له أن سمع كلمة الله. وآخر قدم جسده فى زمن الاضطهاد ، وعلقوا جسده وجلدوه ثم ألقوه فى السجن ، وهناك كانت تخدمه إحدى الراهبات ، وقد كوّن ألفة معها أثناء وجوده فى السجن وسقط معها فى الزنى . فأنظر كيف أن الرجل الغنى ، بعد أن باع كل ممتلكاته ، والذى قدم جسده للاستشهاد كلاهما يمكن أن يسقط .

١٦ ــ كان هناك ناسك حكيم ، وكان يعيش معى فى إقامة واحدة وكان يصلى معى ، وكان غنيًا جدًا فى النعمة حتى أنه حينما كان يصلى بجوارى كانت تغمره الندامة والدموع، وكانت النعمة تغلى فى داخله . وقد

أعطى موهبة الشفاء ، ولم يكن يطرد الشياطين فقط ، بل كان يضع يديه على أولئك المربوطين والمعذبين بأمراض خطيرة فيشفيهم . ثم بعد ذلك بدأ يتهاون لأنه كان ينال مجدًا كثيرًا من العالم : وكان يجد متعة ولذة فى هذا المجد ، وصار منتفخًا . وسقط إلى أعماق الخطية . فأنظر كيف أن الذى كانت له موهبة الشفاء قد سقط. **ألاّ ترى أنهم يسقطون قبل أن يصلوا إلى المحبة الكاملة . لأن الذى يصل إلى المحبة يؤسر منها ويسكر بها . إنه يغطس فيها ويُمسك أسيرًا فى عالم آخر ، وكأنه لا يعرف شيئًا عن طبيعته القديمة.**

معنى " ما لم تره عين .. " :

١٧ ــ **سؤال** : ما معنى الآية التى تقول : " *ما لم تره عين وما لم تسمع به أذن وما لم يخطر على قلب بشر* " (١كو٢:٩) ؟

جواب : فى ذلك الزمان كان الأبرار والعظماء والملوك والأنبياء يعرفون أن المسيح لابد أن يأتى . **ولكنهم لم يكونوا يعرفون ولا كانوا قد سمعوا أنه سيتألم ويُصلب ويُسفك دمه على الصليب ولم يخطر على بالهم أنه ستكون هناك معمودية بالنار والروح القدس وأن فى الكنيسة ستُقدم تقدمة الخبز والخمر مثالاً لجسده ودمه ، وأن أولئك الذين يتناولون الخبز المنظور سيأكلون جسد الرب روحيًا ، وأن الرسل والمسيحيين سينالون المعزى " *ويتأيدون بالقوة من الأعالى* " (لو٢٤:٤٩) ويمتلئون باللاهوت، وأن نفوسهم تمتزج بالروح القدس وتتشبع به،** هذا لم يعرفه الأنبياء والملوك ولا خطر على قلبهم . والآن فإن المسيحيين يتمتعون بغنى عظيم يختلف عن غيره ، وقلوبهم ممسوكة بشهوة اللاهوت، ولكن برغم كل ما يتمتعون به من فرح وتعزية فإنهم لا يزال عندهم ، خوف ورعدة.

١٨ ــ **سؤال** : أى خوف ورعدة ؟

جواب : لئلا يتخذوا خطوة خاطئة ، بل يظلون متوافقين مع النعمة . ومثل إنسان يملك كنوزًا كثيرة ، ويسافر فى رحلات حيث يوجد بعض اللصوص . فرغم أنه يفرح بغناه وكنوزه ولكنه يخاف لئلا يهاجمه اللصوص وينهبوه ، ويكون كمن يحمل دمه على يديه . فأنظر ها نحن من جهة الأمور الخارجية ، قد تخلينا جميعًا عنها وصرنا غرباء لا نملك شيئًا، وتركنا كل عشرة جسدية مع العالم. والآن حينما يكون الجسد فى وضع الصلاة فإن الاخوة هم الذين يرون هل العقل أيضًا متحد مع الجسد ومشترك فى الصلاة أم لا؟ فإنه فى حالة العمال المهرة والبنائين فى العالم، فإنهم يكونون مربوطين بجسدهم وعقلهم ليلاً ونهارًا فى حرفتهم . فأنظر الآن جيدًا إلى نفسك : **إن جسدك متغرب بالنسبة للعالم ، فهل عقلك متغرب عن العالم ولا يرتبط بأمور هذا العالم ؟**

إن كل إنسان فى العالم ، سواء كان جنديًاأو تاجرًا حيثما يكون جسده فإنه هناك يكون عقله وهناك يكون كنزه ، كما هو مكتوب " *حيث يكون كنزك ، هناك يكون قلبك أيضًا* " (مت٦: ١٢).

ما هو كنزك ؟ :

١٩ ــ والآن ما هو الكنز الذى يميل إليه قلبك ويسعى إليه . هل هو يميل كلية وتمامًا إلى الله أم لا ؟ فإن لم يكن مائلاً إلى الله فأخبرنى ما هو الذى يمنعك من ذلك ، فبالتأكيد هناك الأروح الشريرة ، أى الشيطان وجنوده الذين يجذبون العقل ويربطون النفس بالأغلال ، لأن الشيطان ماكر جدًا وله حيل وخدع كثيرة من كل نوع ، وهو يستولى على مراعى النفس وأفكارها ولا يدعها تصلى الصلاة الصحيحة وتقترب من الله . **الطبيعة**

البشرية عندها القابلية لتكوين شركة مع الشياطين وأرواح الشر ، كما أن عندها قابلية لتكوين الشركة مع الملائكة والروح القدس ، فمن الممكن أن تكون هيكلاً للشيطان أو هيكلاً للروح القدس .

والآن أفحصوا عقولكم يا اخوة، مع من أنتم فى شركة؟ هل مع الملائكة أم مع الشياطين؟ وأنتم هيكل لمن: عل أنتم مسكن لله أم للشيطان؟ وما هو الكنز الذى يملأ قلبك : هل النعمة أم الشيطان . وكمثل بيت قد امتلأ بالروائح الكريهة والقذارة ، ينبغى أن يتم تنظيفه تمامًا ويُنسق ويمتلئ بكل رائحة طيبة وبكل الكنوز ، لكى يأتى الروح القدس بدلاً من الشيطان ويجد راحة فى قلوب المسيحيين .

٢٠ ــ وفى الحقيقة فإن الإنسان حينما يسمع كلمة الله لا يصير فى نفس اللحظة فى جانب الصلاح. فلو أن مجرد الاستماع يجعله بين الصالحين لما كان هناك صراع أو أوقات حروب أو جهاد إذ أنه بمجرد سماعه فقط يتحول إلى راحة كاملة وإلى السلام وحالة الكمال . ولكن حقيقة الأمر تختلف عن كل ذلك فإن الذين يظنون أن الأمور تسير هكذا إنما ينتزعون من الإنسان حرية اختياره وأيضًا ينكرون بذلك وجود قوة معادية تحارب ضد الإنسان . **أما ما نقوله نحن فهو ، إن الإنسان الذى يسمع الكلمة ويقبلها فإنها تقوده إلى التوبة ، ثم بعد ذلك تنسحب النعمة قليلاً بتدبير عناية الله لأجل نمو الإنسان ومنفعته ، فيدخل فى التدريب ويتعلم نظم الحرب ، ويدخل فى عراك وحرب ضد الشيطان وبعد كفاح طويل وعراك ينال الانتصار ويصير مسيحيًا . فلو كان مجرد الاستماع يجعل الإنسان من القديسين والصالحين لكان رجال اللهو وكل الزناة قد دخلوا إلى الملكوت والحياة الأبدية . ولكنهم لن يُعطى لهم هذا بدون توبة وجهاد لأن الطريق**

مستقيم وضيق (مت٧: ١٤) وفى هذا الطريق الكرب ينبغى أن نسير ونحتمل الشدائد بصبر وهكذا ندخل إلى الحياة .

أهمية اختيار اتجاه الإيمان والجهاد :

٢١ ـ فلو أن النجاح الروحي ممكن بدون أى جهد ، لما كانت المسيحية " *حجر صدمة وصخرة عثرة* " (رو٩: ٣٣). ولما كان هناك إيمان وعدم إيمان. وبذلك فإنك تجعل من الإنسان مخلوق الضرورة والإجبار ، غير قادر على الاتجاه إلى الخير أو إلى الشر. والقانون يُعطى فقط لمن يستطيع أن يتجه لأى من الاتجاهين ـ يُعطى لمن له الحرية أن يدخل المعركة ضد القوة المعادية . ولا يمكن أن يوضع قانون لطبيعة تسير بالإجبار . إن الشمس والسماء والأرض لا تحتاج أن تُسن لها قوانين ، فإن مثل هذه المخلوقات طبيعتها محكومة جبريًا، ولهذا السبب فإنها لا تنال مكافأة ولا عقاب .. إن المكافأة والمجد إنما هى مُعدة لمن يتجه إلى الصلاح ، أما جهنم والعقاب فهى مُعدة لهذه الطبيعة المتغيرة ، التى فى استطاعتها أن تهرب من الشر، وتلقى بكل كيانها إلى الجانب اليمين أى جانب الصلاح والخير. فإذا قلت إن الإنسان طبيعته غير متغيرة فهذا يخالف حقيقة الواقع ، ثم إنك تجعل الإنسان غير مستحق لأى مجد أو مدح من الله. فإن الذى هو صالح ورحوم بطبيعته، لا يستحق أى مدح على ذلك مع أن هذا (الصلاح والرحمة) أمر محبوب ومرغوب. إن من لا يصير فى حالة الصلاح باختياره، لا يستحق المدح ، مهما كان الصلاح مرغوبًا فيه . إن المدح إنما يستحقه ذلك الإنسان الذى يقرر هو شخصيًا ويتعهد مع الله بتعب واحتمال أن يكون الصلاح هو اتجاهه الشخصى واختياره الحر.

قوة العقل تعادل قوة الشرير والانتصار بقوة النعمة :

٢٢ ــ فإذا كان معسكر الفرس فى مواجهة معسكر الرومان فينبغى أن يخرج شاب مُجنح من كل معسكر منهما، لهما قوة متساوية ليصارعا فى المعركة. **فبالمثل فإن العقل البشرى والقوة والمعادية هما متساويان فى القوة فى حربهما ضد بعضهما . فالشيطان يحث ويغرى الإنسان لكى يتبعه ، والإنسان له قوة معادلة ليرفض إيحاءاته ولا يطيعه بأى حال ، وكل من الشر والخير يعمل عمله بالحث وليس الإجبار . ومعونة النعمة الإلهية تُعطى لمن يختار الصلاح بحريته ، وبدخوله فى المعركة فإنه ينال الأسلحة السماوية التى يستطيع بها أن يغلب الشر ويستأصله** . أما أولئك الذين يقولون إن الخطية هى عملاق جبار والنفس هى كطفل صغير مخطئون فلو كان الأمر هكذا ، حتى أن الخطية تكون قوة عملاقة ، والنفس البشرية فى قوة طفل صغير ، فيكون الله حينئذ ظالمًا ، بإعطائه للإنسان قانونًا أن يحارب ضد الشيطان .

أساس الطريق الإلهى :

٢٣ ــ إن أساس طريق الله هو هذا : **الصبر الكثير ، والرجاء ، والاتضاع ، ومسكنة الروح التى أوصانا بها الرب ، هى مثل علامات ولافتات فى الطريق الملوكى لإرشاد المسافرين إلى المدينة السماوية . لأنه** يقول " *طوبى للمساكين بالروح ، طوبى للودعاء ، طوبى لصانعى السلام* " (مت٥:٣). وهذه هى المسيحية . أما الذى لا يسير فى هذا الطريق فإنه يضل إلى حيث لا طريق . ويكون قد بنى على غير أساس .

والمجد لتحننات الآب والابن والروح القدس إلى الأبد . آمين .

العظة الثامنة والعشرون :

حالة الإنسان بدون المسيح

"وصف مصيبة النفس التى ـ بسبب الخطية ـ لا يسكن فيها الرب، والحزن والتأسف على حالة هذه النفس ، وتشمل العظة أيضًا حديثًا يختص بيوحنا المعمدان ، إنه لم يقم بين من المولودين من النساء من هو أعظم منه ".

مصيبة النفس التى لا يسكن فيها المسيح :

١ ـ كما أن الله لما غضب على اليهود مرة ، سلّم أورشليم إلى أعدائها " *وتسلط عليهم مبغضوهم* " (مز١٠٦:٤١) ولم يعد فيها بعد ذلك لا عيد ولا تقدمة ، هكذا أيضًا النفس البشرية التى غضب الله عليها بسبب عصيانها لوصيته ، فسلمها لأعدائها ، أى للشياطين والشهوات ، لأنه حينما أغواها هؤلاء الأعداء ، أفسدوها تمامًا وأهلكوها ولم يعد فيها أى عيد وفرح ، ولا يرتفع فيها بخور أو تقدمة إلى الله . وعلاماتها وآثارها ضاعت ونسيت فى الشوارع بينما الوحوش المرعبة وأرواح الشر الخبيثة تسكن فيها .

كما أن البيت إذا لم يكن له صاحب يسكن فيه فإنه يكون مملوء ظلامًا وعارًا ويُساء استخدامه ويمتلئ بالأدناس والقذارة ، هكذا النفس التى لا يكون الرب ساكنًا فيها مع ملائكته ، يقيم أعيادًا وأفراحًا فيها ، فإنها تمتلئ بظلمة الخطية وعار الشهوات وكل أنواع الخزى .

٢ ـ وكم هو مرعب ذلك الطريق الذى لا يسير فيه أحد ، ولا يُسمع فيه صوت إنسان إذ أنه يصير مسكنًا للوحوش ويا ويل النفس التى لا

يسير فيها الرب ، ولا يطرد بصوته وحوش الشر الروحانية منها !
والويل للبيت الذى لا يسكن فيه السيد ! والويل للأرض التى ليس لها فلاح يُفلّحها ! والويل للسفينة التى ليس لها قائد ، لأن الأمواج والزوابع تحملها وتتلفها .

ويا للأسف والويل على النفس التى لا يكون فيها المسيح الربان الحقيقى، فإنها توجد فى بحر مرارة الظلمة المرعب وتلاطمها أمواج الشهوات وتصدمها وتضربها عواصف أرواح الشر وتنتهى بالهلاك .

الويل للنفس التى ليس لها المسيح ليفلّحهابعنايته لكى تأتى بثمار الروح الصالحة . لأن النفس إذ تبقى مقفرة قاحلة " وإذ تمتلئ بالأشواك والحسك تكون نهايتها حريق النار . ويا للأسف على النفس حينما لا يكون لها المسيح سيدًا ساكنًا فيها ، إذا أنها تكون مهجورة ومملوءة برائحة الشهوات الكريهة وتكون مسكنًا للإثم .

٣ ــ وكما أن الفلاح حينما يذهب لفلاحة الأرض ، ينبغى أن يأخذ معه الأدوات والملابس المناسبة للفلاحة ، هكذا المسيح الملك ــ وهو الزارع السماوى الحقيقى ــ حينما جاء إلى البشرية التى كانت مقفرة بسبب الخطية، فإنه لبس الجسد وحمل الصليب أداة له وهكذا فلّح النفس المقفرة وعمل فيها ونزع منها شوك وحسك أرواح الشر واقتلع زوان الخطية وأحرق بالنار كل أعشاب خطاياها . فإنه فلّحها بخشبة الصليب وزرع فيها فردوس الروح الفائق الجمال الذى يحمل كل ثمر حلو مقبول لدى الله صاحب النفس ومالكها .

٤ ــ وكما حدث فى مصر فى فترة الثلاثة أيام المظلمة ، أن الابن لم يكن يرى أبيه ، ولا الأخ أخاه ولا الصديق صديقه ، بسبب أن الظلمة غطتهم ، هكذا أيضًا حينما تعدى آدم الوصية وسقط من حالة مجده الأول وصار تحت سلطان روح العالم ، غطى حجاب الظلمة نفسه . ومنذ ذلك الوقت وإلى أن جاء آدم الأخير الذى هو الرب فإن الإنسان لم يكن يرى أباه السماوى الحقيقى ولا أمه الصالحة الرحيمة ، التى هى نعمة الروح ، ولا أخاه الحلو المحبوب الذى هو الرب يسوع ، ولا أصدقاءه وأقرباءه أى الملائكة القديسين الذين كان يفرح معهم سابقًا ويهلل ويعيد .

انفتاح العيون الداخلية :

ولكن ليس فقط إلى يوم أن جاء آدم الأخير بل وحتى إلى هذا اليوم فإن أولئك الذين لم تشرق عليهم " *شمس البر* " (ملاخى٤:٢)، أى **المسيح** ، **والذين لم تنفتح عيون نفسهم وتستنير بالنور الحقيقى ، لا يزالون تحت نفس ظلمة الخطية وتحت نفس تأثير الشهوات وهم تحت العقاب بعينه ، إذ ليس لهم إلى الآن عيون لينظروا بها الآب .**

٥ ــ ينبغى على كل واحد أن يعرف هذا الأمر ويتحقق منه ، إنه توجد عيون داخلية أعمق من هذه العيون الطبيعية ويوجد سمع أعمق من هذا السمع . وكما أن هذه العيون الجسدية تنظر وجه الصديق أو المحبوب وتتعرف عليه فإن عيون النفس المستحقة المؤمنة بسبب نوالها الاستنارة الروحية بنور الله ، فإنها تنظر الصديق الحقيقى الذى هو العريس المحبوب جدًا والحلو جدًا أى الرب ، وتتعرف عليه ، إذ تكون النفس مملوءة ومشمولة بإشراق الروح الممجد .

وهكذا إذ ترى بالعقل ذلك الجمال المُشتهى والذى لا يمكن التعبير عنه فإن النفس تُجرح بشهوة الحب الإلهى وتتجه إلى كل فضائل الروح وتسير فيها وهكذا تمتلك حبًا لا يُحدّ ولا يسقط للرب الذى تشتاق إليه .

صوت يوحنا المعمدان ـ وكرازة الرسل :

وماذا يمكن أن يكون أكثر غبطة من الصوت الخالد ليوحنا عندما يشير إلى الرب أمام عيوننا قائلاً : " *هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم* " (يو ٢٩:١).

٦ ــ حقًا " *من بين المولودين من النساء ليس أعظم من يوحنا المعمدان*" (مت١١:١١) فإنه هو تكميل الأنبياء وخاتمتهم جميعًا . كل الأنبياء تنبأوا عن الرب وأشاروا من بعيد إلى مجيئه ، أما يوحنا فتنبأ عن المخلص وأظهره أمام عيون الجميع صارخًا بصوتٍ عالٍ وقائلاً : " هوذا حمل الله " (يو ٢٩:١). فما أحلى وأجمل صوت ذلك الذى يظهر المخلص مباشرة ويعلنه مبشرًا به ! إنه لا يوجد أعظم من يوحنا فى مواليد الناس . " *ولكن الأصغر فى ملكوت السموات أعظم منه* " (مت١١:١١) أى المولودين من الله من فوق أى الرسل ، الذين نالوا باكورة الروح المعزى . لأنهم حُسبوا أهلاً لأن يكونوا شركاء معه فى الدينونة ، يجلسون معه فى عرشه . وهم قد جُعلوا محررين ومنقذين للناس . فتجدهم يشقون بحر القوات الشريرة ويخرجون نفوس المؤمنين ، وتجدهم فلاحين فى كرم النفوس . وتجدهم أصدقاء للعريس ، يخطبون النفوس للمسيح ، كما يقول الرسول : " *إنى خطبتكم لزوج واحد* " (٢كو٢:١١) وتجدهم يعطون الحياة

للناس . وبالاختصار تجدهم بطرقٍ كثيرة وأنواع مختلفة يخدمون الروح .
هذا هو الصغير الذى هو أعظم من يوحنا المعمدان .

٧ ــ وكما أن الفلاح يقود زوج البقر مربوطين بنير لكى يحرث الأرض ، هكذا الرب يسوع الفلاح الصالح الحقيقى يقود الرسل معًا اثنين اثنين وقد أرسلهم لكى يُفلّح ويحرث بهم أرض أولئك الذين يسمعون ويؤمنون حقيقةً . ولكن ينبغى أن نقول أيضًا إن ملكوت الله وكرازة الرسل ليست فى الكلمة التى تُسمع فقط ، مثل إنسان يعرف الكلمات ويستطيع أن يتكلم ويُسمّعها للآخرين ، بل إن الملكوت هو قوة وعمل الروح . وهذا ما حدث للأسف لبنى إسرائيل الذين كانوا يدرسون الكتب المقدسة وكان الرب هو موضوع دراستهم ولكن لعدم نوالهم الحق نفسه ، نُقل الميراث منهم إلى آخرين . هكذا أولئك الذين يشرحون كلمات الروح للغير ، بينما هم أنفسهم لا يملكون الكلمة بقوة الروح ، فإن الميراث يُنقل منهم إلى آخرين.
والمجد للآب والابن والروح القدس إلى الأبد . آمين .

العظة التاسعة والعشرون :

تدبيرات نعمة الله

"إن الله يعمل بتدبيرات نعمته فى جنس البشر بطريقتين ، قاصدًا أن يحصل فى النهاية على ثمرات نعمته " .

١ ــ إن حكمة الله ، لا نهاية لها وتفوق الفهم ولذلك فإنها تعمل بتدبيرات النعمة نحو جنس البشر بما يفوق الفهم ويفوق الفحص وذلك بطرق متنوعة لأجل امتحان إرادة الإنسان الحرة، حتى بذلك يظهر أولئك الأشخاص الذين يحبون الله بكل قلبهم والذين يحتملون بصبر كل نوع من الأخطار والأتعاب من أجل الله .

البعض ينالون النعمة ويتقدمون حالاً :

فالبعض تأتيهم نِعم ومواهب الروح القدس مقدمًا وهم يتقدمون حالاً فى الإيمان والصلاة ، بدون جهد أو عرق أو تعب وهم موجودون فى وسط العالم. ويعطيهم الله النعمة هكذا ليس باطلاً ولا فى غير وقتها ولا بمجرد المصادفة ، ولكنه يعطيها بحكمة تفوق الوصف وتفوق الفهم وذلك لكى يمتحن الاختيار وحرية الإرادة لأولئك الذين قد نالوا نعمة الله بهذه السرعة ، **وهل شعروا وقدروا الفائدة وأحسوا بصلاح الله وحلاوته التى أُظهرت حسب قياس النعمة الموهوبة لهم بدون أى مجهودات من جانبهم والتى حُسبوا أهلاً أن ينالوها، وفى مقابل هذه النعمة ينبغى أن يظهروا غيرة واجتهادًا ويركضون فى الميدان ويجاهدون ويحملون ثمر الإرادة والعزم والحب وأن يردوا للرب مقابل المواهب الروحية التى نالوها بأن يعطوا**

ذواتهم ويسلموها تمامًا لمحبة الرب ، وبأن يتمموا مشيئته وحدها وبأن يتخلوا تمامًا عن كل هوى جسدى .

البعض الآخر تتأخر عليهم النعمة :

٢ ــ وهناك آخرون ، الذين رغم انهم تركوا هذا العالم وتخلوا عنه بحسب الإنجيل ، ويصرفون وقتهم فى صلاة مستمرة وصوم وسهر وبقية الفضائل ، فإن الله لا يعطيهم النعمة فى الحال ولا الراحة وفرح الروح بل يتأنى ويؤخر موهبته لهم . وهذا يفعله الله ، ليس باطلاً ولا بدون قصد ولا مصادفة ، بل بحكمة تفوق الوصف ، لأجل امتحان إرادتهم ، **لكى يرى إن كانوا قد حسبوا الله أمينًا " *وحسبوا الذى وعد صادقًا* " (عب١١:١١)، أن يعطى الذين يسألون ويفتح باب الحياة لأولئك الذين يقرعون ، ولكى يرى إن كانوا بعد إيمانهم بكلمته بالحق ، هل يصبرون ويستمرون إلى النهاية فى ملء ثقة الإيمان والاجتهاد، يسألون ويطلبون ولا تخور قلوبهم أو يتراجعون ويكفون ، وبعدم إيمان وبدون رجاء يحتقرون الهدف ولا يثبتون إلى النهاية لأن الله قد أخر ميعاد موهبته ، وأيضًا لأجل امتحان إرادتهم وقصدهم .**

٣ ــ فإن الذى لا ينال سريعًا بسبب تأنى الله فإنه يشتعل شوقًا أكثر ويزداد رغبة فى الخيرات السماوية . ويزداد كل يوم اشتياقًا واجتهادًا ، ويزداد ركضًا وسعيًا ويزداد في كل فضيلة ويظهر جوعًا وعطشًا إلى ما هو صالح ولا يتعوق بسبب الإيحاءات التى تتحرك فى نفسه ، ولا يتحول إلى الاحتقار واليأس وعدم الصبر ، ومن الجهة الأخرى فإنه لا يسلم نفسه إلى الكسل تحت ستار التظاهر بالصبر قائلاً مثلاً : " فى يوم أو آخر سأحصل على نعمة الله " ومن هنا تغويه الخطية وتقوده إلى التغافل والإهمال.

ولكن مادام الرب فى تأخيره للموهبة إنما يتأنى بمحبة ممتحنًا إيمانه ومحبته ، فينبغى على الإنسان نفسه أن يكون أكثر حرصًا واجتهادًا ولا يكل أو يفشل بل يطلب عطية الله إذ أنه قدْ وثق فى نفسه أن الله صادق ولا يمكن أن يكذب ، وهو الذى وعد أن يعطى نعمته لأولئك الذين يطلبون بإيمان بكل صبر إلى النهاية .

أمانة الله وفحص النفس :

٤ ــ لأن الله أمين وصادق فى تعامله مع النفوس المؤمنة الأمينة ، أولئك " *الذين ختموا أن الله صادق* " (يو٣:٣٣) حسب الكلمة الصادقة . لذلك فبحسب هذه البصيرة الإيمانية فى داخلهم ، يفحصون نفوسهم ليروا إن كانوا ناقصين من جهتهم فى أى ناحية من النواحى : فى الجهد، فى السعى، فى الغيرة والاجتهاد ، أم فى الإيمان أم المحبة أو بقية اتجاهات الفضيلة ، وبفحصهم لنفوسهم بكل تدقيق فإنهم يغصبون أنفسهم بأقصى طاقة عندهم لكى يرضوا الرب ، إذ سبق أن آمنوا ووثقوا تمامًا أن الله إذ هو صادق وأمين لن يحرمهم من موهبة الروح إن ظلوا إلى النهاية يخدمون الرب ويعبدونه بكل اجتهاد وينتظرونه ، وأنهم سينالون النعمة السماوية الممنوحة لهم ، وهم لا يزالون فى الجسد وينالون الحياة الأبدية .

كل حبهم نحو الرب :

٥ ــ وهكذا فإنهم يحركون كل حبهم نحو الرب رافضين كل شئ آخر وناظرين إليه وحده برغبة كبيرة وجوع وعطش كثير . وينتظرون دائمًا قوة النعمة المُنعشة والمعزية. وهم لا يطلبون بإرادتهم تعزية وانعاشًا من أى شئ فى هذا العالم ولا يرتبطون به ، بل يرفضون دائمًا الإغراءات المادية

وينتظرون المعونة والحماية والتأييد من الله وحده ، **وفى هذه الحالة يكون الرب نفسه حاضرًا بطريقة خفية مع هذه النفوس التى تأخذ على عاتقها هذا النوع من الاجتهاد وعزم القلب والاحتمال ، ويساعدهم ويحفظهم ، ويثبتهم فى كل ثمر الفضيلة .**

ورغم أنهم يجدون أنفسهم معرضين للصراع ورغم أنهم لم يتزينوا بعد بيقين الحق ولم تظهر لنفوسهم حالة الحصول على نعمة الروح وانعاش الموهبة السماوية ولم يختبروها اختبارًا كاملاً بكل ملئها ، وهذا بحسب حكمة الله التى تفوق التعبير وأحكامه التى تعلو الفحص ، التى بها يمتحن النفوس المؤمنة بطرق متنوعة بقصد أن يُحضرهم إلى محبة كاملة بملء حريتهم واختيارهم .

فإنه توجد حدود ومقاييس ومراحل للاختيار الحر ولقصد المحبة ولاتجاه العقل لطاعة كل وصاياه المقدسة بأقصى ما هو مستطاع ، وحينما تملأ النفوس مكيال محبتها وطاعتها فإنها تُحسب أهلاً للملكوت والحياة الأبدية .

ليس عند الله محاباة :

٦ ـــ لأن الله عادل وعادلة هى أحكامه ، وليس عنده محاباة ، ويُحاسب كل واحد بحسب النِعم المختلفة التى قد منحها للبشر ـــ سواء كانت خاصة بالجسد أو بالروح ، أو كانت خاصة بالمعرفة أو الفهم أو التمييز ؛ وهو يطلب ثمار الفضيلة على حسب ما أعطى كل واحد، وهو سيعطى كل واحد حسب ما يستحقه بحسب أعماله فى يوم الدينونة. إنه سيأتى كما

يخبرنا الكتاب " *وسيجازى كل واحد حسب أعماله* " (رو٢:٦) والأقوياء يُعذبون عذابًا شديدًا لأن " *الرحمة تغفر للمتواضعين*" (الحكمة٦:٦). ويقول الرب : " أما ذلك العبد الذى يعلم إرادة سيده ولا يستعد ولا يفعل بحسب إرادته فيُضرب كثيرًا ، ولكن الذى لا يعلم ويفعل ما يستحق ضربات يُضرب قليلاً ، فكل من أُعطى كثيرًا يُطلب منه كثير ومن يودعونه كثيرًا يطالبونه بأكثر " (لو١٢:٤٧و٤٨). ولكن المعرفة والفهم هى أنواع مختلفة، سواء كانت بحسب النعمة وموهبة الروح السماوية أو بحسب الذكاء والتمييز الطبيعى، وبحسب التعلم من الكتب الإلهية. وكل إنسان يكون مسئولاً عن ثمار الفضيلة بحسب نسبة ما مُنح له من الله سواء ما مُنح له طبيعيًا أو ما أُعطى له بنعمة الله .

لذلك فكل إنسان هو بلا عذر أمام الله فى يوم الدينونة ، لأن كل شخص سيُطلب منه أن يجيب عن إرادته وقصده بحسب ما قد عرفه عن ثمار الإيمان والمحبة وكل فضيلة أخرى فى علاقته بالله سواء كانت معرفته عن طريق كلمة الله أو طريق سماعها .

٧ ــ إن النفس ألأمينة المُحبة للحق تتطلع إلى البركات الأبدية المحفوظة للأبرار ، وإلى المعونة التى لا يُنطق بها ، أى معونة النعمة الإلهية التى تحلّ علينا . ولذلك تعتبر نفسها وكل جهدها وآلامها وتعبها أنها ليست شيئًا بالمقارنة بمواعيد الروح التى تفوق الوصف .

ومثل هذا الإنسان هو المسكين بالروح الذى أعلن الرب أنه مغبوط ومُطوب ، هذا هو الذى يجوع ويعطش إلى البر (مت٥:٣،٦) هذا هو المنسحق القلب .

وأولئك الذين يأخذون على عاتقهم هذا القصد ، والعزم والاجتهاد والتعب والاشتياق إلى الفضيلة ويثبتون فى هذا إلى النهاية ، فإنه يُوهب لهم أن يحصلوا على الحياة والملكوت الأبدى بالحق . لذلك فلا يتشامخ إذن أحد من الاخوة ، على أخيه ، أو يرتئى فى نفسه رَأيًا منتفخًا ، بتأثير خداع الخطية لكى يفكر قائلاً مثلاً : " إنى قد حصلت على موهبة روحية " لأنه لا يليق بالمسيحيين أن يفكروا هكذا فأنت لا تعرف ماذا سيكون حاله فى الغد وأنت تجهل ماذا ستكون نهايته وماذا تكون نهايتك ، بل ليحترس كل واحد لنفسه ويمتحن ضميره فى كل حين ويختبر حركات قلبه من جهة اجتهاده وسعيه من الداخل بكل قلبه إلى الله ويتطلع نحو الهدف الكامل هدف الحرية والتحرر من الشهوات والحصول على سلام الروح ، وليكمل سعيه بدون توقف وبلا تكاسل بحيث لا يتكل أبدًا على أى عطية روحية ولا على أى بر حصل عليه .

والمجد والكرامة والسجود للآب والابن والروح القدس إلى الأبد آمين.

العظة الثلاثون :

الولادة من الروح القدس

" إن النفس التى تريد الدخول إلى ملكوت الله ، ينبغى أن تُولد من الروح القدس . وكيفية تحقيق ذلك " .

فاعلية كلمة الله :

١ ـــ أولئك الذين يسمعون الكلمة يجب عليهم أن يعطوا برهان عمل الكلمة وفعلها فى نفوسهم . فكلمة الله ليست فارغة بل لها عملها وفعلها الخاص فى النفس . لهذا السبب تُسمى الكلمة أحيانًا " عمل أو صنع " وذلك نظرًا " للعمل " الذى توجده فى السامعين . فليت الرب ينعم بعمل الحق فى السامعين لكيما توجد الكلمة مثمرة فيهم. فكما أن الظل يسير أمام الجسد ، ومع ذلك فالظل يظهر الجسد ، بينما الجسد نفسه هو الحقيقة وليس الظل ، هكذا الكلمة هى مثل ظل حق المسيح . ولكن الكلمة تسير قدام الحق (فالكلمة تظهر حقيقة المسيح).

الولادة الجسدية والولادة من الروح :

إن الآباء الذين على الأرض يلدون أولادًا من طبيعتهم ، من جسدهم ونفسهم وبعد ولادتهم يربونهم بعناية واجتهاد لأنهم أولادهم ، إلى أن يصيروا رجالاً كاملين ، وخلفاء ووراثين لهم . فإن الهدف من كل عناية الوالدين منذ البداية هو أن يكون لهم أولادًا وورثة ، فإذا لم يلدوا أولادًا يكون عندهم حزن وغمّ عظيم ، أما إذا صار لهم أولاد فإنه يصير لهم فرح عظيم . وأيضًا فإن أقرباءهم وجيرانهم يفرحون كذلك معهم .

٢ ــ وبنفس الطريقة فإن ربنا يسوع المسيح إذ اهتم بخلاص البشر استخدم منذ البداية كل تدبير عنايته بواسطة الآباء ، والبطاركة والناموس والأنبياء ، وفى النهاية جاء هو بنفسه واستهان بعار الصليب واحتمل الموت . **وكان كل جهده وتعبه هذا وعنايته إنما من أجل أن يلد من ذاته ، ومن طبيعته أولادًا بالروح ، إذ سُرّ بأنهم يجب أن يولدوا من الروح من فوق ، أى من نفس لاهوته** . وكما أن أولئك الآباء الذين لا يلدون أولادًا يحزنون ، كذلك فإن الرب الذى أحب جنس البشر لأنهم صورته ، أراد أن **يلدهم من زرع لاهوته الخاص ، ولذلك فإن أى واحد منهم لا يأتى إلى هذه الولادة لكى يُولد من بطن روح اللاهوت ، فإن حزن المسيح يكون عظيمًا بعد كل الآلام التى عاناها لأجلهم واحتملها كثيرًا لكى يخلصهم .**

٣ ــ **لأن الرب يريد أن ينال كل الناس امتياز هذه الولادة** . فهو مات لأجل الكل ودعا الكل إلى الحياة . **ولكن الحياة هى الولادة من فوق من الله وبدون هذه الولادة لا تستطيع النفس أن تحيا**. كما يقول الرب " *إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله* " (يو٣:٣).

وهكذا ، فمن الناحية الأخرى ، **فإن كل الذين يؤمنون بالرب ويأتون ويقبلون امتياز هذه الولادة ، فإنهم يكونون سبب فرح وسرور عظيم فى السماء لوالديهم الذين ولدوهم** ، وكل الملائكة والقوات المقدسة أيضًا تفرح بالنفس التى تُولد من الروح وتصير هى نفسها روحًا .

فإن هذا الجسد هو مثال ومشابه للنفس ، والنفس هى صورة الروح ، وكما أن الجسد بدون النفس ميت ، ولا يستطيع أن يفعل شيئًا بالمرة ، كذلك فإن بدون النفس السماوية ــ أى بدون الروح الإلهى تكون النفس

ميتة عن الملكوت ولا قدرة لها على أن تعمل شيئًا من أمور الله بدون الروح .

رسم صورة المسيح فى النفس بالتفرس فيه دائمًا :

٤ ـــ كما أن الرسام يتفرس فى وجه الملك أولاً ثم بعد ذلك يرسمه، وحينما يكون وجه الملك متجهًا نحو الرسام الواقف أمامه لكى يرسمه فحينئذٍ يرسم الصورة بسهوله وتكون حسنة جدًا ، ولكن إذا حوّل الملك وجهه بعيدًا لا يستطيع الرسام أن يرسم ، لأن الوجه ليس فى مواجهته ، **كذلك يفعل المسيح ـــ الفنان الصالح ـــ فى أولئك الذين يؤمنون به ويتطلعون إليه ويُثبّتون نظرهم فيه دائمًا . فإنه حالاً يرسم إنسانًا سماويًا على صورته . فمن روحه ومن جوهر النور نفسه ـــ النور غير الموصوف ـــ يرسم صورة سماوية ، وينعم عليها بعريسها الصالح الذى يفيض بالنعمة والجمال** ، فإن كان الإنسان لا ينظر إليه ويتفرس فيه دائمًا ، ويغفل كل شئ آخر ، فإن الرب لا يرسم صورته بواسطة نوره الخاص . **لذلك ينبغى أن ننظر إليه ونتفرس فيه، ونؤمن به ونحبه ، ونرذل كل شئ غيره ، ونأتى أمامه لكيما يرسم صورته السماوية ، ويرسلها إلى داخل نفوسنا ، وهكذا إذ نلبس المسيح ، فإننا ننال الحياة الأبدية ونحصل على يقين تام ـــ هنا ومنذ الآن ـــ وندخل إلى الراحة .**

٥ ـــ وكما أن العملة الذهبية إن لم تُطبع عليها صورة الملك لا يتم التعامل بها فى السوق ، ولا تُخزن فى الخزانة الملكية ، بل تُطرح خارجًا، كذلك النفس إن لم تحصل على صورة الروح السماوى فى النور الذى لا يُنطق به ، أى لن **ينطبع عليها المسيح نفسه** ، لا تكون لا ثقة للخزائن السماوية ، بل يطرحها جانبًا تجار الملكوت المهرة ، الذين هم الرسل .

فإن ذلك الذى دُعى ولم يكن لابسًا لباس العرس طُرد خارجًا كغريب إلى الظلمة الخارجية ، لكونه لم يكن لابسًا الصورة السماوية . هذه هى علامة الرب وختمه المطبوع على النفوس ــ أى روح النور الذى لا يُنطق به ، وكما أن الإنسان الميت هو بلا نفع ولا فائدة لأهل المكان ، لذلك فإنهم يحملونه خارج المدينة ويدفنونه ، هكذا النفس التى لا تحمل الصورة السماوية ، صورة النور الإلهى التى هى حياة النفس ، فإن هذه النفس تُطرد خارجًا ، لأن النفس الميتة هى بلا فائدة لمدينة القديسين ، لأنها لا تحمل الروح الإلهى المنير . فكما أنه فى هذه العالم ، تكون النفس هى حياة الجسد **هكذا ففى العالم الأبدى السماوى فإن حياة النفس هى روح اللاهوت.** وبدون حياة الروح فإن النفس تكون ميتة ولا نفع فيها لسكان العالم السماوى .

طلب الروح القدس حياة النفس :

٦ ــ لذلك من يريد أن يؤمن بالرب ويأتى إليه ينبغى أن يطلب ويتوسل لأجل نوال الروح الإلهى هنا على الأرض ، فإن ذلك الروح هو حياة النفس ولهذا السبب جاء الرب إلى العالم ، لكى ما يعطى الحياة للنفس هنا على الأرض أى يعطيها روحه . لذلك يقول " *مادام لكم النور آمنوا بالنور، يأتى ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل* " (يو١٢:٣٦، ٩:٤). لذلك فأى إنسان لا يطلب الحياة بينما هو على الأرض ولا ينال حياة لنفسه التى هى نور الروح الإلهى ، فإنه حينما يخرج من الجسد يُنقل بعيدًا إلى مناطق الظلمة التى على اليسار ولا يدخل ملكوت السموات ، إذ تكون نهايته فى الجحيم مع إبليس وملائكته (مت٢٥:٤١).

وكما أن الذهب والفضة إذا أُلقيا فى النار يصيران أكثر نقاوة وصفاء ولا يلحقهما ضرر، (مثلما يحدث للخشب أو القش) بل هما أى الذهب والفضة المحميان بالنار يلتهمان كل ما يقترب منهما ، إذ يصيران هما أيضًا نارًا ــ **هكذا النفس فإنها بطول إقامتها فى نار الروح وفى النور الإلهى لا يصيبها أذى من أحد الأرواح الشريرة** بل إن اقترب أحدها منها يحترق بنار الروح السماوية .

وكما أن الطير إذا طار عاليًا لا يقلق ولا يخاف من الصيادين أو الوحوش المفترسة لأنه فى العلو يأمن منهم جميعًا ، **كذلك النفس تنال أجنحة الروح وتطير إلى الأعالى السماوية فإنها تكون فوق كل شئ** ، وتهزأ بجميع أعدائها الذين هم تحتها .

٧ــ وفى اليوم الذى شق فيه موسى البحر، عبر إسرائيل حسب الجسد، من تحته، وأما هؤلاء فلكونهم أبناء الله فإنهم يسيرون فوق بحر المرارة، بحر القوات الشريرة. إن جسدهم ونفسهم قد صارت هى بيت الله.

آدم والإنسان الجريح ، والمائت المنتن :

وفى ذلك اليوم الذى سقط فيه آدم جاء الله ماشيًا فى الجنة وإنه بكى حينما رأى آدم وكأنه قال " بعد هذه الخيرات التى أعطيتك، ما هذه الشرور التى ارتكبت ، وبعد كل المجد أى عار أنت تلبسه الآن ، كم أنت مظلم الآن وقد صار منظرك قبيحًا ، وأى فساد أنت فيه . وبعد هذا النور أى ظلام قد غطاك ! " ...

وحينما سقط آدم ومات عن الله ، حزن عليه خالقه، والملائكة وكل القوات والسموات والأرض وكل المخلوقات ناحت على موته وسقوطه ، لأنهم رأوا ذلك الذى أُعطى لهم ليكون ملكًا عليهم ، قد صار عبدًا لقوة

معادية شريرة . ولذلك اكتسى آدم بالظلمة فى نفسه ، ظلمة مرة وشريرة لأنه صار خاضعًا لرئيس الظلمة. هذا هو الذى جرحه اللصوص، "*وتركوه بين حى وميت بينما كان نازلاً من أورشليم إلى أريحا* " (لو ١٠: ٣٠).

٨ ــ ولعازر أيضًا ، الذى أقامه الرب ، الذى أنتن حتى لم يقدر أحد أن يقترب من القبر ، كان رمزًا إلى آدم ، الذى صارت نفسه فى عفونة ، وامتلأت سوادًا وظلامًا .

أما أنت ، فحينما تسمع عن آدم ، وعن الإنسان الذى جرحه اللصوص وعن لعازر ، فلا تدع عقلك يذهب بعيدًا إلى الجبال، بل تعال إلى باطنك إلى داخل نفسك ، لأنك أنت نفسك تحمل نفس الجروح، وفيك نفس العفونة، ونفس الظلام. فنحن جميعًا أبناء آدم ومن نفس الجنس المُظلم ، وجميعًا مشتركون فى نفس النتانة . **فالداء الذى عانى منه آدم ، نعانى منه نحن جميعًا الذين من زرع آدم** . لأن الداء الذى حلّ بنا هو الذى يقول عنه إشعياء "*لا يوجد إلاّ جراح وقروح وضربات ملتهبة لا تُشفى ، ولا يمكن أن تُعصب ، أو تُداوى أو تلين بالزيت* " (إش ١: ٦س).

لذلك فالجرح الذى جرحنا به لم يكن له علاج ، **والرب وحده هو الذى استطاع أن يشفيه . لهذا السبب جاء الرب بنفسه** ، لأنه لم يستطع أحد من الأقدمين ، ولا الناموس نفسه ولا الأنبياء ، أن يقوموا بشفاء هذا الجرح . بل الرب وحده بمجيئه إلينا شفى جرح النفس ، ذلك الجرح العديم الشفاء .

قبول المسيح ليدخل ويستريح فينا ونستريح فيه :

٩ ــ فلنقبل إذًا إلهنا وربنا ــ الشافى الحقيقى ــ الذى يستطيع وحده أن يأتى ويشفى نفوسنا ، بعد أن تعب وتألم كثيرًا جدًا لأجلنا . فهو يقرع دائمًا أبواب قلوبنا ، لكى نفتح له ، لكى يدخل إلى داخلنا ويستريح فى نفوسنا ،

ولكى نغسل وندهن قدميه ، ولكى يجعل هو إقامته فينا. فالرب ـــ فى تلك الفقرة من الإنجيل (لو٧:٤٤) يوبخ الرجل الذى لم يغسل قدميه. وفى موضع آخر يقول " *هأ أنا واقف على الباب وأقرع ، إن فتح لى أحد فإنى أدخل إليه* " (رؤ٣:٢٠) فلأجل هذه الغاية احتمل هو آلامًا كثيرة ، مقدمًا جسده للموت ، ليفتدينا من العبودية ، لكيما يأتى إلى نفوسنا ويجعل إقامته فيها . فلهذا السبب يقول الرب للذين عن يساره ، فى يوم الدينونة ، والذين يُرسلون إلى جهنم مع الشيطان: " *كنت غريبًا فلم تأوونى ، جوعانًا فلم تطعمونى عطشانًا فلم تسقونى* " (مت٢٥:٤٢،٤٣). **فإن طعامه وشرابه وكساءه ومأواه وراحته ، هى فى نفوسنا ، لذلك فإنه دائمًا يقرع طالبًا الدخول إلينا . فلنقبله إذن وندخله إلى داخل نفوسنا ، لأنه هو طعامنا وشرابنا وحياتنا الأبدية ، وكل نفس لا تقبله الآن فى داخلها وتعطيه راحة ، أو بالحرى لا تجد راحة فيه ، فليس لها ميراث فى ملكوت السموات مع القديسين ، ولا تستطيع الدخول إلى المدينة السماوية .**

ولكن أنت يارب يسوع المسيح أدخلنا إلى ملكوتك ، ممجدين أسمك مع الآب والروح القدس إلى الأبد . آمين .

❖❖❖❖❖❖❖

العظة الواحدة والثلاثون :

تغيير الذهن والصلاة الحقيقية

" فى أنه ينبغى أن المؤمن يتغير فى ذهنه ، ويجمع أفكاره كلها فى الله . فإنه فى هذا تتركز كل خدمة الله " .

تغيير القلب :

١ ــ ينبغى على المؤمن أن يتوسل إلى الله لكى يغيّره فى كل اتجاهاته وأغراضه بتغيير قلبه ، من المرارة إلى الحلاوة وأن يتذكر كيف شفى الرجل الأعمى ، وكيف حصلت المرأة نازفة الدم على الشفاء بلمسها ثوب المسيح وهو الذى سبق أن غيّر طبيعة الأسود ، وحول طبيعة النار ، فإن الله هو الصلاح الذى لا مثيل له والخير الأعلى ، وينبغى أن تجمع فيه ونحوه عقلك وأفكارك ولا تفكر فى شئ آخر ، سوى أن تنتظره وتنظر إليه برجاء وثقة.

٢ ــ لذلك فلتكن النفس مثل ذلك الإنسان الذى يجمع معًا الطفال الضالين ، وهكذا تجمع النفس الأفكار التى شتتتها الخطية وتؤنبها بشدة . وتقود الأفكار للرجوع إلى بيتها ، وهى تنتظر الرب دائمًا بالصوم والمحبة لكى يأتى إليها ويجمع الأفكار حقًا . وحيث إن المستقبل غير واضح لذلك ينبغى على المؤمن أن يضع رجاءه بالأكثر فى قائده ، ويكون مملوءً بالرجاء الصالح ، ويتذكر كيف أن راحاب وهى تعيش بين الغرباء آمنت بإله إسرائيل وحُسبت مستحقة أن تشترك فى امتياز شعب الله القديم ، بينما الإسرائيليون أنفسهم تحوّلوا بعواطفهم ورجعوا بقلوبهم إلى مصر . **لذلك فكما أن راحاب لم يصبها أى أذى وهى تسكن بين الغرباء ، بل إن إيمانها أعطاها نصيبًا فى ميراث الإسرائيليين، هكذا الخطية لن تؤذى**

أولئك الذين بالرجاء والإيمان ينتظرون الفادى الذى حينما يأتى إليهم فإنه يغيّر أفكار النفس ويجعلها إلهية وسماوية ، وصالحة ، ويعلم النفس الصلاة التى بلا تشتت أو زيغان. أنظر قول الرب " *لا تخف أنا أسير أمامك والهضاب أمهد ، أكسر مصراعى النحاس ومغاليق الحديد أقصف* " (إش٤٥:٢). ويقول أيضًا " *أحذر أن يكون فى قلبك فكر شر خفى ، ولا تقل فى قلبك هؤلاء الشعوب أكثر منى وأقوى* " (تث١٥:٩، ٧:١٧).

٣ ــ فإذا لم تنحل نفوسنا بالتكاسل ، وبإعطاء مراعى عقولنا لأفكار الخطية المشوشة ، بل بالعكس نجذب عقولنا بإرادتنا ونغتصب أفكارنا إلى الرب ، فإنه بلا شك يأتى إلينا ويجمعنا إليه بالحق .

انتظار الرب فى الداخل :

إن كل ما يرضى الله وكل خدمة تُقدم له إنما هى فى الأفكار . لذلك اجتهد أن ترضى الرب ناظرًا إليه كل حين ومنتظرًا إياه فى داخلك ، وفتش عنه فى أفكارك واغتصب إرادتك وقصدك لتتجه وتمتد دائمًا نحوه وحينئذ ستنظر كيف يأتى إليك ويصنع عندك منزلاً (يو١٤:٢٤). فبقدر ما تجمع عقلك لتطلبه فإنه يتنازل إليك بحنان أكثر جدًا وصلاح فائق ورحمة ويأتى إليك ويعطيك راحة وبهجة ، إنه يقف ناظرًا إلى عقلك وأفكارك ورغباتك، ويرى كيف تطلبه ، هل تطلبه حقيقة بكل نفسك بلا تغافل وبلا إهمال ؟

٤ ــ وحينما ينظر غيرتك فى طلبه، فإنه حينئذٍ يُظهر نفسه ويظهر لك، ويعطيك معونته الخاصة ويجعل لك النصرة وينقذك من أعدائك. **وهو إذ**

ينظر أولاً كيفية طلبك له وانتظارك إياه بكل قلبك برجاء لا ينقطع نحوه ، فإنه حينئذ يعلمك ويعطيك الصلاة الحقيقية والمحبة الحقيقية التى هى الرب نفسه الذى يصير لك فى داخلك كل شئ: الفردوس، وشجرة الحياة، واللؤلؤة الكثيرة الثمن، والإكليل، والبانى، والزارع، والمتألم، والذى لا يتألم، والإنسان، والإله، والكرمة، والماء الحى، والعريس، والمحارب، والسلاح، المسيح الكل فى الكل .

وكما أن الطفل لا يعرف أن يعتنى بنفسه أو يعمل أموره بنفسه ولكنه يتطلع فقط إلى أمه ويصرخ ويبكى إلى أن تتحرك إليه بحنان وتحمله ، هكذا النفوس المؤمنة فإنها تضع رجاءها فى الرب وحده وتنسب كل بر إليه وحده. وكما أن **الغصن يجف بدون الكرمة، وهكذا أيضًا من يشتهى أن يتبرر بدون المسيح. وكما أن السارق واللص هو الذى لا يدخل من الباب بل يطلع من موضع آخر، هكذا أيضًا الإنسان الذى يبرر نفسه بدون الذى يبرر.**

لنقدم كل نياتنا وأفكارنا :

٥ ــ لذلك فلنأخذ جسدنا هذا ونجعله مذبحًا ، ونضع عليه كل نياتنا وأفكارنا ، ونتوسل إلى الرب أن يرسل من السماء النار العظيمة غير المنظورة فتلتهم المذبح وكل ما عليه . ويسقط جميع كهنة البعل الذين هم القوات المضادة . وحينئذٍ سنرى المطر الروحانى آتيًا إلى النفس مثل خطوة إنسان ، وهكذا يتحقق فينا وعد الله كما هو مكتوب بالنبى " *سأقيم وأبنى أيضًا خيمة داود الساقطة وسأبنى ردمها وأقيمها ثانية* " (أع١٥: ١٦) حتى أن الرب برحمته ومحبته يُشرق على النفس التى تسكن فى الليل والظلمة وفى سكر الجهالة ، لكيما تستيقظ وتفيق إلى التعقل وتسير بلا تعثر ،

وتعمل أعمال النهار والحياة . فإن النفس تتغذى وتنمو من المصدر الذى نأكل منه ، إما من العالم أو من روح الله ، والله نفسه يجد غذاء فى داخلها، ويحل فيها ويحيا ويجد راحة ويسكن فيها .

٦ ــ وبالاختصار ، فإن كل واحد يمكنه ، إذا شاء أن يختبر نفسه ويرى من أين هو يأخذ غذاءه وتنعمه ، وأين هو يعيش ، وفى أى حالة يجد نفسه ، وهكذا إذ يدرك ذلك ويفهمه ويحصل على تمييز دقيق وحكم صحيح ، يمكنه أن يسلم نفسه تمامًا للتحرك فى اتجاه ما هو صالح .

انتبه لنفسك وأطلب قوة فعل المسيح :

وحينما تكون فى الصلاة ، فانتبه إلى نفسك ، ولاحظ أفكارك والحركات التى تتحرك فيك ، من أين تأتى ؟ هل هى من الله أم من العدو ؟ ومن الذى يمد قلبك بالغذاء ، هل هو الرب أم ولاة العالم الذين لهذا الدهر ؟ وحينما تكملين، أيتها النفس ، هذا الامتحان وتعرفيه ، فتوسلى إلى الرب برغبة واجتهاد لكى تحصلى على الغذاء السماوى والنمو ، وعلى قوة فعل المسيح بحسب القول المكتوب " *إن سيرتنا هى فى السموات* " (فى٣:٢٠). وليس ذلك فى شكل أو رمز كما يتخيل البعض .

وأنظر ، عقل وفهم أولئك الذين لهم فقط صورة التقوى ، فإن فكرهم مثل العالم. وأنظر إلى تحرك ميولهم ، وتموج وتذبذب قصدهم وفكرهم غير الثابت وخوفهم وفزعهم، بحسب القول المكتوب " *بالأنين والرعب تكون على الأرض* " (تك٤:١٢ السبعينية)، وبحسب عدم إيمانهم وارتباك أفكارهم المضطربة فإنهم يتقلبون كل ساعة مثل بقية الناس فى العالم .

مثل هؤلاء الأشخاص يختلفون عن العالم فى الشكل الخارجى فقط ، ولكن ليس فى الفكر، ويختلفون عن العالم فقط فى النظام الجسدى الذى للإنسان الخارجى، بينما فى القلب والفكر هم ينجذبون فى كل الاتجاهات التى فى العالم. وهم مربطون بالرباطات الأرضية والهموم غير المثمرة ولم يحصلوا على السلام من السماء فى قلوبهم كما يقول الرسول: " *يملك فى قلوبكم سلام الله* " (كو٣:١٥). **هذا السلام الذى يملك على عقول المؤمنين ويجددها فى محبة الله ومحبة كل الاخوة** . والمجد والسجود للآب والابن والروح القدس إلى الأبد آمين .

العظة الثانية والثلاثون :

ثوب المجد الآن وفى القيامة

" إن مجد المسيحيين يسكن منذ الآن فى نفوسهم ، وسيظهر فى وقت القيامة ويمجد أجسادهم بقدر إيمانهم وقداستهم " .

استنارة سماوية :

١ ــ توجد لغات مختلفة فى هذا العالم. كل أمة لها لغة خاصة بها . وأما المسيحيون فإنهم يتعلمون لغة واحدة جديدة، وجميعهم يتهذبون بحكمة واحدة هى حكمة الله ، وليست حكمة هذا العالم ولا هذا الدهر الزائل. وعندما يسير المسيحيون فى هذه الخليقة الجديدة فإنهم ينالون استنارة سماوية جديدة وأمجادًا وأسرارًا يحصلون عليها من رؤية الأشياء الظاهرة التى يبصرونها بحواسهم.

هناك أنواع مختلفة من الحيوانات الأليفة ، مثل الحصان والثور وكل منها له جسده وصوته الخاص به. هكذا أيضًا بين الحيوانات المتوحشة ، فالأسد له جسده الخاص به وصوته المتميز. وهكذا الإيل أيضًا. و بين الحيوانات الزاحفة توجد أنواع كثيرة. وهكذا أيضًا بين الطيور توجد أنواع من الأجسام. فجسد النسر وصوته نوع ، وجسم الصقر وصوته نوع آخر . وهكذا أيضًا توجد نفس الاختلافات والأنواع فى البحر فتجد أجسام كثيرة غير متشابهة. وكذلك فى الأرض توجد أنواع بذور كثيرة وكل بذرة لها ثمرتها الخاصة . وتوجد أشجار كثيرة بعضها كبير وبعضها صغير وتعطى محاصيل مختلفة، وكل نوع من الثمار له طعم ومذاق مخصوص . وهناك أيضًا الأعشاب وهى أنواع مختلفة كثيرة، فالبعض منها معروف

بنفعه للعلاج والشفاء ، والبعض الآخر يعطى فقط رائحة طيبة . ولكن كل صنف من الأشجار يخرج من داخله ما يكسوه من الخارج وهو ما تنظره العين أى الأوراق والزهور والثمار. وبالمثل البذور التى تخرج من الداخل ما يكسوها وهو ما نراه بعيوننا. وكذلك السوسن (الزنابق) أيضًا تنتج من داخلها كساءها الذى يزين الأرض .

الثوب السماوى :

٢ ــ هكذا أيضًا المسيحيون الذين حُسبوا أهلاً منذ الآن فى هذه الحياة أن يحصلوا على الثوب السماوى ، فإنهم يحملون ذلك الثوب ساكنًا فى داخل نفوسهم ، وحينما تنحل هذه الخليقة الحاضرة بحسب تعيين الله وعلمه السابق وتزول السماء والأرض فإن ذلك الثوب السماوى الذى كان يكسو نفوسهم منذ الآن ويمجدها والذى يمتلكونه فى داخل قلوبهم ، هذا الثوب نفسه سوف يكسو ويمجد أيضًا أجسادهم العارية ، التى تقوم من القبور ، الأجساد التى تقوم فى ذلك اليوم مكتسية بالموهبة السماوية غير المنظورة وذلك الثوب السماوى الذى يناله المسيحيون فى هذه الحياة منذ الآن .

وكما أن الغنم والجمال ، حينما تجد حشيشًا فإنها تجرى إليه بسرعة وشراهة وتأكله وتخزن منه غذاء فى داخلها ، وفى وقت الجوع تسترجع المخزون من معدتها وتمضغه وتجتره وبذلك تتغذى من الطعام الذى سبق أن اختزنته ، هكذا أولئك الذين يغتصبون ملكوت السموات وقد ذاقوا الطعام السماوى ويعيشون فى الروح فإنهم فى وقت القيامة ينالون ذلك الطعام عينه ليغطى ويدفئ كل أعضائهم.

٣ ــ فكما تحدثنا عن أنواع من البذور ، وأن كثير منها يُزرع فى نفس الأرض وينتج أنواعًا مختلفة من الثمار . وهكذا أيضًا نفس الأمر بالنسبة

للأشجار . فالبعض منها كبير والبعض صغير ولكن أرضًا واحدة تجمع جذورها جميعًا . هكذا أيضًا الكنيسة السماوية فهى واحدة ولكن بها أعداد لا تُحصى ، وكل شخص فيها يتزين بمجد الروح بطريقة فريدة خاصة به لأنه كما أن الطيور تُخرِج من أجسادها غطاء لها وهو ريشها إلا أنه توجد اختلافات كبيرة بين الطيور نفسها . فالبعض منها يطير قريبًا من الأرض بينما البعض الآخر يطير عاليًا جدًا فى الهواء . أو كما أن السماء واحدة ولكنها تحوى نجومًا كثيرة البعض منها أشد لمعانًا وإضاءة وبعض منها كبير والبعض الآخر صغير ، إلاّ أنها جميعها موجودة ثابتة فى نفس السماء الواحدة. هكذا أيضًا القديسون فإنهم متأصلون فى سماء واحدة هى سماء اللاهوت ولكن بطرق متنوعة ، وهم متأصلون أيضًا فى الأرض غير المنظورة . هكذا أيضًا الأفكار التى تأتى إلى البشر ، فهى مختلفة ، ولكن الروح ، إذ يأتى إلى القلب فإنه يَصنع فكرًا واحدًا ، فإن الذين هم فوق والذين هم أسفل هم تحت تدبير وقيادة روح واحد .

الظل والحقيقة :

٤ ــ ولكن ما هو معنى الحيوانات "*المشقوقة الظلف*" (لا١١:٣) حيث إنها تسير وتجرى بسرعة بواسطة ظلفيها، وهى ترمز لأولئك الذين يسلكون باستقامة فى الشريعة . ولكن كما أن ظل الجسد يصدر من الجسد ولكنه لا يستطيع أن يتمم أى وظيفة من وظائف الجسد ــ فإن الظل لا يستطيع أبدًا أن يضمد الجروح أو يعطى الطعام أو يتكلم ــ ومع ذلك فهو صادر من الجسد نفسه وهو يشير مقدمًا إلى مجئ الجسد ، هكذا أيضًا الناموس القديم هو ظل للعهد الجديد (كو٢:١٧). والظل يُظهر الحقيقة مقدمًا ، ولكنه لا يملك خدمة الروح . فإن موسى ، لا يستطيع بالجسد أن

يدخل إلى القلب وينتزع ثياب الظلمة الدنسة ، ولا يستطيع أن يلاشي ويحل قوة الظلمة الخبيثة إلاّ روح من روح ونار من نار . فالختان فى ظل الناموس يشير إلى اقتراب مجئ ختان القلب الحقيقى . والاغتسال والمعمودية تحت الناموس هى ظل للأمور الحقيقية ، فإن معمودية الناموس كانت تغسل الجسد ، ولكن هنا الآن توجد معمودية النار والروح التى تُطهر وتغسل العقل المدنس .

العهد القديم والعهد الجديد :

٥ ــ وهناك (فى الناموس) كاهن " *مُحاط بالضعف* " (عب٥:٢) كان يدخل إلى الأقداس مقدمًا الذبائح عن نفسه وعن الشعب ، وأما هنا الآن فرئيس الكهنة الحقيقى ، المسيح ، قد دخل مرة واحدة إلى الأقداس غير المصنوعة بأيدى وإلى المذبح الذى فوق، وهو مستعد لتطهير أولئك الذين يسألونه ولتطهير الضمير الذى تدنس . فهو يقول " *وسأكون معكم إلى إنقضاء الدهر* " (مت٢٨:٢٠).

وكان رئيس الكهنة له على صدره حجران كريمان ، وعليهما أسماء أسباط إسرائيل الاثنى عشر ، وكان هذا ليكون رمزًا ومثالاً ، لأن الرب أيضًا بنفس الطريقة وضع على صدره الرسل وأرسلهم مبشرين وكارزين للعالم أجمع . وها أنت ترى كيف أن الظل يشير إلى اقتراب الحقيقة. ولكن كما أن الظل لا يصنع لنا شيئًا ولا يشفى جروحًا، هكذا الناموس القديم لم يكن يستطيع أن يشفى جروح النفس وأوجاعها لأنه لم تكن له حياة.

٦ ــ إن اتحاد مادتين معًا يؤدى إلى شئ واحد كامل ، كالعهدين . فالإنسان خُلق على صورة الله ومثاله. وهو له عينان، وحاجبان، ويدان،

وقدمان. فلو حدث أن إنساناً له عين واحدة أو يد واحدة أو قدم واحدة فإن هذا يكون عيبًا مؤسفًا ، والطير الذى يكون له جناح واحد لا يستطيع أن يطير .

هكذا أيضًا الطبيعة البشرية ، فإن بقيت عارية . وبنفسها فقط ولم تنل الاتحاد والشركة مع الطبيعة الإلهية فإنها لا تستقيم أبدًا أو تكتمل ، بل تظل عارية ومستحقة للوم فى طبيعتها الخاصة بسبب وضاعتها وأدناسها. فإن النفس ذاتها دُعيت هيكلاً لله ومسكنًا له ، وعروسًا للملك. فإنه يقول " *إنى سأسكن فيهم وأسير بينهم* " (٢كو٦: ١٦).

وهكذا كانت مسرة الله، أن يأتى من السماء المقدسة ويأخذ طبيعتك العاقلة، فهو أخذ جسدًا من الأرض ووحّده بروحه الإلهى ، حتى تستطيع أنت (الأرضى)، أن تنال الروح السماوى. وحينما تصير لنفسك شركة مع الروح وتدخل الروح السماوى فى نفسك ، فحينئذ تكون إنسانًا كاملاً فى الله ، ووارثًا وابنًا .

تواضع الله وعنايته بك :

٧ ــ ولكن كما أنه غير مستطاع للأكوان العليا ولا للأكوان السفلى أن تحتوى عظمة الله أو طبيعته التى تفوق الإدراك، هكذا أيضًا لا تستطيع لا الأكوان العليا ولا الذين على الأرض أن يفهموا تواضع الله وكيف يجعل نفسه صغيرًا لأجل أولئك الصغار المتواضعين. فكما أن عظمته تفوق الفهم هكذا أيضًا تواضعه يفوق الإدراك. ويمكن أن يحدث أن عنايته ترتب لك أن تجوز فى شدائد وآلام ولكن ما تظنه مضادًا لك وضارًا بك ، يتأكد بعد ذلك أنه لخير ومنفعة نفسك. فإذا رغبت أن تكون غنيًا فى العالم، فيقابلك سوء الحظ وعدم التوفيق وحينئذٍ تبتدئ أن تفكر فى نفسك وتقول : " لأنى

لم أصب نجاحًا في العالم ، هل أتركه وأتخلى عن كل شئ وأعبد الله "، وبعد أن تصل إلى هذه النقطة فإنك تسمع الوصية قائلة " *بع كل مالك* " (مت١٩: ٢١) " وأرذل كل تعلقات جسدية واخدم الله ". حينئذٍ تبتدئ تشكر الله لأجل عدم توفيقك ونجاحك في العالم وتقول في نفسك " لأني بسبب هذا صرت مطيعًا لوصية المسيح " .

حسنًا إذن ، فإنه بسبب الأمور الخارجية قد تغير ذهنك ورفضت العالم والارتباطات الجسدية ، لذلك يليق بك أيضًا أن تتغير في الذهن من الحكمة الجسدية إلى الحكمة السماوية . وبعد ذلك تبتدئ أن تميز صوت الحكمة السماوية الذي تسمعه وتتعلمه في داخلك ولا تهدأ وتسكت بل تهتم وتجتهد لتحقيق ما قد سمعته.

الرب يتحدث إليك :

٨ ــ وحينما تظن أنك قد أتممت كل شئ برفضك للعالم، فإن الرب يتحدث إليك قائلاً " لماذا تفتخر ؟ ألم أخلق أنا جسدك ونفسك ؟ ألم أخلق الذهب والفضة ؟ ماذا فعلت أنت " وحينئذٍ تبتدئ النفس تعترف للرب وتتوسل إليه وتقول " كل الأشياء هي لك والبيت الذي أسكن فيه هو لك . ثيابي لك . ومنك أنال طعامي ، ومنك أحصل على كل احتياجاتي " .

حينئذٍ يجيب الرب قائلاً : " أشكرك . هذه الخيرات كلها هي لك أنت. والإرادة الصالحة هي إرادتك، وبسبب محبتك لي وإلتجائك إليَّ، تعال ، فإني سأعطيك ما لم تحصل عليه قبلاً ، ولا يمتلكه الناس على الأرض . خذني لك ، أنا ربك ، لأكون مع نفسك . لكي تكون دائمًا معي في فرح وابتهاج ".

النفس عذراء للرب :

٩ ــ وكما أن المرأة التى تقترن بزوج تحضر كل ما تملك وكل مهرها، ومن شدة محبتها تضع بين يدى زوجها كل شئ قائلة له " ليس لى شئ خاص ملكى . كل ما أملك هو لك. مهرى لك وأيضًا نفسى وجسدى لك" . هكذا أيضًا النفس الحكيمة هى عذراء للرب ، إذ لها شركة مع الروح القدس .

ولكن كما أن الرب ، حينما جاء على الأرض تألم وصُلب ، هكذا ينبغى أيضًا أن تتألم معه. لأنك حينما تترك العالم وتبتدئ تطلب الله وتصير ذا تمييز ، فحينئذٍ ستجد نفسك فى حرب مع طبيعتك فى عاداتها وعوائدها القديمة التى قد نمت معك. وفى حربك ضد هذه العادات، فإنك تكتشف أفكارًا مضادة لك وتحارب عقلك، وهذه الأفكار تحاول أن تجرك وتجعلك منشغلاً بالعالم المادى الذى خرجت منه وتركته .

النعمة تقودك فى الشدائد :

وحينئذٍ تبتدئ أن تقاتل وتحارب فى الحرب واضعًا أفكار فى مواجهة أفكار ، وعقل فى مواجهة عقل ، ونفس ضد نفس ، وروح ضد روح. وبكلمة مختصرة فإن النفس تكون فى آلام وتعب.

١٠ ــ لأنه تنكشف هناك قوة ظلام خفية خبيثة ، مختبئة فى القلب. ولكن الرب يكون قريبًا جدًا من نفسك وجسدك وهو يرى قتالك، ويضع فى داخلك أفكارًا سماوية خفية ، ويبتدئ أن يعطيك راحة فى الداخل ولكنه يسمح بتقويم وتهذيب نفسك والنعمة نفسها توجهك فى كل هذه الشدائد . وهى التى تقودك . وحينما تصل إلى الراحة فإن النعمة تعلن نفسها لك وتوضح لك أنه من أجل منفعتك قد سمحت لك بهذه الآلام لتدريبك .

فكما يحدث حينما يكون لرجل غنى ابن صغير ويحضر لهذا الابن مربيًا لتهذيبه. فلفترة من الوقت يؤدبه بالضربات والجروح والجلدات، وتبدو الضربات ثقيلة جدًا إلى أن يصير الولد إلى النضج والرجولة ، فإنه حينئذٍ يبتدئ أن يشكر المربى الذى علمه. هكذا أيضًا فإن النعمة تؤدبك بتدبير الله وتربيك إلى أن "*تصل إلى إنسان كامل*" (أف ٤ :١٣).

١١ ــ إن الفلاح يلقى البذار فى كل ناحية ، والذى يغرس كرمًا يشتهى أن كل غصن فيه يحمل ثمارًا . لذلك يستعمل منجل التشذيب لتنقية الأغصان ، وحينما لا يجد ثمرًا بعد ذلك فإنه يحزن. هكذا أيضًا الرب يريد أن تُزرع كلمته فى قلوب الناس . ولكن كما أن الفلاح يحزن على الأرض التى لا تُثمر ، **هكذا يحزن الرب على القلب الذى لا يعطى ثمرًا . وكما أن الرياح تهب فى جميع الاتجاهات على كل الخليقة ، وكما أن الشمس تضئ الكون كله ، هكذا فإن اللاهوت هو فى كل مكان ، وتجده فى كل مكان.** فإن طلبته فى السماء فإنه موجود فى أفكار الملائكة. وإن طلبته على الأرض فإنه موجود أيضًا فى قلوب الناس. ولكن قليل بين الكثيرين من المسيحيين هم الذين يرضونه .

والمجد والعظمة للآب والابن والروح القدس . آمين .

العظة الثالثة والثلاثون :

الصلاة بانتباه

" ينبغى أن نصلى لله بلا انقطاع وبانتباه " .

كيف نصلى :

١ ــ ينبغى أن نصلى ، ليس بحسب أى عادة جسدية، ولا بعادة رفع الصوت والصراخ، ولا بعادة الصمت ، أو إحناء الركب. بل ينبغى أن يكون لنا عقل منتبه وبهدوء ورزانة ننتظر الله ونتوقعه، إلى أن يأتى إلينا ويفتقد النفس من خلال كل مخارجها ومسالكها وحواسها. وهكذا فإننا حينئذٍ نكون صامتين حينما ينبغى الصمت، ونصلى بصوت مرتفع حينما ينبغى ذلك، ونصلى بصراخ ما دام العقل مشدودًا بقوة نحو الله. وكما أن الجسد حينما يقوم بأى عمل ، فإنه يكون منشغلاً تمامًا بهذا العمل وكل أعضاؤه يساعِد بعضها بعضًا ، كذلك فلتكن النفس مُقدمة ومُعطاة للرب تمامًا بالصلاة والمحبة نحو الرب. ولا تتشتت وتُحمل بواسطة أفكارها ، بل تسعى بكل طاقتها وتجمع نفسها مع كل أفكارها مصممة على انتظار المسيح ملازمة إياه .

٢ ــ وهكذا فإنه سيشرق عليها ، ويعلمها الصلاة الحقيقية. معطيًا إياها الصلاة الروحانية النقية، والتى تليق بالله ، " *والسجود الذى هو بالروح والحق* " (يو٤ : ٢٤)، ولكن كما أن الإنسان الذى يشتغل بالتجارة لا يكتفى بطريقة واحدة للحصول على المكسب بل يمتد بكل طريقة ليضاعف أرباحه، ويزيدها ، ويجرب وسيلة بعد أخرى ، ثم يجرى محاولات أخرى، محترسًا فقط مما لا ربح فيه بل يجرى إلى ما فيه الربح الأكثر، هكذا نحن

أيضًا فلنعد أنفسنا بكل مهارة وبكل قدرة على الحركة والنشاط من جميع الجوانب لكى نربح الربح الحقيقى العظيم ، أى الله نفسه ، الذى يعلمنا كيف نصلى بالحق . وبهذه الطريقة فإن الربَّ يحل على النفس ذات القصد الصالح ، جاعلاً إياها عرشًا لمجده ويجلس ويستريح عليها . وهذا ما سمعناه من النبى حزقيال عن الخلائق الروحانية التى كانت مربوطة بمركبة الرب . وهو يُظهرها لنا كأنها كلها عيونًا . وبطريقة مشابهة فإن النفس التى تحمل الله أو بالأحرى يحملها الله فإنها تصير كلها عيونًا .

سكنى المسيح فى النفس :

٣ ــ وكما أن البيت الذى يوجد سيده فى داخله فإنه يكون مملوءً بالتنسيق والجمال والانسجام، هكذا النفس التى يكون ربها ساكنًا معها ، ومقيمًا فيها ، فإنها تمتلئ بكل جمال ونعمة . إذ يكون لها الرب بكل كنوزه الروحية ساكنًا فيها وهو الذى يقودها ويوجه حركتها .

ولكن الويل للبيت الذى لا يكون سيده فيه . إذ يكون مقفرًا خربًا ويمتلئ من كل قذارة وفوضى وهناك كما يقول النبى تسكن " *وحوش القفر والشياطين* " (إش٣٤: ١٣، ١٤ السبعينية).

وفى البيت المهجور توجد القطط والكلاب وكل نجاسة . الويل للنفس التى لا تقوم من سقوطها الفادح ، ولا تقبل فى داخلها رب البيت الصالح ، الذى هو المسيح ليسكن فيها ، بل تبقى فى نجاستها ولها فى داخلها أولئك الذين يقنعونها ويجبرونها على معاداة عريسها ، وراغبين أن يفسدوا أفكارها بعيدًا عن المسيح .

٤ ــ ولكن حينما يرى الرب أن النفس تجمع ذاتها بأقصى طاقتها ، وتطلبه دائمًا منتظرة إياه ليلاً ونهارًا ، وتصرخ إليه ، كما أوصى الرسول أن " *نصلى بلا انقطاع* " (١تس٥:٧) فإنه" *ينصفها* " (لو١٨:١٧)، مطهرًا إياها من الشر الذى فى داخلها . وهو " *سيحضرها لنفسه* " *عروسًا* " *لا دنس فيها ولا غضن* " (أف٥:٢٧).

أنظر إلى ذاتك :

فإن كنت تؤمن وتصدق بأن هذه الأشياء صحيحة كما هى فى الحقيقة ، فأنظر إلى ذاتك جيدًا ، إن كانت نفسك قد وجدت النور الذى يرشدها والطعام والشراب الحقيقى، الذى هو الرب. فإذا لم تكن قد وجدت ، فأطلب ليلاً ونهارًا لكى تنال . وحينما ترى الشمس (الطبيعية) فأطلب الشمس الحقيقية إذ أنك أعمي . وحينما تنظر النور (الطبيعى) ، فأنظر إلى داخل نفسك ، هل قد وجدت النور الحقيقى الصالح ؟ لأن كل الأشياء المنظورة للحواس هى ظل للأمور الحقيقية الخاصة بالنفس .

فإنه يوجد فى داخلنا إنسان آخر غير هذا الإنسان المنظور ، وتوجد عيون داخلية قد أعماها الشيطان وآذان قد أصمها. ويسوع قد جاء لكى يجعل هذا الإنسان الداخلى صحيحًا معافى . له المجد والقدرة ، مع الآب والروح القدس إلى الأبد . آمين .

❖❖❖❖❖❖❖

العظة الرابعة والثلاثون :

تمجيد الأجساد فى القيامة

" بخصوص المجد الذى سيُوهب لأجساد المسيحيين فى القيامة وكيف ستضئ أجسادهم مع نفوسهم " .

قيامة النفس أولاً ورؤيتها لمجد اللاهوت :

١ ــ كما أن العيون الجسدية ترى كل شئ بوضوح ، هكذا نفوس القديسين ينكشف لها جمال اللاهوت ويصير ظاهرًا لها وينجذب المسيحيون فى تأمل محاسن اللاهوت والتفكير فيها. ولكن مجد اللاهوت هذا إنما هو مُخفى عن العيون الجسدية ، وهو يُكشف بوضوح للنفس المؤمنة ــ النفس التى كانت ميتة ــ والتى يقيمها الرب من الخطية ، كما أقام الأجساد المائتة أيضًا ، وهو يعد لها " *سماء جديدة* " و " *أرضًا جديدةً* " (رؤ٢١:١) وشمسًا للبر ، معطيًا للنفس كل شئ من لاهوته .

فهناك عالم حقيقى وأرض حية ، وكرمة مثمرة ، وخبز الحياة ، وماء حى ، كما هو مكتوب " *إنى أؤمن بأن أرى خيرات الرب فى أرض الأحياء* " (مز٢٧:١٣)، وأيضًا " *ولكم أيها المتقون اسمى تشرق شمس البر والشفاء فى أجنحتها* " (ملاخى٤:٢). وأيضًا الرب نفسه يقول " *أنا هو الكرمة الحقيقية* " (يو١٥:١). وأيضًا " *أنا هو خبز الحياة* " (يو٦:٣٥) وأيضًا " *كل من يشرب من الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية* " (يو٤:١٤).

٢ ــ لأن مجئ الرب كان كله لأجل الإنسان ــ الإنسان الذى كان مطروحًا ميتًا فى قبر الظلمة والخطية والروح النجس والقوات الشريرة ــ

لكى يقيم الإنسان ويحييه فى هذه الحياة الحاضرة ويطهره من كل سواد وظلمة ، وينيره بنوره الخاص ، ويُلبسه ثوبه الخاص ، أى الثوب السماوى الذى هو ثوب اللاهوت .

تمجيد الأجساد التى أقيمت نفوسها :

ولكن فى قيامة الأجساد ، التى سبق أن أُقيمت نفوسها قبلاً وتمجدت ، فإن الأجساد أيضًا تتمجد حينئذٍ مع النفوس ، وتستنير بالنفس التى قد استنارت وتمجدت فى هذه الحياة الحاضرة لأن الرب هو بيتهم وخيمتهم ومدينتهم. وهم يلبسون مسكنًا من السماء "*غير مصنوع بأيدى*" (٢كو٥:١)، وهو مجد النور الإلهى إذ قد صاروا أبناء النور .

وهم لن ينظروا إلى بعضهم البعض بعين شريرة ، لأن الشر قد نُزع منهم . وهناك " *لا* يوجد ذكر *وأنثى ولا* عبد وحر " (غل٣:٢٨). لأن الجميع يتغيرون إلى طبيعة إلهية ويصيرون ذوى صلاح وخير ، وآلهة وأبناء لله. هناك يخاطب الأخ أخته بسلام بلا خجل أو تشويش ، لأن الكل واحد فى المسيح ويستريحون فى النور الواحد .

والواحد ينظر إلى الآخر وفى نظره يضئ بالحق ، فى التأمل الحقيقى للنور الذى لا يُعبّر عنه .

أمجاد تفوق كل تعبير :

٣ ــ وهكذا بأشكال كثيرة ، وأمجاد إلهية كثيرة متنوعة ينظرون بعضهم بعضًا وكل منهم يندهل ويفرح " *بالفرح الذى لا يُنطق به* " (١بط ١:٨) إذ ينظرون مجد بعضهم البعض . أنظر كيف أن أمجاد الله تفوق كل

تعبير ونُطق وتفوق كل فهم فهى أمجاد النور الذى لا يُعبّر عنه والأسرار الأبدية وخيرات لا تُعد ولا تُحصى .

وكما أنه فى عالم الحواس يستحيل على أى إنسان أن يدرك عدد نباتات الأرض ، أو البذور أو أنواع زهور الأرض ولا يقدر إنسان واحد أن يقيس أو يفهم غنى الأرض كلها ، وكذلك فى البحر لا يستطيع إنسان أن يحصى الكائنات الحية التى فيه بكل أنواعها واختلافاتها أو أن يقيس مياه البحر واتساعه وعمقه. وكذلك فى الهواء لا يستطيع أحد أن يعرف عدد الطيور ، أو أنواعها وأجناسها ، وأيضًا لا يستطيع أن يفهم عظمة السماء ويدرك مواقع النجوم ومساراتها ، هكذا أيضًا فإنه يستحيل النُطق أو الوصف عن غنى المسيحيين الذى لا يُقاس ولا تستطيع أن تدركه العقول . لأنه إن كانت تلك المخلوقات لا عدد لها ولا حصر ولا يستطيع أن يدركها عقل إنسان تمامًا ، فكم بالحرى يكون ذلك الذى خلقها وأعدها !

لذلك ينبغى على كل واحد بالحرى أن يفرح جدًا ويُسرّ لأن مثل هذا الغنى ومثل هذا الميراث ، قد أُعد للمسيحيين ، حتى أنه لا يستطيع أحد أن ينطق به أو يشرحه شرحًا كافيًا .

بل بكل اجتهاد واتضاع ينبغى أن نسير فى الجهاد المسيحى وننال ذلك الغنى . لأن ميراث المسيحيين ونصيبهم هو الله نفسه . كما يقول النبى " *الرب هو نصيب ميراثى وكأسى* " (مز ١٦:٥) . والمجد لذلك الذى يعطى نفسه ويُشرك نفوس المسيحيين فى طبيعته المقدسة إلى الأبد آمين .

✣✣✣✣✣✣✣

العظة الخامسة والثلاثون :

السبت القديم والسبت الجديد

١ ــ فى ظل الناموس الذى أُعطى بواسطة موسى ، أمر الله بأن كل إنسان ينبغى أن يستريح يوم السبت ولا يعمل شيئًا . وكان هذا رمزًا وظلاً للسبت الحقيقى الذى يعطيه الرب للنفس . لأن النفس التى قد مُنح لها أن تصير حرة من الأفكار المنحطة النجسة ، فإنها تحفظ السبت الحقيقى وتتمتع بالراحة الحقيقية ، إذ تكون عاطلة وفى فراغ فيما يخص أعمال الظلمة . ففى السبت الرمزى ، رغم أنهم كانوا يستريحون راحة جسدية ، إلاّ أن نفوسهم كانت مستعبدة للشرور والخطايا. وأما هذا السبت الحقيقى، فهو راحة حقيقية ، إذ تكون النفس عاطلة عن غوايات الشيطان ومُطهرة منها ، وتستريح فى الراحة الأبدية وفرح الرب .

٢ ــ وكما أمر الله (فى القديم) أن الحيوانات غير العاقلة أيضًا ينبغى أن تستريح فى البيت ، وأن الثور لا ينبغى أن يُوضع عليه النير وأن لا يحمل الحمار أثقالاً ــ فإنه حتى الحيوانات كانت تستريح من الأعمال الثقيلة ــ هكذا حينما أتى الرب وأعطى السبت الحقيقى الأبدى ، فقد أعطى راحة للنفس التى كانت مُثقلة ومُحملة بأحمال الإثم الثقيلة والأفكار النجسة، وكانت تعمل تحت نير واضطرار أعمال الإثم لأنها كانت مُستعبدة لسادة قساة، فأراحها من أثقالها التى يعسر حملها، أراحها من الأفكار الباطلة والنجسة، ونزع عنها النير القاسى، نير أعمال الإثم وأراح النفس التى كانت مُتعبة ومُثقلة بأفكار وغوايات النجاسة ..

تعالوا إلى ... وأنا أريحكم :

٣ ــ إن الرب يدعو الإنسان إلى الراحة قائلاً " *تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم* " (مت١١:٢٨). وكل النفوس التى تطيع هذه الدعوة وتقترب إليه ، فإنه يريحهم من كل هذه الأفكار الثقيلة المُتعبة والنجسة ويصيرون أحرارًا من كل شر ويحفظون السبت الحقيقى المُبهج المقدس ، ويعيدون عيد الروح ، عيد الفرح والبهجة التى تفوق الوصف ، ويقدمون خدمة نقية مرضية لله من قلب نقى . هذا هو السبت الحقيقى المقدس .

لذلك فلنتوسل إلى الله لكى " *ندخل إلى هذه الراحة* " (عب٤:١١)، ولكى نصير أحرارًا من الأفكار المنحطة والشريرة والباطلة ، لكيما نستطيعَ أن نخدم الله من قلب نقى ونعيد عيد الروح القدس .

وطوبى للإنسان الذى يدخل إلى تلك الراحة . والمجد لمن هذه هى مسرته ، أى الآب والابن والروح القدس ، إلى الأبد آمين .

❖❖❖❖❖❖❖

العظة السادسة والثلاثون :

درجات النعمة والمجد

" عن قيامة النفوس وقيامة الأجساد وأنواع مجد الذين يقومون " .

١ ـــ إن قيامة النفوس المائتة تحدث الآن فى هذه الحياة ، وأما قيامة الأجساد فتحدث فى ذلك اليوم (الأخير). وكما أن النجوم جميعها ثابتة فى السماء إلاّ أنها ليست جميعها متساوية ، بل يختلف الواحد عن الآخر فى اللمعان والحجم (اكو١٥:١٤)، هكذا الأمور الروحانية فإنه توجد درجات من التقدم " بحسب *مقدار الإيمان بالروح الواحد نفسه* " (رو١٢:٣، اكو ١٢:٩) ، إذ يكون واحد أكثر غنى من الآخر . والكتاب يقول " *إن من يتكلم بلسان.. يتكلم بروح الله* " (اكو١٤:٢). فهو إنسان روحانى يكلم الله. " *وأما الذى يتنبأ فيبنى الكنيسة* " (اكو١٤:٤) وهذا الأخير عنده قدر أكبر من النعمة . فالأول يبنى نفسه فقط، أما الثانى فإنه يبنى الكنيسة أيضًا .

وهذا يُشبه حبة الحنطة التى تُزرع فى الأرض . فنفس الحبة فى نفس الأرض تنتج حبوبًا كثيرة ومختلفة . وأيضًا سنابل القمح بعضها كبير والبعض الاخر صغير ولكن كلها تُجمع معًا إلى بيدر (جرن) واحد ، وإلى مخزن واحد . ورغم أن الحبوب مختلفة إلاّ أنها يُصنع منها خبز واحد .

٢ ـــ وكما أنه يوجد فى المدينة جموع من الناس ، بعض منهم أطفال والبعض رجال والبعض شبان أحداث ولكنهم جميعًا يشربون من ينبوع واحد ويأكلون من خبز واحد ويستنشقون هواء واحد ؛ أو فى حالة

المصابيح فهناك مصباح له فتيلتين وآخر له سبعة ، ولكن حيثما تكون فتائل النور أكثر عددًا فهناك تكون الإضاءة أكثر .

هكذا كل الذين هم فى النور لا يمكن أن يكونوا فى الظلمة ، ولكن توجد بينهم درجات مختلفة فى النور . وإذا كان لأب ابنان أحدهما طفل والآخر شاب ، فإنه يرسل الشاب إلى المدن والبلاد الغريبة ، أما الطفل فإنه يحفظه دائمًا تحت رعايته لأنه لا يستطيع أن يفعل شيئًا . والمجد لله آمين .

✣✣✣✣✣✣✣

العظة السابعة والثلاثون :

الفردوس والناموس الروحانى

الفردوس :

١ ــ " محبة العالم عداوة لله كما هو مكتوب " (يع٤:٤) لهذا السبب فإن الكتاب المقدس يوصى كل واحد " أن يحفظ قلبه بكل اجتهاد " (أم٤:٢٣)، حتى بحفظه للكلمة فى داخله مثل فردوس ، فإن الإنسان يتمتع بالنعمة ولا ينصت إلى الحية التى تحاول أن تتحرك فى الداخل وهى التى توحى بأشياء تقود إلى اللذة والتى بها يتولد الغضب الذى يذبح الأخ ، والنفس التى يتولد منها هذا فإنها تموت .

ولكن بالأحرى يكون للإنسان النعمة أن يُنصت إلى الرب الذى يقول "احرص على الإيمان والرجاء اللذان يتولد منهما محبة الله ومحبة القريب ، هذه المحبة التى تعطى حياة أبدية " .

إلى هذا الفردوس دخل نوح ، حافظًا الوصية ومُطيعًا للرب، وبالمحبة أُنقذ من الغضب . وإبراهيم بحفظه لهذا الفردوس سمع صوت الله. وموسى بحفظه لهذا الفردوس نال المجد منعكسًا على وجهه ، وبالمثل فإن داود بحفظه لهذا الفردوس جاهد فهزم أعداءه. أما شاول أيضًا فطالما كان يراقب قلبه فإنه كان ينجح، ولكن حينما تعدى أخيرًا ، فإنه رُفض. **فإن كلمة الله تأتى إلى كل واحد بمقدار . وعلى قدر ما يتمسك الإنسان بالكلمة ويحفظها فإنها تحفظه وتمسك به وتحرسه.**

٢ ــ لهذا السبب فإن جماعة الأنبياء القديسين والرسل والشهداء، حفظوا الكلمة فى قلوبهم غير مهتمين بشئ آخر بل احتقروا الأرضيات

وثبتوا فى وصية الروح القدس وفضلوا محبة الله بالروح وخيرات الروح على كل شئ آخر، وذلك ليس بالكلام فقط أو مجرد المعرفة ، بل بالقول والفعل والممارسة الحقيقية فى كل الأشياء، فاختاروا الفقر بدلاً من الغنى ، والعار والإهانة بدلاً من المجد والافتخار ، والآلام بدلاً من اللذة والتنعم ، ولهذا السبب أيضًا نالوا المحبة بدلاً من الغضب .

المحبة والغفران للمسيئين:

لأنهم كما أبغضوا لذات هذه الحياة، فإنهم أحبوا أولئك الذين يغتصبون منهم أشياء هذه الحياة، كأنهم يعاونونهم فى تحقيق الهدف غير مميزين بين الصالح والشرير. فهم لم يتحولوا عن الصالحين ولا هم يتهمون الأشرار، إذ أنهم يعتبرون الجميع كسفراء لعناية وتدبير ربهم ، لذلك فإنهم يراعون الجميع بمحبة وإشفاق . وحينما سمعوا الرب يقول "*أغفروا يُغفر لكم*" (لو ٦:٣٧) فإنهم حينئذٍ اعتبروا أولئك الذين أساءوا إليهم كفاعلى خير لأنهم أعطوا لهم الفرصة لينالوا الغفران لنفوسهم ، وحينما سمعوا الرب يقول أيضًا " *وكما تريدون أن يفعل الناس بكم أفعلوا أنتم هكذا أيضًا بهم* " (مت ٧:١٢)، حينئذٍ بدأوا أن يحبوا الصالحين بحسب الضمير. وإذ تركوا بر أنفسهم وطلبوا بر الله فإنهم وجدوا المحبة متضمنة فيه بطريقة طبيعية .

٣ ـ لأن الرب ، عندما أعطى وصايا كثيرة عن المحبة فإنه أوصانا أن نطلب " *بر الله* " (مت٦:٣٣) لأنه يعرف أنه (أى بر الله) هو والد المحبة ، فلا يوجد طريق آخر به نتمم خلاصنا إلاّ عن طريق قريبنا ، كما اوصى قائلاً: "*أغفروا يُغفر لكم*" هذا هو القانون الروحانى الذى كُتب فى القلوب المؤمنة وهو "*تكميل الناموس الأول*" (رو١٣:١٠) لأنه يقول "*لم*

أتِ لأنقض الناموس بل لأكمّل " (مت٥:١٧)، وكيف كمّل الناموس؟. دعنى أخبرك : فإذا حدث خطأ من إنسان، فإن الناموس الأول كان يدين بالأكثر الذى وُجه إليه الخطأ: "*لأنك فيما تدين غيرك تحكم على نفسك*" (رو٢:١)، والناموس يقول هكذا "*فى وسط الدينونة ، دينونة ، وفى وسط الغفران ، غفران* " (تث١٧:٨ السبعينية).

٤ ــ لذلك فإن المغفرة هى تكميل الناموس ــ وقد سميناها الناموس الأول ، ليس لأن الله وضع ناموسين للناس ، بل ناموس واحد ، وهو روحانى فى طبيعته. ولكن من جهة المجازاة فهو يعطى كل واحد الجزاء العادل، فيعطى المغفرة لمن يغفر، ويدين الذى يدين. كما يقول فى المزمور "*ومع الطاهر تكون طاهرًا ، ومع الأعوج تكون ملتويًا*" (مز١٨:٢٦)، لذلك فإن أولئك الذين يتممون الناموس روحانيًا، وبقدر نوالهم النعمة ، يحبون محبة روحانية ، ليس أولئك الذين يفعلون بهم خيرًا فقط ، بل أيضًا أولئك الذين يعيرونهم ويضطهدونهم، وهم يتطلعون لنوال مكافأة الصالحات.

وأقول الصالحات ليس لأنهم غفروا الإساءات التى وُجهت إليهم ، بل لأنهم فعلوا أيضًا خيرًا لنفوس الذين أساءوا إليهم . لأنهم قدموهم إلى الله باعتبارهم الوسيلة التى بها تمموا وحصلوا على التطويب القائل " *طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين* " (مت٥:١١).

٥ ــ وهم قد تعلموا أن يفكروا هكذا بواسطة ناموس روحانى، وإذ هم يحتملون ويحتفظون بموقف الوداعة الداخلية، فإن الرب إذ ينظر إلى القلب وهم يحاربون ، وينظر المحبة التى لم تفتر ، فإن الرب ينقض حائط

السياج المتوسط (أف٢:١٤) . ويطرحون كل بغضة عنهم وتكون النتيجة أن حبهم لم يعد بالاضطرار والتغصب بل يكون براحة وفرح .

إن الرب يقيد السيف المتقلب الذى يحرك الأفكار. وبعد ذلك تدخل الأفكار إلى ما داخل الحجاب حيث دخل يسوع " *كسابق لأجلنا* " (عب ١٩:٦). وتتمتع بثمار الروح بفرح .

وإذ ينظرون الأمور الآتية مكشوفة فى داخل القلب بثبات ، وليس فى "*مرآة ولغز* " (١كو١٣:١٢) كما يقول الرسول ، فإنهم يقولون " *ما لم تره عين وما لم تسمع به أذن وما لم يخطر على قلب بشر ما أعده الله للذين يحبونه* " (١كو٢:٩).

معرفة ما لم يخطر على قلب بشر :

٦ ــ **سؤال** : إن كانت هذه الأشياء لم تخطر على قلب إنسان ، فكيف أمكنك أن تعرفها خصوصًا وأنك تعرف ما يقوله سفر الأعمال " *نحن بشر تحت الآلام مثلكم* " (أع١٤:١٥).

جواب : حسنًا أنصت إلى الجواب الذى يعطيه بولس لهذا السؤال إذ يقول " *ولكن الله أعلنها لنا نحن بروحه ، لأن الروح يفحص كل شئ حتى أعماق الله* " (١كو٢:١٠). ولكن لئلا يقول أحد إن الروح قد أعطى لهم لأنهم رسل فقط ، وإننا نحن لا نستطيع أن نناله، فإنه يقول فى مكان آخر مصليًا " *لكى يعطيكم أبو ربنا يسوع المسيح أن تتأيدوا بالقوة بروحه فى الإنسان الباطن ، ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم* " (أف٣:١٦،١٧) ويقول أيضًا *أما الرب فهو الروح، وحيث روح الرب هناك حرية* " (٢كو٣:١٧). وأيضًا " إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس للمسيح " (رو٨:٩).

شركة الروح القدس :

٧ ـــ لذلك فلنصل ونتوسل لكيما نشترك فى الروح القدس بملء الثقة والاختبار ، ولكى ما ندخل إلى المكان الذى خرجنا منه ولكى تُطرد عنا من الآن فصاعدًا تلك الحية التى هى أب الغضب الذى يوحى بالمجد الباطل وهو روح الحزن والفشل والتذمر . فلنصل لكى نحصل على إيمان ثابت فنستطيع أن نحفظ وصايا الرب وننمو فيه " *إلى إنسان كامل إلى قياس القامة الناضجة* " (أف٤:١٣)، لكى لا يعود يتسلط علينا خداع هذا العالم، بل نكون فى ملء ثقة الروح ، ولا يعود ينقصنا الإيمان بأن نعمة الله تُسرّ بقبول الخطاة حينما يتوبون . فإن ما يُعطى بالنعمة لا يُقاس بالمقارنة مع الضعف السابق " *وإلاّ فليست النعمة بعد نعمة* " (رو١١:٦). بل إذ نؤمن بالله الكلى القدرة ، نأتى بقلب بسيط غير قلق أو موسوس ـــ نأتى إليه هو الذى يعطى بالإيمان نعمة الاشتراك فى الروح وليس بواسطة المقارنة بأعمال الطبيعة البشرية لأنه يقول " *لقد أخذتم الروح ليس بأعمال الناموس بل بخبر الإيمان* " (غل٣:٢).

معنى خمس كلمات بذهنى :

٨ ـــ **سؤال** : ما معنى الآية التى تقول " *ولكن فى كنيسة أريد أن أتكلم خمس كلمات بذهنى* " (١كو١٤:١٩) ؟

جواب : إن كلمة كنيسة تُفهم بطريقتين : الجماعة أى جماعة المؤمنين ثم اجتماع النفس معًا . فحينما تُفهم الكلمة على الشخص الإنسانى يكون المقصود هو الإنسان ككل متكامل معًا . وهنا تكون خمس كلمات تعنى مجموع الفضائل التى تبنى الإنسان كله بطرق متنوعة . فكما أن ، الذى يتكلم فى الرب يفهم كل حكمة بخمس كلمات ، هكذا الذى يطيع الرب فإنه

يبنى كل تقوى بواسطة الفضائل الخمسة لأنهم خمسة ولكنهم يشملون الجميع : الأولى ، الصلاة ثم التعفف، ثم البذل والعطاء، ثم الفقر الاختيارى والصبر . وهذه إذ تُتمم باشتياق وقصد ثابت فإنها كلمات النفس التى ينطقها الرب والتى تُسمع فى القلب . إن الرب يعمل ، ثم الروح يتكلم بدون صوت ، والقلب يتمم جهرًا وظاهرًا ما يشتاق ويرغب .

٩ ــ ولكن كما أن هذه الفضائل تشتمل على كل الفضائل الأخرى، هكذا أيضا فإنها تتوالد من بعضها البعض . فإذا نقصت الأولى ، تسقط الباقية. وبالمثل فإنه بواسطة الثانية يتبعها البقية وهكذا. لأنه كيف يصلى الإنسان بدون أن يكون تحت فاعلية الروح ؟ والكتاب يشهد معى هنا حينما يقول "*لا يستطيع أحد أن يقول يسوع رب إلاّ بالروح القدس*" (١كو١٢:٣) وأيضًا كيف يستمر الإنسان فى التعفف بمثابرة بدون الصلاة وبدون معونة ونعمة ؟ والذى هو غير متعفف، كيف يصنع رحمة ويعطى الجياع والمتضايقين ؟ والذى لا يصنع رحمة ويُحسن لن يقبل الفقر باختياره . وأيضًا فإن الغضب هو قريب وصديق لمحبة المال والطمع سواء كان الإنسان يملك المال أو لا يملكه .

ولكن الإنسان الفاضل هو الذى يُبنى ليكون كنيسة ليس بسبب ما فعله بل بسبب ما اشتاق إليه واشتهاه، فالذى يخلص الإنسان ليس هو عمله الخاص، بل يخلصه ذلك الذى يمنحه القوة. لذلك إن كان أحد يحمل "*سمات الرب*" (غل٦:١٧) ، فلا يظن نفسه عظيمًا ، حتى لو كان قد نجح فى كل عمل. بل لينظر فقط إلى المحبة التى فى قلبه واهتمامه واجتهاده أن يعمل. لذلك لا تظنوا أنكم قد سبقتم الرب بفضيلتكم وذلك بحسب المكتوب " *إنه هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا لأجل المسرة*" (فى٢:١٣).

بماذا يوصينا الكتاب المقدس ؟ :

١٠ ــ **سؤال** : إذن فما الذى يوصى به الكتاب للإنسان أن يفعله؟

جواب : سبق أن قلنا إن الإنسان عنده الاستعداد من طبيعته أن يرغب وأن يشتاق. وهذا ما يطلبه الله. **لذلك فإن الله يأمر أن الإنسان ينبغى أن يعرف. وحينما يعرف، ينبغى أن يحب وأن يجتهد بإرادته. ولكن لكى ينشط العقل ويتحرك ويتحمل التعب أو لكى يكمل العمل فهذا يحتاج إلى نعمة الله.** وهذا ما تمنحه النعمة للإنسان الذى يرغب ويؤمن. لذلك فإن إرادة الإنسان هى مثل اداة فى طبيعة الإنسان . وحينما لا تكون الإرادة حاضرة، فإن الله نفسه لا يفعل شيئًا، رغم أنه يستطيع أن يفعل، وذلك بسبب حرية إرادة الإنسان. إن عمل الروح الفعّال يتوقف على إرادة الإنسانِ. ومن الجهة الأخرى إذا كنا نعطى ونقدم له كل إرادتنا ، فإنه ينسب كل العمل إلينا .

عجيب هو الله فى كل الأشياء وهو فائق جدًا فوق كل إدراكنا. ولكننا نحن البشر نسعى لشرح بعض عجائبه وأعماله مستندين على الكتاب المقدس، أو متعلمين منه، فإنه يقول " *من عرف فكر الرب* " (رو١١: ٣٤). ولكن هو نفسه يقول "*كم مرة أردت أن أجمع أولادك .. وأنتم لم تريدوا* " (مت٢٣: ٣٧). ولذلك فنحن نؤمن هنا أنه هو الذى يجمعنا ولا يطلب منا شيئًا سوى أن نريد ونرغب. ولكن ما هو الذى يُثبتِ ويُظهر الإرادة إلاّ العمل الذى يعمل باختيار وحرية ؟

١١ ــ لأنه كما أن الحديد يُستعمل فى نشر الخشب أو كفأس للقطع أو كمحراث للحرث والزراعة ، ولكن يوجد إنسان هو الذى يحركه ويقوده ، وحينما يتقادم ويبلى بالاستعمال فإنه يوضع فى النار ويُشكل من جديد كأدوات للاستعمال. هكذا أيضًا فإن الإنسان حينما يتعب ويجهد جدًا فى

عمل ما هو صالح ــ مع أن الرب هو الذى يعمل فيه فى الخفاء فى هذا التعب ــ وحينما يتعب جدًا فإن الرب يعزى قلبه ويجدده كما يقول النبى : " *هل تفتخر الفأس على القاطع بها أو يتكبر المنشار على مردده* " (إش ١٠ :١٥). وهكذا بالمثل فى حالة الشر حينما يطيعه الإنسان ويجعل نفسه مستعدًا له ، فحينئذٍ فإن الشيطان يجذبه ويسنه كما يسن اللص سيفه . لقد شبهنا القلب بالحديد بسبب قلة حساسيته للأشياء وشدة قسوته. ولكن لا ينبغى أن نجهل ، مثل الحديد الذى لا يحس ــ ذلك الذى يمسك بنا (لأننا لو كنا نحس فإننا لم نكن نتحول هكذا سريعًا من كلمته المغروسة فينا إلى أفكار الشرير)، بل بالأحرى نكون كالثور والحمار أى أن نعرف ذلك الذى يقودنا ويوجهنا فى طريقه بحسب مسرته لأنه مكتوب : " *الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه أما إسرائيل فلا يعرفنى* " (إش١ :٣). لذلك فلنصلى طالبين نوال معرفة الله ، ولكى نتهذب فى الناموس الروحانى لحفظ وصاياه المقدسة ، ممجدين الآب والابن والروح القدس إلى الأبد آمين .

✣✣✣✣✣✣✣

العظة الثامنة والثلاثون :

المسيحيون بالحق .

"الأمر يحتاج إلى دقة عظيمة وفهم كبير لتمييز من هم المسيحيون بالحق".

تمييز المسيحيين بالحق :

١ ــ إن كثيرين من الذين يظهرون أنهم أبرار يُحسبون أنهم مسيحيون ويليق لذوى المعرفة والاختبار أن يختبروا ويروا إن كان مثل هؤلاء الأشخاص لهم علامة وصورة الملك بالحقيقة، حتى لا يكونوا أشخاصًا مزيفين أو عمالاً مزيفين يعملون أعمال ذوى الخبرة والمعرفة ويُدهش منهم العمال المهرة وينتقدونهم، ولكن الناس الذين ليسوا ذوى خبرة لا يستطيعون أن يمتحنوا ويكشفوا " *الفعلة الماكرون* " (٢كو١١:١٣) حيث إن هؤلاء أيضًا يلبسون شكل النُساك أو المسيحيين لأنه حتى الرسل الكذبة أيضًا تألموا لأجل المسيح وبشروا بملكوت السموات . لهذا السبب يقول الرسول : " *فى الأتعاب أكثر فى الضربات أوفر ، فى السجون أكثر* " (٢كو١١:٢٣) قاصدًا بذلك أن يُظهر أنه قد تألم أكثر منهم .

٢ ــ إن الذهب يُكتشف بسهولة أما اللآلئ والأحجار الكريمة التى تليق بتاج الملك فهى نادرة الوجود وأحيانًا فإن ما يُوجد منها لا يكون مناسبًا ، هكذا أيضًا المسيحيون فإنهم يُصاغون ويُشكلون ويُطعمون فى إكليل المسيح لكى يكون لهم شركة مع القديسين . فالمجد لذلك الذى هكذا أحب تلك النفس وتألم لأجلها وأقامها من الموت .

ولكن كما أن البرقع كان موضوعًا على وجه موسى لكى لا ينظر الشعب إلى وجهه ، هكذا أيضًا الآن فإن هناك برقع موضوع على قلبك

لكى لا تتطلع إلى مجد الله وتراه. ولكن حينما يُنزع هذا البرقع، فإن (المسيح) يضئ ويُظهر نفسه للمسيحيين، أى لأولئك الذين يحبونه ويطلبونه بالحق كما يقول: "*أُظهر له ذاتى* " "*وعنده أصنع منزلاً*" (يو ١٤: ٢١، ٢٣).

لنأتِ إلى المسيح لننال الموعد :

٣ ــ لذلك فلنجتهد أن نأتى إلى المسيح الذى لا يكذب، لكيما ننال الموعد والعهد الجديد ــ الذى جعله الرب جديدًا بصليبه وموته بعد أن كسر أبواب الجحيم والخطية ، وأخرج النفوس المؤمنة، وأعطاهم المعزى فى الداخل وردهم إلى ملكوته. إذن فلنملك معه فى أورشليم مدينته أى فى الكنيسة السماوية، فى محفل الملائكة القديسين. والاخوة الذين لهم خبرة طويلة وتمرن يستطيعون أن يساعدوا قليلى الخبرة ويساعدوهم باشفاق ومحبة.

درجات فى النعمة :

٤ ــ إن بعض الأشخاص قد صارت لهم ثقة داخل أنفسهم ، وقد عملت فيهم النعمة بقوة ، هؤلاء وجدوا أن أعضائهم قد تقدست لدرجة أنهم حسبوا أن الشهوة لا وجود لها فى الحياة المسيحية، بل أنهم قد حصلوا على عقل متزن عفيف، وأن الإنسان الباطن قد ارتفع عاليًا إلى الأشياء الإلهية والسماوية حتى أنهم اعتقدوا تمامًا أن مثل هذا الشخص قد وصل فعلاً إلى درجة الكمال.

وحينما يظن الإنسان أنه قد وصل إلى الميناء الهادئ تثور ضده أمواج متلاطمة ، حتى أنه يجد نفسه مرة أخرى فى وسط المحيط، وأنه محمول إلى حيث يكون البحر سماء والموت متربص به.

وهكذا دخلت الخطية وهكذا أنشأت كل "أنواع الشهوة" الشريرة (رو٧: ٨) وأيضًا هناك بعض الأشخاص قد نالوا درجة من النعمة التى وُهبت لهم ،

بمعنى أنهم قد حصلوا على قطرة من عمق البحر العظيم، ويجدونها ـ ساعة بساعة ويومًا بيوم ــ إنها عمل عجيب مدهش حتى أن الإنسان الذى يكون تحت تأثيرها يندهل ويتعجب من فاعلية عمل الله الغريب والعجيب حتى أنه لا يستطيع أن يتصور كيف حصل على هذه الحكمة والاستنارة .

وبعد هذا فإن النعمة تنيره، وترشده وتعطيه سلامًا وتجعله صالحًا من كل الوجوه إذ أن النعمة نفسها إلهية وسماوية ، ولذلك فإنه بالمقارنة به يحسب الملوك والرؤساء والنبلاء أقل منه وبلا قيمة . ولكن بعد وقت يتغير الحال ، حتى أن مثل هذا الإنسان يحسب نفسه خاطئًا أكثر من الجميع. وأيضًا فى وقت آخر يرى نفسه ضعيفًا وفى غاية العوز والفاقة. وحينئذ فإن العقل يقع فى حيرة وارتباك ، لماذا تكون الأحوال متقلبة هكذا؟ لأن الشيطان إذ هو يكره الصلاح والخير فإنه يوحى بأمور شريرة لأولئك الذين يتبعون الفضيلة ويسعى أن يُلقى بهم أرضًا ــ فإن هذا هو عمله .

ثق فى الرب الذى يقودك وأطعه :

ولكن لا تخضع له، بينما أنت تتمم البر الذى يتحقق فى الإنسان الباطن، حيث يوجد كرسى دينونة المسيح مع أقداسه الطاهرة حتى أن شهادة ضميرك تفتخر بصليب المسيح، الذى " *طهر ضميرك من الأعمال الميتة* " (عب٩:١٤)، لكى تخدم الله بالروح. ولكى تعرف من الذى تعبده على حسب قول الرب حينما قال " *نحن نسجد لما نعلم* " (يو٤:٢٢). ثق فى الله الذى يقودك وأطعه وأجعل نفسك فى شركة مع المسيح كالعروس مع عريسها. لأن " *هذا السر عظيم ، ولكنى أقول عن المسيح* " (أف٥:٣٢) والنفس التى بلا لوم ، له المجد إلى الأبد آمين .

العظة التاسعة والثلاثون :

لماذا أعطانا الله الكتاب المقدس

١ ــ كما أن الملك يكتب رسائل لأولئك الذين يريد أن ينعم عليهم بامتيازات خاصة وهبات فريدة، ويقول لهم : " بادروا بالمجئ إلىّ سريعًا لتنالوا منى الهبات الملوكية " ، فإذا لم يذهبوا ويأخذوها فإن مجرد قراءة الرسائل لا تفيدهم شيئًا بل بالعكس فإنهم يكونون معرضين لخطر الموت لأنهم رفضوا أن يأتوا لينالوا الكرامة من يد الملك . **هكذا الله الملك الحقيقى ، قد أرسل الكتب المقدسة كرسائل منه للبشر ، وهو يعلن عن طريقها للناس أنه ينبغى أن يأتوا إلى الله ويدعونه بإيمان ويسألوا ويأخذوا الموهبة السماوية من اللاهوت نفسه ، لأنه مكتوب " *لتصيروا شركاء الطبيعة الإلهية* " (٢بط١:٤) ولكن إذا لم يأتِ الإنسان ويسأل وينال ، فإنه لا يستفيد شيئًا من قراءته للكتاب ، بل بالأحرى فإنه يكون فى خطر الموت لأنه لم يرد أن يأخذ عطية الحياة من الملك السماوى ، التى بدونها لا يمكن الحصول على الحياة الأبدية غير المائتة ، التى هى المسيح نفسه** . الذى له المجد إلى الأبد آمين .

⁂⁂⁂

العظة الأربعون :

ارتباط الفضائل معًا

" إن جميع الفضائل مرتبط بعضها ببعض ، كذلك أيضًا الرذائل ، مثل حلقات السلسلة المرتبط أحدها بالآخر ".

ارتباط الفضائل معًا :

١ ــ فيما يخص الممارسة الخارجية وأى عمل منها هو الأفضل أو الأحسن ، فأعرفوا هذا أيها الأحباء، أن جميع الفضائل مرتبطة ببعضها ببعض. فكل فضيلة مرتبطة بالأخرى مثل سلسلة روحية: فالصلاة مرتبطة بالمحبة، والمحبة بالفرح، والفرح بالوداعة، والوداعة بالتواضع، والتواضع بالخدمة، والخدمة بالرجاء ، والرجاء بالإيمان، والإيمان بالطاعة، والطاعة بالبساطة. وكذلك من الجهة الأخرى فإن الرذائل مرتبطة إحداها بالأخرى: فالبغضة مرتبطة بالغضب، والغضب بالكبرياء، والكبرياء بالمجد الباطل، والمجد الباطل بعدم الإيمان، وعدم الإيمان بقساوة القلب، وقساوة القلب بالإهمال، الإهمال بالكسل، والكسل بالضجر، والضجر بعدم الصبر، وعدم الصبر بمحبة اللذة. وباقى أجزاء الرذيلة هى بالمثل متعلقة بعضها ببعض كما أنه من الجهة الصالحة فإن الفضائل متعلقة ببعضها البعض ومرتبطة معًا .

أهمية المواظبة على الصلاة :

٢ ــ ولكن رأس كل سعى صالح، والقوة الموجهة والقائدة لكل عمل حسن إنما هو المواظبة على الصلاة. ومنها يمكن أن نحصل يوميًا على

بقية الفضائل عن طريق طلبها من الله في الصلاة . وبواسطة الصلاة تتولد الشركة فى قداسة الله فى أولئك الذين يُحسبون أهلاً لها ، وتتولد فيهم الطاقة الروحانية والتصاق العقل بالرب وميله إليه بمحبة تفوق الوصف لأن الإنسان الذى يغصب نفسه كل يوم للمواظبة على الصلاة، فإنه يشتعل بالحب الإلهى ويتقد برغبة نارية من الحب الروحانى نحو الله ، وينال نعمة كمال تقديس الروح .

درجات فى الملكوت :

٣ ــ **سؤال** : حيث إن هناك البعض يبيعون ممتلكاتهم ، ويطلقون عبيدهم أحرارًا ، ويحفظون الوصايا، ومع ذلك فإنهم لا يسعون لنوال الروح فى هذا العالم. فهل بعيشهم هكذا لا يدخلون إلى ملكوت السموات ؟

جواب : هذا موضوع دقيق وحساس. فإن البعض يتكلمون عن ملكوت واحد وجهنم واحدة. ولكننا نحن نتكلم عن درجات كثيرة ومقاييس متنوعة في كل من الملكوت وجهنم. وكما أنه توجد نفس واحدة فى جميع الأعضاء، ولكنها تعمل فى المخ من فوق وفى نفس الوقت تحرك القدمين من أسفل، هكذا أيضًا فإن اللاهوت يحتوى كل الخلائق: السماوية والتى فى عمق الهاوية ، وهو يملأ الخليقة فى كل مكان رغم أنه متعالى جدًا على الخلائق، لأنه غير محدود ويفوق كل فهم وإدراك. فهذا اللاهوت ينظر إلى الناس ويهتم بهم بنوع خاص. ويقود كل الأشياء بتدبير عنايته بحسب الحكمة. وحينما يصلى البعض غير عارفين ما هو الذى يطلبونه ، بينما يصوم آخرون ، وآخرون يواظبون على خدمتهم ، فإن الله كقاض عادل يعطى كل واحد حسب مقدار إيمانه. لأنهم إنما يفعلون ما يفعلونه بتقوى الله. ولكنْ ليس جميع هؤلاء بنين أو ملوك أو ورثة .

٤ ــ ويوجد فى العالم بعض قتلة الناس، ويوجد آخرون زناة، وآخرون سارقون. كما أنه يوجد أولئك الذين يوزعون مقتنياتهم على الفقراء: وعين الرب على كل من هذين النوعين. وأما الذين يفعلون الخير فإنه يعطيهم راحة ومكافأة. فإنه توجد درجات عالية، ودرجات صغيرة. **وفى النور وفى المجد توجد درجات. وفى جهنم نفسها وفى العقاب يظهر أنه يوجد سحرة ولصوص كما أنه يوجد آخرون ممن ارتكبوا خطايا أقل. وأما الذين يقولون إن الملكوت درجة واحدة وكذلك جهنم وإنه لا توجد درجات فقولهم خطأ. وكم من الناس العالميين الذين هم الآن دائمًا فى الملاهى وغيرها من الأمور الباطلة. وكم هم أولئك الذين يُصلون لله ويتقونه! وأن الله ينظر إلى هؤلاء وأولئك، وكقاض عادل، فإنه يعد الراحة لهؤلاء والعقاب لأولئك الآخرين.**

٥ ــ وكما أن الناس يروضون الخيول ويقودون بها المركبات فى سباق ضد بعضهم البعض ، وكل واحد يجتهد أن ينتصر على منافسه ويهزمه، هكذا يوجد أيضًا مثل هذا الصراع فى قلب أولئك الذين يجاهدون. فالأرواح الشريرة تحارب النفس، بينما الله والملائكة يراقبون الحرب ويلاحظونها. وفى كل ساعة تخرج من النفس أفكار جديدة وكذلك الشر الذى يحارب فى الداخل يُخرج أفكارًا جديدةً. إن النفس لها خطط كثيرة خفية. وهى تنتج هذه الخطط وتلدها فى وقتها المعين. والشر أيضاً له خطط وحيل كثيرة، وهو يُولّد اختراعات جديدة ضد النفس ساعة بعد ساعة. إن العقل هو قائد العربة وهو يروض عربة النفس مُمسكًا بعناق الأفكار، وهكذا يحارب ضد عربة الشيطان التى يقودها ضد النفس .

بين العكوف على الصلاة ومحبة الاخوة :

٦ ــ **سؤال** : إن كانت الصلاة هى راحة ، فكيف يقول البعض " نحن لا نستطيع أن نصلى على الدوام ولذلك لا يواظبون غلى الصلاة بإدمان ؟

جواب : حينما تكثر الراحة فإنها تنشئ رأفة ورحمة ، وصور أخرى من الخدمة ، مثل افتقاد الاخوة لأجل خدمتهم بالكلمة. والطبيعة نفسها ترغب فى الذهاب لرؤية الاخوة ولتنطق بالكلمة . وكل شئ يُلقى فى النار لا يمكن أن يبقى على طبيعته بل بالضرورة يصير نارًا . فإذا ألقيت حجارة صغيرة في النار فإنها تتحول إلى جير. والإنسان الذى يريد أن يدخل إلى البحر ويذهب إلى وسط المحيط فإنه يغطس تماماً ويختفى عن الأنظار . أما الذى يذهب رويدًا رويدًا فإنه يرغب أن يرجع ثانية ويطفو على السطح ويأتى إلى الميناء ليرى الناس الذين على الشاطئ. هكذا أيضًا فى الحياة الروحانية، فقد يدخل إنسان إلى حياة النعمة ، ثم يتذكر أن له رفقاء واخوة، والطبيعة نفسها أيضا تريد أن تذهب إلى الاخوة لتتمم ناموس المحبة . ولتثبت الكلمة .

النعمة والخطية :

٧ ــ **سؤال** : كيف يمكن أن تكون النعمة والخطية كلاهما معًا فى قلب الإنسان ؟

جواب : كما إنه حينما توجد نار تحت إناء نحاس فإنك حينما تضع وقودًا تحت الإناء فإنه يسخن ويغلى الماء الذى بداخله لأن النار خارج الإناء تشتعل من تحته ، أما إذا أهمل الإنسان ولم يضع وقودًا تحت الإناء فإن النار تبتدئ فى الخمود وتنطفئ إلى حد ما . هكذا النعمة ، التى هى النار السماوية فإنها فى داخلك ومن خارجك. **فإذا كنت تصلى وتسلم أفكارك**

لمحبة المسيح تكون قد وضعت وقودًا للنار. وأفكارك تصير نارًا وتُغمر تمامًا في محبة الله. وحتى إذا انسحب الروح قليلاً كما لو كان خارجًا عنك ، فإنه لا يزال في داخلك، وعلاماته تظهر من الخارج. أما الذى يهمل ويعطى نفسه للانشغالات العالمية أو للهموم، فإن الخطية تأتى ثانية وتدخل إلى النفس وتؤذى الإنسان كله. ولذلك فإن النفس تذكر راحتها السابقة ، وتحزن وتتألم فترة طويلة .

٨ ــ ويعود العقل لليقظة والانتباه لله فتعود الراحة السابقة وتقترب منه من جديد. ويسعى في طلب الرب بغيرة واجتهاد شديد قائلاً " يارب إنى أتوسل إليك " . **وقليلا قليلاً تشتعل النار وتضطرم وتزداد وتنعش النفس وتقويها، مثل الصنارة التى تجذب السمكة من عمق البحر رويدًا رويدًا.** ولو لم يكن الأمر هكذا ، ولو لم يذق الإنسان المرارة والموت، فكيف كان يمكنه أن يميز المر من الحلو، والموت من الحياة ، وأن يعطى الشكر والمجد للآب معطى الحياة والابن والروح القدس إلى الأبد آمين.

✤✤✤✤✤✤✤

العظة الحادية والأربعون :

أعماق النفس

" عميقة جدًا هى أعماق النفس، وهى تزداد بمقدار درجة النعمة أو درجة الشر ".

١ ــ إن إناء النفس الثمين هو عميق جدًا، كما هو مكتوب " *هو يفحص العمق والقلب* " (ابن سيراخ٤٢: ١٨). لأنه حينما حاد الإنسان عن الوصية وصار تحت دينونة الغضب فإن الخطية أخذته تحت سلطانها، وحيث إن الخطية هى نفسها هاوية عميقة من المرارة فقد دخلت إلى داخل أعماق الإنسان واستولت على مراعى النفس حتى إلى أقصى أعماقها.

اختلاط الخطية بالنفس :

وهكذا يمكننا أن نشبه النفس والخطية حينما اختلطت بها كما لو أن هناك شجرة كبيرة جدًا ذات فروع كثيرة وتضرب بجذورها فى أقصى اعماق الأرض . هكذا الخطية فقد دخلت إلى الداخل وملكت على مراعى النفس العميقة، حتى انها صارت مألوفة وملازمة للإنسان وتنمو مع كل شخص منذ طفولته وتعاشره وتعلمه أمورًا شريرة.

عمل النعمة الإلهية والاجتهاد :

٢ ــ لذلك فحينما يظلل عمل النعمة الإلهية على النفس بحسب مقدار إيمان كل واحد، وينال الإنسان معونة من فوق فإن النعمة إنما تظلله جزئيًا فقط. **لذلك فلا يتصور أحد أن نفسه قد استنارت كلها مرة واحدة استنارة كلية. فلا يزال يوجد قدر من الخطية فى الداخل ، ويحتاج الإنسان إلى تعب وكد كثيرين على حسب النعمة المعطاة له.** ولهذا السبب تبتدئ النعمة أن

تفتقد الإنسان جزئيًا مع أنها تملك القوة أن تُطهر الإنسان وتكمله فى ساعة من الزمان. ولكنها تفتقد الإنسان جزئيًا لكى تمتحن قصد الإنسان لترى هل يحفظ حبه نحو الله كاملاً ، بحيث لا يتفاوض مع الشرير فى أى وقت بل يسلم نفسه كليةً للنعمة ؟ **وبهذه الطريقة عندما تنجح النفس مرة بعد مرة ، وهى لا تُحزن النعمة فى أى أمر ، فإن الإنسان ينال معونة متزايدة، والنعمة نفسها تجد مرعى لها فى النفس وتضرب بجذورها إلى أعماقها وفى كل أفكارها، إذ توجد النفس مقبولة وموافقة للنعمة بعد تجارب كثيرة ، إلى أن تتشبع النفس تمامًا بالنعمة السماوية التى تبدأ منذ ذلك الوقت فصاعدًا أن تملك فى الإناء نفسه** [1].

التواضع :

٣ ــ ولكن أى شخص لا يثبت فى تواضع كثير، فإنه يُسلم للشيطان ويتعرى من النعمة الإلهية التى سبق أن أُعطيت له فيُجرّب بشدائد كثيرة . وحينئذ يعرف نفسه على حقيقتها أنه عريان وشقى . ولذلك فإن الذى يكون غنيًا فى نعمة الله ينبغى أن يكون متضعًا جدًا وله قلب منسحق، وأن يعتبر نفسه فقيرًا ولا يملك شيئًا . وأن ما هو له لا يخصه وإنما قد ناله من آخر ويمكن أن يؤخذ منه حينما يشاء الذى أعطاه . **فالذى يتواضع هكذا أمام الله والناس يستطيع أن يحفظ النعمة المعطاة له كما يقول الرب " *من يضع نفسه يرتفع* " (لو١٤ : ١١) ورغم أنه مختار من الله ، فليعتبر نفسه كأنه مرذول . ورغم أنه أمين حقًا فليعتبر نفسه غير مستحق. إن مثل هذه النفوس تكون مرضية لله ، وتحيا وتنال الحياة بالمسيح ، الذى له المجد والقوة إلى الأبد** آمين .

---

[1] إناء النفس أى أعماقها راجع فقرة ١ .

العظة الثانية والأربعون :

روح النعمة وروح الشر

" ليست الأشياء الخارجية هى التى تنمى الإنسان أو تؤذيه، بل الداخلية ـ أى روح النعمة أو من الجهة الأخرى روح خبث ".

الروح القدس حصن النفس :

١ ـ إذا افترضنا أن هناك مدينة عظيمة ولكنها هُجرت وهُدمت أسوارها وأخذها الأعداء ، فإن عظمتها لا تنفعها شيئًا. بل لابد من عناية وحرص كثيرين يتناسبان مع عظمة المدينة، لذا ينبغى أن يكون لها أبواب قوية حتى لا يستطيع العدو أن ينفذ إليها . وبنفس الطريقة فإن النفوس المُزينة بالمعرفة والفهم وحِدّة الفهم هى مثل المدن العظيمة . ولكن ينبغى ان نسأل هل هذه النفوس مُحصنة بقوة الروح القدس حتى لا يستطيع الأعداء أن يدخلوا إليها ويخربوها . فإن حكماء العالم مثل أرسطو وأفلاطون وسقراط الذين كانوا ماهرين فى المعرفة كانوا مثل مدن عظيمة ولكنهم كانوا فى حالة خراب بسبب الأعداء لأن روح الله لم يكن فيهم .

٢ ـ ولكن كثيرين من بسطاء الناس الذين صاروا شركاء فى النعمة ، هم مثل مدن صغيرة ولكنها مُحصنة بقوة الصليب ، وهؤلاء لا يسقطون من النعمة إلاّ لسببين : إما لأنهم لا يحتملون الشدائد التى تأتى عليهم، أو لأنهم يتذوقون لذّات الخطية ويستمرون فيها بلا توبة ؟ إن أولئك الذين يسيرون فى طريق الملكوت لا يستطيعون أن يمضوا فيه بدون تجارب . وكما أنه فى حالة الحمل وولادة الأطفال فإن المرأة الفقيرة والملكة كلتاهما

تتوجعان بأوجاع مخاض واحدة ، وأيضًا أرض الإنسان الغنى مثل أرض الفقير إن لم تنل التفليح اللازم لها فإنها لا تأتى بالثمر المناسب .

فلاحة النفس بالاحتمال والصبر :

هكذا أيضًا فى فلاحة النفس فلا الإنسان الحكيم ولا الإنسان الغنى يملك فى النعمة إلاّ بالصبر والاحتمال والشدائد والأتعاب ، فإن حياة المسيحيين ينبغى أن تتحمل كل هذه ، وكما أن العسل إذ هو حلو لا يظهر منه سم أو مرارة ، **هكذا فإن مثل هؤلاء المسيحيين هم مملؤون حلاوة وخيرًا لكل الذين يقتربون منهم سواء كانوا صالحين أو أشرارًا كما يقول الرب "*كونوا صالحين مثل أبيكم السماوى*" (لو٦: ٣٦، مت٥: ٤٨) .**

إن الذى يؤذى الإنسان ويلوثه هو من الداخل لأنه " *من القلب تخرج الأفكار الشريرة* " (مت١٥: ١٩) هكذا يقول الرب ، فإن الإشياء التى تنجس الإنسان هى من الداخل.

خلع الإنسان العتيق ولبس الجديد :

٣ ـــ فإنه من الداخل يزحف روح الشر فى داخل النفس ، وهو يحاور العقل ، وهو يغرى، هذا هو حجاب الظلمة، أى الإنسان العتيق (٢كو٥: ١٧). الذى ينبغى أن يخلعه أولئك الذين يهربون إلى الله ، وينبغى أن يلبسوا الإنسان السماوى الجديد ، الذى هو المسيح (أف٤: ٢٢، كو٣: ٨). إذن فلا يضر الإنسان أو يؤذيه شئ من الخارج وإنما يؤذيه فقط روح الظلمة الذى يسكن فى القلب ، حيًا ونشطًا. لذلك ينبغى على كل واحد فى هذه المعركة أن يحارب فى أفكاره ضد الشر لكى يضئ المسيح فى قلبه، الذى له المجد إلى الأبد ، آمين .

العظة الثالثة والأربعون :

القلب

"عظة بخصوص نمو المسيحي وتقدمه، وأن كل قوة هذا النمو تعتمد على القلب ، كما هو موصوف هنا بطرق متنوعة ".

المصابيح :

١ ــ كما أن الأنوار والمصابيح الكثيرة تشتعل من نار واحدة ، وهذه الأنوار والمصابيح المشتعلة هى من طبيعة واحدة ، كذلك المسيحيون يشتعلون ويضيئون من طبيعة واحدة ، هى النار الإلهية ، أى ابن الله ، ولهم مصابيحهم مشتعلة فى قلوبهم ، وتضئ قدامه ، بينما هم يعيشون على الأرض كما أضاء هو. فإنه مكتوب: " *من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن البهجة* " (مز٤٥:٧). **ولهذا السبب سُمى مسيحًا ، حتى إذا مُسحنا نحن أيضًا بنفس الدهن الذى مُسح به هو، فإننا نصير مُسحاء من نفس الطبيعة الواحدة والجسد الواحد. ومكتوب أيضًا " *فإن المقدِّس والمقدَّسين جميعهم من واحد* " (عب٢:١١).**

٢ ــ لذلك فالمسيحيون من وجهة معينة هم مثل المصابيح التى تحوى الزيت فى داخلها ، أى ثمار البر. ولكنهم إن لم يشتعلوا بنور اللاهوت فى داخل نفوسهم فإنهم ليسوا شيئًا ، ولقد كان الرب هو المصباح المشتعل ، بسبب روح اللاهوت الذى حلّ فيه **جوهريًا وأشعل قلبه بحسب ناسوته.**

ولنأخذ مثالاً آخر : مثل الكيس البالي المملوء بالجواهر ، هكذا أيضًا المسيحيون فإنهم ينبغى أن يكونوا متضعين ومحتقرين من الخارج ، ولكنهم

من الداخل فى الإنسان الباطن ، يملكون " *الجوهرة الكثيرة الثمن* " (مت ١٣:٤٦). بينما هناك آخرون يشبهون " *قبورًا مبيضة تظهر من الخارج منقوشة ومزينة ولكن من الداخل مملوءة عظام أموات* " (مت٢٣:٧) وعفونة كثيرة وأرواح نجسة . إنهم أموات أمام الله وهم لابسون كل عار وخزى ونجاسة مع ظلام العدو .

القاصر والابن :

٣ ــ يقول الرسول إن الطفل مادام قاصرًا فإنه تحت أوصياء ووكلاء (غل٤:٢)، من أرواح الشر التى لا تريد الطفل أن ينمو لئلا يصير إنسانًا بالغًا ويبدأ أن ينظر إلى الأمور المختصة ببيت أبيه ويمتلك السيادة كابن للبيت . فالمسيحى ينبغى ان يذكر الله فى قلبه فى كل الأوقات كما هو مكتوب "*تحب الرب إلهك من كل قلبك* " (تث٦:٥، مت٢٢:٣٧) . فينبغى له أن يحب الرب ليس حين يذهب إلى مكان العبادة فقط ، **بل فى السير والكلام والأكل يحتفظ بذكر الرب ويحبه بكل قلبه**. إنه مكتوب " حيث *يكون قلبك هناك يكون كنزك أيضًا* " (مت٦:٢١، لو١٢:٣٤).

لأن ما يرتبط به قلب الإنسان وما تتجه إليه رغبته فهذا هو إلهه . فإن كان القلب يشتهى الله كل حين فيكون الله هو رب هذا القلب. أما إذا تخلى الإنسان عن أملاكه وتجرد من كل شئ وصار بلا مأوى وكان يمارس الأصوام، ولكنه لا يزال متعلقًا بحب نفسه أو بحب الأشياء العالمية أو بحب بيته أو والديه فحيثما يكون قلبه مقيدًا ويكون عقله أسيرًا يكون هناك إلهه ، ويكون قد خرج من العالم من الباب الأمامى ولكنه دخل إلى العالم وألقى نفسه فيه من الباب الجانبى .

الشياطين تتلاشى بقوة النار الإلهية :

وكما أن القضبان التى تُلقى فى النار لا تستطيع أن تقاوم قوة النار بل تحترق سريعًا ، هكذا فإن الشياطين التى تسعى أن تحارب ضد إنسان نال قوة بالروح ، فإنها تحترق وتتلاشى بقوة النار الإلهية **إن كان الإنسان ملتصقًا بالرب كل حين واضعًا ثقته ورجاءه فيه . وحتى إن كان الشياطين أشداء كالجبال القوية** ، فإنهم يحترقون بالصلاة، كما يذوب الشمع فى النار.

ولكن فى نفس الوقت هناك نضال كبير وحرب عظيمة للنفس ضد الشياطين وهناك تنانين وأفواه أسود ونار مشتعلة فى النفس .

فإن المنغمس فى الشر تمامًا الذى يسكر بروح الإثم ، لا يشبع من الشر سواء كان قتلاً أو زنى ، أما المسيحيون المُعمّدون بالروح القدس فليس لهم شركة مع الشر بالمرة .

ولكن أولئك الذين يختبرون النعمة ولكنهم مع ذلك يتهاونون مع الخطية فإن الخوف يسيطر عليهم فيعيشون حياتهم فى اضطراب وقلق .

٤ ـــ لأنه كما أن التجار أثناء سفرهم في البحر حتى إذا وجدوا الريح موافقة والبحر هادئًا ، ولكنهم لأنهم لم يصلوا بعض إلى الميناء فإنهم لا يزالون معرضين للخوف لئلا تهب فجأة ريح معاكسة ، فتهيج البحر وترتفع الأمواج وتصبح السفينة فى خطر ، هكذا المسيحيون أيضاً حتى وإذا كان لهم فى نفوسهم ريح موافقة من الروح القدس ، إلاّ أنه يحترسون لئلا تثور عليهم روح القوة المضادة وتسبب الاضطرابات وتثير العواصف على نفوسهم .

الحاجة إلى السهر واليقظة :

لذلك ، فهناك حاجة إلى سهر كثير ويقظة لكى ما نصل إلى ميناء الراحة فى العالم الكامل ، وإلى الحياة الدائمة والسعادة الأبدية إلى مدينة القديسين ، أورشليم السماوية ، إلى " كنيسة الأبكار " (عب١٢: ٢٣). فإذا لم يعبر الإنسان فى هذه الدرجات فإنه يكون تحت تأثير الخوف من أن تسبب له القوى الشريرة سقوطًا فى أى وقت من الأوقات .

حفظ الزرع الإلهى فى القلب :

٥ ــ وكما أن المرأة التى تحمل يكون الجنين فى داخل بطنها فى ظلام ومختفيًا عن العيون ، ولكن حينما يخرج الجنين فى الميعاد المناسب من البطن فإنه يرى خليقة جديدة لم يكن قد رأها قبلاً ، يرى السماء والأرض والشمس ، ويبدأ الأصدقاء والأقرباء يأخذونه بين ذراعيهم بوجوه فرحة ، ولكن إذا حدث شئ للجنين قبل ولادته حينئذ يتدخل الجراحون ويضطرون إلى استعمال الآلات الحادة حتى أن الطفل يعبر من موت إلى موت ومن ظلام إلى ظلام .

طبقوا هذا أيضًا على الحياة فى الروح، فإن كل الذين نالوا زرع اللاهوت فإنهم ينالونه فى الخفاء بطريقة غير منظورة، وبسبب الخطية الساكنة فيهم أيضًا فإنهم يخفون الزرع الإلهى فى أماكن خفية **فى داخلهم. فإذا حفظوا نفوسهم وحفظوا الزرع الإلهى فإنهم فى الوقت المناسب يُولدون ثانية بشكل منظور وبعد ذلك عند انحلال الجسد تستقبلهم الملائكة وكل الأرواح السماوية بوجوه فرحة.** ولكن إن كان الإنسان بعد أن ينال أسلحة المسيح ليقاتل بشجاعة، يتكاسل ويهمل، فإنه يقع فى أيدى الأعداء وعند

انحلال الجسد يعبر من الظلمة التى تحيط به الان إلى ظلمة أرادأ، وإلى الهلاك .

البستان والقلب :

٦ ــ مثال آخر : بستان يحوى أشجارًا كثيرة مثمرة ونباتات أخرى ذات رائحة عطرة وهو مُنسق تنسيقًا حسنًا وجميلاً ، وله سور صغير ليحفظه، فإذا افترضنا أن نهرًا متدفقًا بقربه ، فإنه حتى لو كان الماء الذى يصدم السور قليلاً فإنه يُفسد الأساس شيئًا فشيئًا ويحفر له مجرى حتى ينهدم السور من أساسه فتدخل المياه وتفسد النباتات وتقتلعها وتشوه جمال البستان وتجعله بلا ثمر .

هكذا الحال أيضًا مع قلب الإنسان . فالقلب فيه أفكار صالحة ، ولكن أنهار الشر تجرى دائمًا بالقرب من القلب وهى تسعى أن تشده إلى أسفل وتجتذبه إلى ناحيتها، فإذا مال العقل قليلاً إلى الطيش وإلى الأفكار النجسة، فإن أرواح الخطية تجد مكانًا فيه وتدخل وتفسد كل الجمال الذى كان للداخل وتمحو الأفكار الصالحة وتترك النفس خربة .

العين والقلب :

٧ ــ وكما أن العين عضو صغير بالمقارنة بكل أعضاء الجسم ، وإنسان العين صغير جدًا إلاّ أنه عظيم للغاية ، فإنه بنظرة واحدة يرى السماء والنجوم والشمس والقمر والمدن والمخلوقات الأخرى . وهذه المخلوقات نفسها التى تُرى بنظرة واحدة ، إنما تتشكل وتتصور فى إنسان العين الصغير. هكذا أيضًا العقل بالنسبة إلى القلب ، **فالقلب صغير ومع ذلك يوجد فيه تنانين وأسود ووحوش سامة وكل ينابيع الشر إلى جانب المهالك**

والطرقات الوعرة الخشنة، وفى نفس الوقت يوجد فيه الله نفسه، والملائكة والرسل،ويوجد فيه الحياة والملكوت والنور ، كذلك المدن السماوية وكنوز النعمة كل هذه توجد فيه.

وكما أن السحابة التى تمتد على العالم كله تجعل الإنسان لا يرى صاحبه، كذلك ظلمة هذا الدهر الممتدة على كل الخليقة وعلى كل الطبيعة البشرية منذ وقت العصيان، فإن البشر منذ ذلك الحين إذ ظللتهم الظلمة، صاروا فى الليل، وهم يصرفون حياتهم حيث الخوف والرعب . وكما يخيم الدخان الكثيف على غرفة البيت ، هكذا هى الخطية مع أفكارها النجسة، فإنها تملك على أفكار القلب وتزحف فيها ، ومعها شياطين بلا عدد.

سماع الكلمة ونوال نعمة الروح :

٨ ــ وكما يحدث فى الأمور المنظورة حولنا أنه فى وقت الحرب ، لا يذهب الحكماء والعظماء إلى الحرب ، بل يذهب الرعاع والمساكين والأميون [١] ، فإذا حدث أنهم انتصروا على الأعداء وطردوهم بعيدًا عن الحدود فإنهم ينالوا مكافآت وترقيات وأكاليل من الملك . وأما أولئك العظماء فإنهم يتخلفون وراءهم .

هكذا هو الحال أيضاً فى المجال الروحانى فإن البسطاء يسمعون الكلمة ويعملون بها على حب للحق وشوق فى قلوبهم ، فينالون من الله نعمة الروح . وأما الحكماء الذين يسعون وراء بلاغة الكلام بلا حب للحق فإنهم يهربون من الحرب ولا يتقدمون ، وبذلك يصيرون وراء أولئك الذين حاربوا وانتصروا .

---

[١] هكذا كان يحدث قديمًا .

٩ ـــ وكما أن الرياح تهب بشدة ، فإنها تهز كل المخلوقات التى تحت السماء وتصنع صوتاً عظيمًا جدًا . كذلك قوة العدو فإنها تهاجم الأفكار وتشوشها ، وتهز أعماق القلب وتلقى فى الفكر شكوكًا شريرة .

السعى فى طلب النعمة :

وكما أنه يوجد مكاّسون [٢] يجولون فى الطرق الضيقة ويمسكون بالعابرين ويغتصبون منهم أموالهم ، هكذا فإن الشياطين يتجسسون على النفوس ويحاولون أن يمسكوا بها . وعند خروج النفوس من الأجساد ، فإنها إن لم تكن مُطهرة تمامًا فإنهم لا يدعونها تصعد إلى منازل السماء لتلاقى الرب بل تسقطها شياطين الهواء إلى أسفل .

وأما إن كانت وهى فى الجسد تسعى وتطلب من الرب نوال النعمة التى من الأعالى فإن هذه النفوس بلا شك تشترك مع أولئك الذين سبق أن دخلوا بسيرتهم الفاضلة ، وتمضى معهم إلى الرب كما وعد هو قائلاً : " *حيث أكون أنا هناك أيضًا يكون خادمى* " (يو١٢: ٢٦). ويملكون إلى أبد الدهور مع الآب والابن والروح القدس ، الآن وإلى دهر الدهور آمين .

❖❖❖❖❖❖❖

[٢] محصلوا المكوس : أى الضرائب .

العظة الرابعة والأربعون :

تغيير وتجديد الإنسان بالمسيح

" التغيير والتجديد الذى يعمله المسيح فى الإنسان المسيحى ، وأن المسيح هو الذى يشفى اوجاع النفس وأمراضها ".

ضرورة التغيير :

١ ــ إن من يأتى إلى الله ، ويرغب أن يكون بالحق شريكًا للمسيح ينبغى ان يأتى واضعًا فى نفسه هذا الغرض: ألاّ وهو أن يتغير ويتحول من حالته القديمة وسلوكه السابق ، ويصير إنسانًا صالحًا جديدًا ولا يتمسك بشئ من الإنسان العتيق . لأن الرسول يقول " *إن كان أحدٌ فى المسيح فهو خليقة جديدة* " (٢كو٥:١٧) وهذا هو نفس الغرض الذى من أجله جاء ربنا يسوع ، **أن يغير الطبيعة البشرية ويحوّلها ويجددها ويخلق النفس خلقة جديدة، النفس التى كانت قد انتكست بالشهوات بواسطة التعدى. وقد جاء المسيح لكى يوحد الطبيعة البشرية بروحه الخاص، أى روح اللاهوت، وهو قد أتى لكى يصنع عقلاً جديدًا، ونفسًا جديدة، وعيونًا جديدة ، وآذانًا جديدة، ولسانًا جديدًا روحيًا، وبالاختصار أناسًا جددًا كلية ــ هذا هو ما جاء لكى يعمله فى أولئك الذين يؤمنون به . إنه يصيرهم أوانى جديدة ، إذا يمسحهم بنور معرفته الإلهى ، لكى يصب فيهم الخمر الجديد، التى هى روحه ، لأنه يقول إن " *الخمر الجديدة ينبغى أن تُوضع فى زقاق جديدة* " (مت٩:١٧).**

قوة المسيح على تغيير الإنسان وشفائه :

٢ ــ وكما أن العدو لما أخضع الإنسان لسيادته غيّره لحسابه الخاص إذ ألبسه الشهوات الشريرة وغطاه بها، ومسحه بروح الخطية ، وصب فيه

خمر الإثم والتعليم الشرير ، هكذا فإن الرب أيضًا إذ قد افتدى الإنسان وأنقذه من العدو، فقد جعله جديدًا ، ومسحه بروحه ، وسكب فيه خمر الحياة، والتعليم الجديد: تعليم الروح ، لأن الذى غيّر طبيعة الخمس خبزات وصيرها إلى خبزات تكفى لجمع كثير ، والذى أعطى نطقًا لطبيعة الحمار غير العاقل ، والذى غيّر الزانية إلى العفة والطهارة ، وجعل طبيعة النار المحرقة بردًا على أولئك الذين كانوا فى الأتون ، والذى غيّر طبيعة الأسد الكاسرة لأجل دانيال ، **فإنه يستطيع أيضًا أن يغيّر النفس التى كانت مقفرة وشرسة ، من الخطية إلى صلاحه الخاص ومحبته الشفوقة وسلامه، وذلك " *بالروح القدس الصالح* (روح الموعد) " (أف١: ١٣).**

٣ ــ وكما أن راعى الخراف يستطيع أن يشفى الخروف الأجرب ويحميه من الذئاب، كذلك المسيح الراعي الحقيقى فإنه لما أتى أستطاع هو وحده أن يغيّر ويشفى الخروف الضال الأجرب، أى الإنسان من جرب الخطية وبرصها ، لأن الكهنة واللاويين ومعلمى الناموس السابقين كانوا غير قادرين أن يشفوا النفس بواسطة تقديم القرابين والذبائح ورش دماء الحيوانات، بل لم يستطيعوا بواسطتها أن يشفوا حتى نفوسهم . فإنهم كانوا محاطين بالضعف. وكما هو مكتوب " *لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا* " (عب١٠: ٤).

الطبيب الحقيقى والراعى الصالح :

ولكن الرب يقول مُظهرًا ضعف وعقم أطباء ذلك العهد فقال لهم " *على كل حال تقولون لى هذا المثل أيها الطبيب أشفِ نفسك* " (لو٤: ٢٣) ، فكأنه يقول لهم ــ أنا لست مثل هؤلاء الأطباء الذين لا يستطيعون أن يُشفوا نفوسهم . بل " *أنا هو الطبيب الحقيقى والراعى الصالح ، الذى يبذل نفسه*

عن الخراف " (يو ١٠:١١)، وأنا أقدر أن أشفى "*كل مرض وكل ضعف في النفس*" (مت٤:٢٣). **أنا هو الحمل الذى بلا عيب ، الذى قُدم مرة ، وأنا أستطيع أن أشفى أولئك الذين يأتون إلى ، إن شفاء النفس الحقيقى إنما هو من الرب وحده كما قال يوحنا المعمدان "** ***هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم*** **" (يو١:٢٩)، أى خطية الشخص الذى يؤمن به ويضع رجاءه فيه ويحبه من كل قلبه .**

٤ ــ فالراعى الصالح إذن ، يشفى الخروف الأجرب . وأما الخروف فلا يستطيع أن يشفى خروفاً مثله . والإنسان ــ أى الخروف العاقل ــ إن لم يحصل على الشفاء ، فلا يكون له دخول إلى كنيسة الرب السماوية . وهذا ما قد قيل حتى فى الناموس كظل ومثال (لعهد النعمة) بخصوص الأبرص ، والرجل الذى فيه عيب . وبهذا المعنى يتكلم الروح رمزيًا أن كل أبرص وكل رجل فيه عيب لا يدخل فى جماعة الرب (لا٢١:١٧ــ٢٣ عد٥:٢). ولكنه أمر الأبرص أن يذهب إلى الكاهن ، ويطلب إليه بإلحاح كثير أن يأخذه إلى الخيمة ، وأن يضع يديه على البرص ، موضحًا البقعة المُصابة بالمرض ، وأن يشفيه .

الشفاء من الخطية ودخول الكنيسة السماوية :

وهكذا بنفس الطريقة فإن المسيح "*رئيس الكهنة الحقيقى للخيرات العتيدة*" (عب٩:١١) تواضع وانحنى على النفوس المصابة ببرص الخطية وهو يدخل إلى خيمة جسدها ويشفيها ويبرءها من أمراضها . وهكذا بهذه الطريقة يتمكن الشخص من الدخول إلى كنيسة القديسين السماوية أى إسرائيل الحقيقى .

فإن كل نفس مصابة ببرص خطية الشهوات ، ولم تأتِ إلى رئيس الكهنة الحقيقى ، ولم تشفِ الآن فى خيمة القديسين ومجمعهم ، فإنها لا تستطيع أن تدخل إلى الكنيسة السماوية . لأن تلك الكنيسة إذ هى طاهرة وبلا عيب فإنها تطلب النفوس الطاهرة والتى بلا عيب . كما يقول الكتاب " *طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله* " (مت٥:٩) .

٥ ــ فينبغى أن الشخص الذى يؤمن بالمسيح حقيقة ، أن يتغير من حالته الفاسدة الحاضرة إلى حالة جديدة، حالة الصلاح ، ويتحول من طبيعته الوضيعة الحاضرة إلى طبيعة اخرى ، أى طبيعة إلهية ، ويتجدد بقوة الروح القدس . وهكذا يكون لائقًا للملكوت السماوى .

ويمكننا الحصول على هذه الأشياء إن كنا نؤمن به ونحبه بالحق ونحيا سالكين بحسب جميع وصاياه .

فإن كان الخشب ــ وهو من طبيعة خفيفة عندما أُلقى فى الماء فى زمن إليشع قد أخرج الحديد الثقيل، فكم بالحرى جدًا عندما يرسل الرب نوره اللطيف الصالح ، وروحه السماوى ، فإنه بهذا يُخرج النفس التى غرقت فى مياه الشر ويجعلها خفيفة ويعطيها جناحين لتطير إلى أعالى السماء ، ويحولّها ويغيّرها عن طبيعتها الخاصة .

٦ ــ وفى العالم المنظور لا يستطيع أحد أن يعبر البحر بنفسه دون أن تكون له سفينة خفيفة مصنوعة من الخشب ، وهى التى تستطيع أن تسير على المياه ــ فإن أى إنسان يحاول أن يمشى على البحر بقدميه فإنه يغرق ويهلك .

وبنفس الطريقة لا تستطيع أى نفس أن تعبر بذاتها بحر الخطية المُر والهاوية الخطرة ، هاوية قوات الظلمة وأهواء الشر، إن لم تحصل على روح المسيح الخفيف السماوى الذى يعلو ويسير فوق كل شر ويعبر عليه،

فبواسطة هذا الروح يستطيع الإنسان أن يصل بطريق مباشر ومستقيم إلى ميناء الراحة السماوية ، إلى مدينة الملكوت .

وكما أن أولئك الذين يكونون فى السفينة لا يأخذون مياهًا للشرب من البحر ، ولا يحصلون منه على ملابس، وطعام لهم، بل يُحضرون كل هذه الأشياء معهم إلى السفينة، هكذا فإن نفوس المسيحيين لا تستمد طعامها من هذا العالم بل من فوق، من السماء. إذ تنال قوتًا سماويًا ولباسًا روحيًا وهكذا إذ ينالون الحياة من فوق وهم فى سفينة الروح الصالح، معطى الحياة، فإنهم يرتفعون فوق قوات الشر المعادية أى الرياسات والسلاطين. وكما أن جميع السفن تُبنى من مادة واحدة، هى مادة الخشب التى بواسطتها يستطيع الناس أن يعبروا البحر ، هكذا فمن نور اللاهوت السماوى الواحد يحصل المسيحيون على القوة التى بها يرتفعون فوق كل الشرور .

المسيح قائد النفس ومعينها :

٧ ــ ولكن كما أن السفينة تحتاج إلى ربان ، وإلى ريح حسنة معتدلة أيضًا لكى تمخر البحر بنجاح، هكذا **فإن الرب نفسه يسد كل هذه الاحتياجات فى النفس الأمينة . ويحملها فوق العواصف العميقة وأمواج الشر المفترسة وقوات رياح الخطية العاتية .**

وهو يفعل هذا باقتدار ومهارة وحكمة إذ يعرف كيف يُهدئ العواصف. لأنه بدون المسيح القائد السماوى لا يستطيع احد أن يعبر البحر الشرير، بحر قوات الظلمة وأمواج التجارب المرة. كما هو مكتوب " ***يصعدون إلى السموات ويهبطون إلى الأعماق*** **" (مز١٠٧:٢٦) . ولكن المسيح له معرفة كاملة كقائد سواء من جهة الحروب أو التجارب. وهو يعبر بالنفس فوق**

الأمواج الشديدة ، كما هو مكتوب " *لأنه فيما قد تألم مجربًا يقدر أن يعين المجربين* " (عب٢:١٨).

صلاح الرب وقدرته على التغيير :

٨ ــ لذلك ينبغى أن تتغير نفوسنا وتتحول من حالتها الحاضرة إلى حالة أخرى ــ إلى طبيعة إلهية وتصير خليقة جديدة بدلاً من العتيقة أى تصير صالحة شفوقة وأمينة بدلاً من كونها فى المرارة وعدم الإيمان. وهكذا إذ تصير مناسبة ولائقة فإنها تعود وتسكن فى الملكوت السماوى. لأن بولس المغبوط يكتب هكذا عن تغييره الذى به أدركه المسيح قائلاً: " *ولكنى أسعى لكى أدرك الذى لأجله أدركنى أيضًا المسيح يسوع* " (فى٣:١٢).

فكيف أدركه الله إذن ؟ إن ذلك يحدث مثلاً حينما يمسك طاغية بمجموعة من الأسرى ويسوقهم قدامه ثم بعد ذلك يدركهم الملك الحقيقى ويخلصهم منه ، وهكذا حينما كان بولس تحت سيادة وتأثير روح الخطية الظالم ، فإنه كان يضطهد الكنيسة ويتلفها . ولكن لأنه كان يفعل هذا عن غيرة لله ولكن بجهل ، فإنه كان يظن أنه يجاهد لأجل الحق، ولهذا فإن الله لم يهمله بل أدركه ، إذ أضاء حوله الملك السماوى الحقيقى بصورة تفوق الوصف وأنعم عليه بأن يسمع صوته، ولطمه كعبد [١] وأطلقه حرًا. فأنظر إلى صلاح السيد وقدرته على التغيير ، وكيف يستطيع أن يغير النفوس التى كانت مُغلّقة ومقيدة بالخطية والتى تحولت إلى حالة متوحشة وفى لحظة من الزمان يحوّلها إلى صلاحه وسلامه .

---

[١] لعل فى هذا إشارة إلى العادة التى كانت عند اليهود إذ كانوا يضربون العبد على وجهه كعلامة على إعطائه الحرية .

تغيير وتجديد نفوسنا هو الغرض من مجيء المسيح فى الجسد :

٩ ـــ إن كل شئ مستطاع لدى الله ! كما حدث فى حالة اللص على الصليب. ففى لحظة تغيّر بالإيمان وتحول وأُعطى أن يدخل إلى الفردوس. **وأن الغرض والهدف من مجئ الرب إلينا فى الجسد، هو أن يغيّر نفوسنا ويخلقها خلقة جديدة، ويجعلنا "*شركاء الطبيعة الإلهية*" كما هو مكتوب (٢بط ١:٤) وأن يعطى لأرواحنا روحًا سماوية ، أى روح اللاهوت ، قائدًا إيانا إلى كل فضيلة لنستطيع أن نحيا الحياة الأبدية .**

نوال تقديس الروح :

لذلك فلنؤمن بكل قلوبنا بمواعيده الفائقة الوصف لأن "*الذى وعد هو أمين*" (عب١٠:٢٣). لذلك، ينبغى أن نحب الرب ونجتهد أن نحيا فى كل فضلية ونطلب بلا انقطاع ونصلى باستمرار لكى ننال موعد روحه تمامًا وبصورة كاملة ، لكيما تدخل نفوسنا إلى الحياة وتوجد فيها ونحن لا نزال فى الجسد .

لأنه إن لم ينل الإنسان وهو فى هذا العالم ، تقديس الروح بكثرة الإيمان والصلاة، ويصير "مشتركًا" فى الطبيعة الإلهية ، ويتشرب النعمة، التى بها يستطيع أن يتمم كل وصية بنقاوة وبلا لوم فإنه لا يكون مُعدًا ولائقًا لملكوت السموات . لأن كل صلاح يحصل عليه الإنسان هنا فى هذا العالم هو نفسه سيكون له حياة يحيا بها ، فى ذلك اليوم بنعمة الآب والابن والروح القدس إلى الأبد آمين .

العظة الخامسة والأربعون :

حضور المسيح وحده يخلص الإنسان ويشفيه

" لا يستطيع العلم ولا يستطيع غنى هذا العالم أن يشفى نفس الإنسان بل حضور المسيح فقط هو الذى يشفيه ، وفى هذه العظة شرح لقرابة الإنسان العظيمة لله " .

١ ــ إن الذى اختار حياة العزلة ، ينبغى أن يعتبر أن جميع الأشياء الخاصة بهذا العالم ، أجنبية وغريبة عنه ، **فالذى يتبع صليب المسيح حقًا** فإنه بعد أن ينكر كل الأشياء حتى نفسه أيضًا (لو ١٤:٢٦) ينبغى أن يسمّر عقله فى حب المسيح ، فيفضل الرب على الوالدين والاخوة والزوجة والأولاد والأقرباء والأصدقاء والممتلكات لأن هذا ما علّم به الرب حينما قال: " *كل من لا يترك أباه أو أمه أو اخوته أو زروجته أو أولاده أو حقوله ويتبعنى فلا يستحقنى* " (أنظر مت١٠:٣٧، لو١٤:٢٦، مت١٩:٢٩). فليس بأحد غيره أو بشئ غيره الخلاص والسلام للناس كما سمعنا.

التغيير الذى أصاب النفس بالسقوط :

فكم من ملوك ظهروا من نسل آدم وملكوا على الأرض كلها وظنوا فى أنفسهم شيئًا عظيمًا بسبب سلطانهم الملوكى ، ومع ذلك لم يستطيع أى واحد منهم رغم كل ما له من سلطان أن يكشف الشر الذى تغلغل فى النفس بسبب معصية الإنسان حتى جعلها مظلمة تمامًا .

إنهم لم يعرفوا خطورة التغيير الذى أصاب النفس ــ وكيف أن العقل كان فى الأصل نقيًا ، وكان فى كرامة عظيمة إذ كان يتأمل إلهه دائمًا ،

وأما الآن فبسبب السقوط فقد اكتست النفس بالعار وعميت عينا القلب حتى لم تعودا تنظرا ذلك المجد الذى كان ينظره أبونا آدم قبل معصيته .

العلم والحكمة لا تخلص الإنسان :

٢ ـ وكان فى العالم أيضًا حكماء كثيرون بعضهم برزوا فى الفلسفة وآخرون فى السفسطة والمغالطة وآخرون فى الفصاحة والبلاغة ، وآخرون أحرزوا ثقافة عالية ، والبعض الآخر نبغوا فى الشعر وغيرهم كتبوا فى التاريخ والقصص ، كما أن هناك أيضًا كثيرون من أصحاب الحِرف الذين مارسوا فنون صنائعهم المختلفة فالبعض يحفرون على الأخشاب كل أنواع الطيور والأسماك وأشكال البشر . وفى هذا المجال اجتهدوا أن يُظهروا مهارتهم . والبعض الآخر رسموا صورًا أو نحتوا تماثيل من النحاس وغيره ، وآخرون أقاموا أبنية عظيمة وجميلة . وآخرون حفروا الأرض واستخرجوا منها الفضة والذهب وغيرها من الأحجار الكريمة الفانية . وآخرون كان لهم جمال جسدى ويفتخرون بجمال وجوههم وقد خدعهم الشيطان بالأكثر وأسقطهم فى الخطية . وكل هؤلاء الذين تكلمنا عنهم إذ قد أسرتهم الحية الساكنة فى داخلهم ، وإذ لم يعرفوا الخطية الساكنة فيهم ، صاروا عبيدًا لقوة الشر ولم ينفعهم عملهم أو فنهم أو مهارتهم شيئًا .

٣ ـ لذلك ، فالعالم المملوء بكل الأنواع ، إنما يشبه رجلاً غنيًا يملك بيوتًا عظيمة فاخرة ، ويملك ذهبًا وفضة وممتلكات كثيرة وعنده خدام كثيرون ، ولكنه مضروب بآلام وأمراض صعبة . هذا رغم غناه ورغم التفاف جميع أفراد أسرته حوله ، فإنهم لا يستطيعون أن يريحوه من آلامه وأوجاعه .

حضور المسيح وحده يطهر النفس والجسد :

إذن ، فلا يوجد شئ فى هذه الحياة ، لا الاخوة، ولا الغنى، ولا القوة، ولا أى شئ مما ذكرناه سابقًا يستطيع أن يشفى إنسان من الخطية التى غرق فيها ، حتى صار غير قادر أن يرى الأشياء بوضوح بل إن حضور المسيح وحده هو الذى يستطيع أن يطهر النفس والجسد. لذلك فلنطرح جانبًا كل هموم هذه الحياة ونصرخ إلى الرب ليلاً ونهارًا مكرسين نفوسنا له . إن هذا العالم المنظور وما فيه من ملذات إنما تُرضى الجسد فقط ، ولكنها تزيد أتعاب النفس وأمراضها وتكثر آلامها .

٤ ــ كان هناك إنسان حكيم أراد أن يسعى بكل جهده ليختبر كل أمور هذا العالم لعله يجد فيها منفعة أو فائدة . فذهب إلى الملوك وأصحاب السلطان والحكام ولم يجد خلاصًا ولا شفاءً لنفسه بعد أن أمضى معهم زمنًا طويلاً ، فى النهاية لم ينتفع شيئًا ــ فمضى إلى حكماء العالم وفلاسفته ، وذهب إلى الخطباء ولكنه تركهم أيضًا إذ لم يجد لديهم ما ينتفع به . ثم واصل سعيه فوصل إلى الرسامين والذين يستخرجون الذهب والفضة من بطن الأرض وإلى أصحاب الحرف الفنية لكنه لم يجد أيضًا عند كل هؤلاء ما يشفى نفسه الجريحة .

وأخيرًا ترك هؤلاء جميعًا وبدأ يطلب الله نفسه ، الله الذى يشفى آلام النفس وأمراضها . وبينما هو يفكر فى نفسه ويتأمل فى تلك الأمور عبرت فى مخيلته أشياء كثيرة .

٥ ــ ولنأخذ مثلاً آخر : إذا كانت هناك امرأة غنية تملك أموالاً كثيرة وبيتًا فاخرًا ولكنها مع ذلك لا تجد من يحميها ، فهناك كثيرون يهاجمونها راغبين أن يلحقوا بها الأذى والخراب ، فلأنها لا تستطيع أن تقبل هذا

الأذى والهجوم فهى لذلك تبحث عن زوج قوى يكون كفوًا لهذا الغرض ومتدربًا من جميع الوجوه . وحينما تجد مثل هذا الرجل بعد سعى كثير ، فإنها تفرح به فرحًا عظيمًا وتجد فيه حصنًا يحميها .

قرابة النفس لله :

هكذا النفس البشرية فإنها بعد السقوط قد جُرحت كثيرًا ولفترة طويلة من القوة المعادية وصارت فى خراب عظيم وأصبحت " *أرملة ووحيدة* " (اتى٥:٥)، متروكة من العريس السماوى بسبب تعديها الوصية وصارت ألعوبة فى يد كل القوات الشريرة (إذ أنهم جردوها وأخرجوها عن عقلها وضللوها عن المعرفة الروحية الحقيقية، حتى لا ترى أو تدرك ما فعلوه بها بل جعلوها تظن أنها قد خُلقت على هذا الحال منذ البداية). **وبعد ذلك حينما سمعت كلمة الله وأدركت غربتها عن الله وكيف أنها صارت مرذولة بسبب سقوطها بدأت تئن وتتوسل أمام الله محب البشر فوجدت الحياة والخلاص . لماذا ؟ لأنها رجعت ثانية إلى مصدرها الأصلى . فلا توجد قرابة أو رابطة مثل قرابة النفس لله أو قرابة الله للنفس .**

لقد صنع الله أنواعًا مختلفة من الطيور ــ بعضها يبنى عشه ويحصل على قوته من الأرض . وطيور أخرى تأخذ قوتها من تحت الماء . وقد صنع أيضًا عالمين ، واحد علوى لأرواح الملائكة الخادمة (عب١:١٤) ، وحدد لهم فيه نظام حياتهم ، وآخر سفلى للبشر على هذه الأرض تحت هذا الهواء الذى نتنفسه .

الله سُرّ بالإنسان وحده :

لقد خلق الله أيضًا السماء والأرض، والشمس والقمر، والمياه والأشجار المثمرة وكل أنواع الكائنات الحية وأجناسها. ولكنه لا يجد راحته فى اى

من هذه المخلوقات . إنه يحكم كل الخليقة ، ولكنه لم يثبّت عرشه فيها ولا دخل فى شركة معها . **بل إن الله قد سُرّ بالإنسان وحده ودخل فى شركة معه وفيه وحده استراح.**

النفس لا تجد راحتها إلاّ فى الرب :

أنظر إذن كم هى قرابة الله للإنسان وقرابة الإنسان لله! لذلك فإن النفس الحكيمة بعد مرورها على جميع المخلوقات لا تجد راحة لنفسها، إلاّ فى الرب وحده والرب أيضًا لا يُسرّ بأحد سوى الإنسان وحده .

٦ ــ فإذا رفعت عينيك نحو الشمس ، فإنك تجد دائرتها فى السماء ولكنها ترسل نورها واشعتها إلى الأرض ، وتوجه كل قوة النور وبهائه إليها . **هكذا الرب أيضًا فإنه يجلس عن يمين الآب " *فوق كل رياسة وسلطان*" (أف١: ٢١) ولكنه يمد بصره وينظر إلى قلوب الناس على الأرض، لكى يرفع إليه الذين يترجون نعمته وعونه . ولهذا فهو يقول : " *حيث أكون أنا هناك أيضًا يكون خادمى* " (يو١٢: ٢٠)، وأيضًا بولس يقول : " *أقامنا معه وأجلسنا معه عن يمينه فى السمويات* " (أف٢: ٦).**

إن الحيوانات غير العاقلة هى أحكم منا إذ أن كل منها ملازم لطبيعته الخاصة ، فالحيوانات المتوحشة تلازم الطبع الوحشى ، والخراف تلازم طبيعتها ، **وأما أنت فإنك لا ترتفع إلى أصلك السماوى الذى هو الرب نفسه، بل تسلم نفسك لأفكار الشر وترضى بها فى داخلك ، وبذلك تجعل نفسك حليفًا للخطية وتحارب إلى جانبها ضد نفسك** . وهكذا تصير فريسة للعدو مثل الطير الصغير الذى يمسكه النسر ويأكله ، أو مثل الخروف حينما يمسكه

الذئب أو مثل الطفل الجاهل الذى يمد يده للحية فتلدغه وتقتله . كل هذه الأمثلة إنما توضح ما يحدث فى الحياة الروحانية .

الشركة الكاملة مع العريس السماوى هى الهدف :

٧ ــ إن العذراء المخطوبة لرجل تقبل منه هدايا كثيرة قبل الزواج : جواهر وملابس وأوانى ثمينة ، ولكنها لا تقتنع ولا ترضى بكل هذه الهدايا إلى أن يأتى يوم العرس الذى فيه تصير واحدًا معه ، **كذلك أيضًا ، النفس المخطوبة كعروس للعريس السماوى فإنها تنال منه كعربون من الروح مواهب شفاء أو معرفة أو إعلانات. ولكنها لا تقنع بهذه العطايا بل تترجى الوصول إلى الشركة الكاملة معه والاتحاد به ، أى المحبة التى لا تتغير ولا تسقط أبدًا بل تحرر طالبيها من الشهوات والقلق والتشويش .**

والطفل الصغير الذى يزينونه بجواهر وملابس ثمينة فإنه حينما يجوع لا يفكر فى شئ مما يلبسه ، بل يتجاهل كل هذه الزينة ويهتم فقط بالوصول إلى ثدى مرضعته ليحصل منها على اللبن. وعلى هذا المثال يمكنك أن تقيس مواهب الله الروحانية ، الذى له المجد إلى الأبد آمين .

⁂⁂⁂

العظة السادسة والأربعون :

أولاد الله وأولاد العالم

" الفرق بين كلمة الله وكلمة العالم ، وبين اولاد الله وأولاد هذا العالم " .

كل مولود يشبه من ولده :

١ ــ كلمة الله هى الله ، وكلمة العالم هى العالم. ويوجد فرق عظيم وبون شاسع بين كلمة الله وكلمة العالم، وبين أولاد الله وأولاد العالم . فإن كل مولود يشبه والديه . لذلك فإن كان المولود من الروح يختار أن يعطى نفسه لكلمة العالم وللأمور الأرضية ولمجد هذا العالم الحاضر ، فإنه يموت ويهلك، إذ أنه لا يجد ما يشبعه شبعًا حقيقيًا فى الحياة . فإن ما يشبعه إنما هو من الروح الذى منه وُلد. كما يقول الرب إن من تحاصره هموم هذه الحياة وتربطه الرباطات الأرضية، " *يختنق ويصير بلا ثمر لكلمة الله* " (مر ٤:١٩).

وبنفس الطريقة فإن الإنسان العالمى الذى تمتلكه الرغبات الجسدية ، إذا حدث أنه سمع كلمة الله فإنه يختنق ويصير كمن لا عقل له . وذلك لأنه اعتاد على خداعات الخطية. فحينما يحدث أن يسمع مثل هذا الإنسان عن الله فإنه يحس بثقل شديد وينفر من كلام الله كأنه حديث سخيف متعب. وكأنه قد أُصيب بمرض من هذا الكلام الإلهى.

٢ ــ ويقول الرسول بولس " *الإنسان الطبيعى لا يقبل الأشياء التى للروح لأنها عنده جهالة* " (١كو٢:١٤) ويقول النبى " *وكان قول الرب لهم*

كالقئ "[1] ، وهكذا ترى أنه من المستحيل أن يحيا أى إنسان إلاّ بحسب الكلمة التى وُلد منها .

ويمكن أن نشرح هذا بطريقة أخرى. فإذا قرر الإنسان الجسدانى أن يتغير فإنه أولاً يموت عن المجال الخاص به ويصير بلا ثمر فى الأشياء التى كان يعيش فيها قبلاً فى الشر . ولكن كما يحدث فى حالة الإنسان الذي يُصاب بمرض أو بحمى، رغم أن جسده يكون مطروحًا على الفراش، عاجزًا عن ممارسة أى عمل من أعمال الأرض، إلاّ أن عقله لا يكون فى راحة بل يذهب هنا وهناك مهتمًا ومفكرًا فى إشغاله ، أو فى التفكير فى استدعاء الطبيب أو فى إرسال أصدقائه لإحضاره. وهكذا بنفس الطريقة ، النفس التى مرضت بالأهواء بسبب تعديها للوصية، وأصبحت فى حالة عجز ، **فإنها تستطيع أن تأتى إلى الرب وتؤمن به فتنال نعمته وتحصل على معونته. وإذ تجحد سيرتها الأولى الشريرة ، حتى وإن كانت لا تزال ضعفاتها القديمة باقية فيها، ولازالت غير قادرة على أن تتمم أعمال الحياة الروحية ، إلاّ أنها تكون منشغلة باهتمام بالحياة فى الرب، وتصلى إلى الرب وتطلب الطبيب الحقيقى .**

محبة الله وحنانه نحو الإنسان :

٣ ـ إن الأمر ليس كما يقول بعض الذين ضلوا بتأثير تعاليم فاسدة مدعين أن الإنسان قد مات موتاً كاملاً ومطلقًا، وأنه لا يستطيع أن يتمم أى شئ من الصلاح، ولكننا نقول لهم، إن الطفل الرضيع رغم أنه عاجز عن أن يتمم أى شئ، ولا يستطيع أن يمشى على قدميه ليذهب إلى أمه، إلاّ أنه

[1] الإشارة إلى إش٢٨:١٣ بحسب إحدى المخطوطات القديمة العروفة بنسخة ثيودبتون .

يصنع أصواتًا ويبكى ويحبو طالبًا أمه. والأم تحن إليه وتفرح أن الطفل يبحث عنها بأنين وبكاء، ورغم أن الطفل لا يستطيع أن يأتى إليها، ولكن بسبب تفتيش الطفل الكثير عنها، فإنها تأتى هى نفسها إليه مغلوبة بالحنان والحب لطفلها. وتأخذه بين ذراعيها وتحتضنه وتغذيه بحب عظيم وحنان كبير. **وبنفس الطريقة فإن الله محب البشر فى حنانه نحو الإنسان، يفعل هكذا مع النفس التى تأتى إليه وتطلبه باشتياق. ولأنه يكون مدفوعًا بالمحبة، من ذاته، وبالصلاح الطبيعى الخاص به، إذ هو الكلى الصلاح، فإنه يلتصق بتلك النفس ويصير معها "*روحًا واحدًا*" كما يقول الرسول(١كو٦:١٧).**

النفس والرب يصيران روحًا واحدًا :

وحينما تلتصق النفس بالرب، ويعطف عليها الرب ويحبها ويأتى إليها ويلتصق بها ، وتكون نية الإنسان وقصده أن يستمر بلا انقطاع أمينًا لنعمة الرب، فإن الرب والنفس يصيران "*روحًا واحدًا*" وتركيبة واحدة وعقلاً واحدًا، وبينما يكون جسدها مطروحًا على الأرض فإن العقل يكون بكليته فى أورشليم السماوية مرتفعًا إلى السماء الثالثة، ويلتص بالرب ويخدمه هناك .

٤ ــ وبينما يكون الله جالسًا فى عرش العظمة فى الأعالى فى المدينة السماوية ، فهو يكون بكليته فى شركة مع النفس وهى فى الجسد الخاص بها . لقد وضع صورة النفس فوق فى أورشليم ، المدينة السماوية ــ مدينة القديسين ، وقد وضع صورته الخاصة أى صورة نور لاهوته الفائق الوصف ــ فى جسدها . وهو يخدمها فى مدينة جسدها ، بينما هى تخدمه فى المدينة السماوية . لقد صارت وارثة له فى السماء وصار هو وارثها على الأرض . فالرب يصير ميراثًا للنفس وتصير النفس ميراثًا للرب .

فإن كان قلب الخطاة الذين فى الظلمة أو عقلهم يستطيع أن يمضى بعيدًا عن الجسد ويستطيع أن يتجول فى أمكنة بعيدة ، وفى لحظة يسافر إلى أقطار بعيدة ، وأحيانًا بينما يكون الجسد مُلقى على الأرض ، يكون العقل فى بلاد أخرى مع صديق يحبه، ويرى نفسه كأنه يعيش هناك معه ، فأقول إن كانت نفس الخاطئ هكذا خفيفة ونشيطة حتى أن عقلها لا يحجزه بُعد المسافات ، فكم بالأولى جدًا تكون النفس التى نزع الرب عنها حجاب الظلمة بقوة الروح القدس وقد استنارت عيونها العقلية بالنور السماوى، وقد أُعتقت تمامًا من شهوات الخزى ، وصارت طاهرة بالنعمة ، فإنها تخدم الرب كلية فى السماء بالروح ، وتخدمه كلية فى الجسد ، وتتسع فى أفكارها حسبما يريد لها الرب وحيثما يريد لها أن تخدمه .

٥ ــ فهذا ما يقوله الرسول " *لكى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعلو والعمق ، وتعرفوا محبة المسيح التى تفوق المعرفة ، لكى تمتلئوا إلى كل ملء الله* " (أف٣:١٨،١٩). **فتأمل فى الأسرار الفائقة الوصف ، التى لتلك النفس التى ينزع الرب عنها الظلمة المحيطة بها ، ويكشف عن عينيها ويظهر لها ذاته أيضًا ، وكيف يمد ويوسع أفكار عقلها إلى الأعراض والأطوال والأعماق والارتفاعات التى فى الخليقة المنظورة وغير المنظورة .**

الرب صنع النفس لكى يصيرها عروسًا له :

فالنفس هى حقًا صنيع إلهى عظيم مملوء عجبًا . وحين صنعها الرب، صنعها من طبيعة ليس فيها شر، بل صنعها على صورة فضائل الروح

(القدس) . ووضع فيها قوانين الفضائل والبصيرة، والمعرفة والفطنة ، والإيمان، والمحبة والفضائل الأخرى بحسب صورة الروح .

٦ ـ وإلى الآن فإن الرب يمكن أن يأتى إليها ويكشف لها ذاته بالمعرفة والفطنة والمحبة والإيمان. وقد وضع فيها فهمًا وملكات فكرية ، ومشيئة وعقلاً مدبرًا . وقد جعلها أيضًا لطيفة جدًا وصيرها خفيفة متحركة وغير خاضعة للتعب . ووهبها القدرة على المجئ والذهاب فى لحظة ، وأن تخدمه فى أفكارها حيثما يشاء الروح. وبالإجمال فإنه خلقها لكى يصيرها عروسًا له وتدخل فى شركة معه، لكيما يلتصق بها ويصير " *روحًا واحدًا* " معها كما يقول الرسول " *وأما من التصق بالرب فهو روح واحد* " (١كو٦:١٧) الذى له المجد إلى الأبد أمين .

العظة السابعة والأربعون :

الرمز والحقيقة

" تفسير رمزى للأشياء التى كانت تُصنع تحت الناموس " .

المجد على وجه موسى :

١ ــ إن المجد الذى ظهر على وجه موسى كان رمزًا للمجد الحقيقى وكما أن اليهود لم يستطيعوا " *أن ينظروا إلى وجه موسى* " (٢كو٣:٧) ، هكذا فإن المسيحيين يحصلون على مجد النور فى داخل نفوسهم ، أما الظلمة ــ إذ لا تحتمل لمعان النور ــ تضمحل وتهرب .

الختان وتطهيرات الجسد :

وأولئك القدماء كانوا يُعرفون أنهم شعب الله بواسطة علامة الختان الظاهر . وأما هنا الآن فإن شعب الله ينالون علامة الختان فى قلوبهم من الداخل . لأن السكين السماوية تقطع الجزء الزائد من العقل ، أى غلفة الخطية النجسة . وفى القديم كانت لهم معمودية لتطهير الجسد . أما عندنا نحن فتوجد معمودية الروح القدس والنار . فهذا هو ما كرز به يوحنا " هو سيعمدكم *بالروح القدس ونار* " (مت٣:١١) .

مسكن خارجى وآخر داخلى :

٢ ــ وفى القديم كان هناك مسكن خارجى وآخر داخلى. "*وكان الكهنة يدخلون إلى المسكن الأول كل حين صانعين الخدمة. وأما إلى الثانى فرئيس الكهنة فقط مرة واحدة فى السنة، بالدم، معلنًا الروح القدس بهذا أن*

طريق الأقداس لم يكن قد أظهر بعد " (عب٩: ٦ــ٨). وأما هنا من الجهة الأخرى ، فإن الذين يُحسبون أهلاً لذلك هم الذين يدخلون إلى " ***المسكن غير المصنوع بيد ، حيث دخل المسيح كسابق لأجلنا*** " (عب٦: ٢٠).

العصفوران :

إنه مكتوب فى الناموس أن الكاهن يأخذ عصفورين ويذبح أحدهما ويرش العصفور الحى بدم المذبوح ، ويطلق الحى ليطير حرًا (أنظر١٤: ٤ــ٧) . ولكن هذا الذى كان يُصنع قديمًا إنما هو رمز " وظل " للحق ، لأن المسيح قد ذُبح ، وبدمه المرشوش علينا جعل لنا أجنحة ، فإنه أعطانا أجنحة روحه القدوس ، لكيما نطير فى جو اللاهوت بلا عائق .

الناموس المكتوب على ألواح حجر :

٣ ــ وفى العهد القديم أُعطى لهم الناموس مكتوبًا على ألواح من حجر ، وأما لنا نحن فالقوانين الروحانية " *مكتوبة على ألواح قلب لحمية* " (٢كو ٣: ٣) ، لأنه مكتوب : " *أجعل نواميسى فى قلوبهم ، وأكتبها فى أذهانهم* " (عب١٠: ١٦). وتلك الأشياء كلها كانت إلى وقت معين وقد تلاشت ، وأما الآن (فى العهد الجديد) فكل شئ يتم بالحق فى الإنسان الباطن . فالعهد موجود فى الداخل والمعركة أيضًا فى الداخل ، وبالإجمال " *فإن كل الأشياء التى حدثت لهم ، إنما كانت مثالاً ، وكُتبت لإنذارنا* " (١كو١٠: ١١).

عبودية مصر :

لقد أنبأ الله إبراهيم بما سيحدث قائلاً : " *أعلم يقينًا أن نسلك سيكون غريبًا فى أرض ليست لهم ويُستعبدون لهم فيذلونهم أربع مئة سنة* " (تك ١٥: ١٣)، وقد تحققت هذه النبوءة تمامًا . لأن الشعب تغرب واستُعبد

للمصريين الذين " *مرروا حياتهم فى الطين واللبن*" (خر ١:١٤) . وقد جعل فرعون عليهم رؤساء تسخير لكى يذلوهم ويسوقوهم قسرًا . وحينما تنهد بنو إسرائيل إلى الله من العبودية (خر٢:٢٣) فإن الله نظر إليهم وافتقدهم بواسطة موسى (خر٢:٢٥). وبعد أن ضرب المصريين ضربات كثيرة ، أخرج بنى إسرائيل من مصر فى شهر الزهور عند بزوغ فصل البهجة أى فصل الربيع وبعد انتهاء ظلمة الشتاء .

دم الحمل على الأبواب :

٤ ــ وقد أمر الرب موسى ان يأخذ حملاً بلا عيب ، ويذبحه ويرش دمه على القائمتين والعتبة العُليا " *لئلا يمسهم الذى أهلك أبكار المصريين* " (عب١١:٢٨)، وعندما رأى الملاك الذى أُرسل ، علامة الدم من بعيد عَبَرَ (عن تلك البيوت) ، ولكنه دخل إلى البيوت التى ليست عليها علامة الدم وأهلك الأبكار .

نزع الخمير وأكل خروف الفصح :

وأمرهم لله أيضًا أن ينزعوا الخمير من كل بيت ، ويأكلوا خروف الفصح المذبوح، مع فطير ، على أعشاب مُرّة ، ويأكلوه وأحقاؤهم مشدودة وأحذيتهم فى أرجلهم وعصيهم فى أيديهم . وهكذا أمرهم أن يأكلوا فصح الرب بكل عجلة فى المساء ، وأن لا يكسروا عظمًا منه .

٥ ــ " *وأخرجهم بفضة وذهب* " (مز١٠٥:٣٧) ، إذ أمرهم أن يستعير كل منهم من جاره المصرى أوانى ذهب وفضة ، وخرجوا من مصر بينما كان المصريون يدفنون أبكارهم ، وخرجوا فرحين بتحررهم من العبودية القاسية ، أما الحزن والبكاء فكان من نصيب المصريين بسبب هلاك

أبكارهم . ولذلك قال موسى : " *هذه الليلة هى للرب* " (خر١٢:٤٢) التى وعد أن يفتدينا فيها .

فكل هذه الأشياء إنما هى سر النفس التى افتُديت بمجئ المسيح ، لأن كلمة " إسرائيل " تُفسر بمعنى : العقل الذى يعاين الله ـــ فإنه يتحرر من عبودية الظلمة ، أى من المصريين روحيًا .

٦ ـــ فإنه منذ أن مات الإنسان بالمعصية ذلك الموت الخطير ، ونال لعنة فوق لعنة : " *شوكًا وحسكًا تنبت لك الأرض* " (تك٣:١٨) وأيضًا : "*متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها* " (تك٤:١٢) ـــ فمنذ ذلك الوقت نبت الشوك والحسك وظهر فى أرض القلب . وجرده أعداؤه من مجده بالخديعة وألبسوه العار والخزى .. نزعوا عنه نوره وألبسوه لباس الظلمة، وقتلوا نفسه وشتتوا أفكاره وقسموها ، وأحدروا عقله من الأعالى حتى صار الإنسان ـــ إسرائيل ـــ عبدًا لفرعون الحقيقى ، فجعل عليه مسخرين ليعمل أعماله الشريرة وليكمل بناء الطين واللبن. وهذه الأرواح الشريرة أبعدته عن حالة حكمته السماوية ، وهبطت به إلى الأعمال المادية الأرضية فى الطين أى أعمال الشر وإلى الكلمات والرغبات والتصورات الباطلة الشريرة . لأن الإنسان لما سقط من علوه ، وجد نفسه فى مملكة معادية تكره الإنسان ، وفى هذه المملكة يغصبه حكامها على أن يبنى لهم مدنًا شريرة للخطية .

الصراخ إلى الله ودم الخروف :

٧ ـــ ولكن إذا صرخ الإنسان وتنهد إلى الله ، فإنه يرسل إليه موسى الروحانى الذى يخلصه من عبودية المصريين . **ولكن ينبغى على النفس أن تصرخ أولاً وبعد ذلك تبتدئ أن تحصل على الفداء والتحرر** ، وهى

أيضًا تتحرر فى شهر الزهور الجديدة ، فى الربيع حينما تستطيع أرض النفس أن تنبت أغصان البر الجميلة المزهرة ، وحين تكون عواصف شتاء جهالة الظلمة قد انتهت وقد تلاشى العمى الخطير الناشئ عن الخطايا والأعمال الشرير. **وحينئذ يأمر الرب أيضًا بنزع كل خميرة " عتيقة " (اكو ٥:٧) ، من كل بيت أى بطرد كل أعمال وأفكار " *الإنسان العتيق الفاسد* " (أف ٤ : ٢٢) وكل أفكاره الشريرة ورغباته الدنيئة .**

٨ ــ ثم أن الخروف كان ينبغى ذبحه وتضحيته وأن تُرش الأبواب بدمه: لأن المسيح الحمل الصالح الذى بلا عيب قد ذُبح من أجلنا ، وبدمه رُشت أبواب القلب ، حتى أن دم المسيح المسفوك على الصليب يصير حياة وفداء للنفس وأما للشياطين فإنه يصير حزنًا وموتًا .

لأن دم الحمل الذى بلا عيب هو حقيقة حزن لهم، أما للنفس فهو فرح وبهجة.

الأعشاب المُرة والأحقاء المشدودة :

وبعد رش الدم يأمر الرب بأكل الحمل مساءً مع فطير وأعشاب مُرة وبأحقاء مشدودة والأحذية فى الأرجل والعصا فى الأيدى ــ **لأنه إن لم تستعد النفس من كل ناحية أن تمارس الأعمال الصالحة بأقصى ما تستطيع من قوة ، فإنه لا يُعطى لها أن تأكل من الحمل . ورغم أن الحمل لذيذ وحلو والفطير حسن المذاق إلاّ أن الأعشاب مُرة وخشنة فإنه بتعبٍ كثير ومرارة تأكل النفس من الفطير الصالح ، لأن الخطية التى تسكن فيها تسبب لها ضيقًا ومرارة .**

أكل الفصح مساءً :

٩ ــ ويقول الكتاب أيضًا إن الرب أمرهم أن يأكلوا خروف الفصح فى المساء وهى الفترة المتوسطة بين النور والظلمة . هكذا النفس أيضًا حينما

تقترب من الفداء والتحرر فإنها توجد بين النور والظلمة ، وفى هذه الأثناء تقف قوة الله بجوارها وتسندها ، ولا تسمح للظلمة أن تدخل إلى النفس وتبتلعها .

وكما أن موسى قال: هذه هى ليلة موعد الله ، هكذا المسيح أيضًا حين دُفع إليه الكتاب فى المجمع ــ كما هو مكتوب فى الإنجيل ــ دعا تلك السنة "سنة الرب المقبولة" ويوم الفداء، فهناك فى (العهد القديم) كانت الليلة، ليلة عقاب، وأما هنا فاليوم هو نهار فداء . وهكذا هو الأمر بالحقيقة لأن كل تلك الأشياء كانت رمزًا وظلاً للحق ، وكانت ترسم ــ بطريقة سرية ــ صورة الخلاص الحقيقى للنفس التى كانت مغلقًا عليها فى الظلام. مقيدة فى " *الجب الأسفل*" (مز٨٨:٦) ومحبوسة وراء " *مصاريع نحاس* " (مز١٠٧:١٦). ولم يكن لها القدرة على أن تنطلق حرة بدون فداء المسيح.

المسيح يُخرِج النفس من العبودية :

١٠ ــ فإنه يُخرج النفس من مصر ــ من العبودية التى فيها ــ ويقتل أبكار مصر عند الخروج . فإن جزءً من قوة فرعون الحقيقى قد سقط واستولى الحزن على المصريين ــ لأنهم كانوا يئنون حزنًا على انفلات الأسرى من بين أيديهم . وقد أمر الرب الشعب أن يستعيروا أوانى ذهب وفضة من المصريين ، وأن يأخذوها معهم عند خروجهم . **لأن النفس عند خروجها من الظلمة فإنها تسترد أوانى الفضة والذهب ، وأعنى بها أفكارها الصالحة " مُطهرة سبع مرات فى النار " (مز١٢:٦). وهذه هى الأفكار التى تُقدم بها العبادة لله وفيها يجد مسرته . لأن الشياطين الذين كانوا قبلاً جيرانًا للنفس، قد شتتوا أفكارها واستولوا عليها وخربوها . فطوبى للنفس التى**

تُفتدى من الظلمة ، وويل للنفس التى لا تصرخ وتئن إلى الله الذى يستطيع وحده أن يخلصها من أولئك الولاة القساة الظالمين .

بدء التحرك بعد أكل الفصح :

١١ ـ لقد بدأ بنو إسرائيل يتحركون بعد أن صنعوا الفصح . وهكذا فإن النفس تتحرك إلى الأمام حينما تنال حياة الروح القدس ، فتأكل من الحمل ، وتكون قد مُسحت بدمه ، وأكلت الفصح الحقيقى ، الكلمة الحى.

عمود النار وعمود السحاب :

وكما أن عمود النار وعمود السحاب كانا يسيران أمام بنى إسرائيل ليحفظانهم ، **هكذا فإن الروح القدس يشدد المؤمنين الآن ويقويهم ، ويشعلهم ، ويرشد النفس بطريقة ملموسة .**

وحينما علم فرعون والمصريون أن شعب الله قد هرب فإنهم تجاسروا أن يقتفوا أثرهم حتى بعد قتل أبكار المصريين. فإن فرعون جهز مركباته بسرعة وسعى مع كل شعبه وراء شعب الله لكى يهلكه. ولما كاد أن يلحقهم، انتقل عمود السحاب من أمام بنى إسرائيل ووقف خلفهم ، بينهم وبين فرعون . فأعاق فرعون ، وكان عمود السحاب ظلامًا بالنسبة للمصريين ولكنه كان نورًا ومرشدًا وحاميًا لبنى إسرائيل . ولكى لا أطيل الحديث عليكم بسرد القصة كلها دعونا نطبق كل التفاصيل على الأمور الروحية .

١٢ ـ **فإنه حينما تبدأ النفس أولاً بالهروب من (المصريين) فإن قوة الله تقترب منها لتعينها وتقودها إلى الحق** . ولكن حينما يعرف فرعون الروحانى ــ أى ملك ظلمة الخطية ــ أن النفس قد تمردت عليه وبدأت

تهرب من مملكته فإنه يلاحق الأفكار التى كانت ملكه قبلاً ــ فإن الأفكار كانت هى ممتلكاته ، ويحاول بخبثه ويأمل أن ترجع إليه النفس مرة أخرى. ولكن حينما يدرك أن النفس قد هربت من طغيانه هروبًا بلا رجعة ــ وهذا بالنسبة إليه ضربة أقوى من قتل الأبكار وسرقة المقتنيات ــ فإنه يجرى وراءها لأنه يخاف لئلا بعد هروب النفس منه تمامًا ، لا يبقى له من يتمم إرادته ويعمل أعماله . **لذلك فهو يسعى وراءها بالشدائد والتجارب والحروب غير المنظورة. وبهذه الشدائد والحروب تُمتحن النفس وتُجرّب، وبواسطتها تُظهر محبتها نحو من أخرجها من مصر . لأنها تُسلم (للتجارب) لكى تُوضع موضع الاختبار وتُمتحن بطرق متنوعة .**

تدخل الله للإنقاذ :

١٣ ــ وترى النفس قوة العدو وهو يسعى أن يقتلها ولكنه لا يستطيع، لأن الرب يقف بينها وبين أرواح الشر. وترى أمامها بحرًا من المرارة والشدائد واليأس. وهى من ناحية لا تستطيع أن تعود إلى الوراء لأنها ترى العدو مستعدًا لقتلها، ومن ناحية أخرى لا تستطيع أن تتقدم إلى الأمام لأن خوف الموت، والشدائد المؤلمة المحيطة بها، يجعلها ترى الموت أمام عينيها. لذلك فإن النفس تيأس من ذاتها، " *إذ يكون لها حكم الموت فى نفسها* " (٢كو ٩:١) بسبب كثرة أرواح الشر المحيطة بها. وحينما يرى الله النفس وهى محصورة بخوف الموت، والعدو مستعد أن يبتلعها، فإنه حينئذٍ يأتى لمعونتها ويترفق بها، وهو يتأنى عليها لكى يختبرها، ويرى هل تثبت فى الإيمان، وهل عندها حب صادق له. لأن الله هكذا قد رسم " *الطريق المؤدى إلى الحياة* " (مت٧:١٤) أن يكون كربًا ضيقًا وفيه امتحانات وتجارب مُرة لكى تصل النفس بواسطة هذا الطريق فيما بعد إلى الأرض

الحقيقية ــ أرض أولاد الله. لذلك فحينما يكف الإنسان عن الاعتداد بنفسه ويجحد ذاته بسبب الشدة العظيمة والموت الذى يراه أمام عينيه، ففى تلك اللحظة يمزق الله ــ بيد شديدة وذراع رفيعة ــ قوة الظلمة بواسطة إنارة الروح القدس، وتعبر النفس خلال الأماكن المخيفة، تعبر بحر الظلمة، وتخلُص من النار المحرقة.

عبور البحر والفرح والتسبيح :

١٤ ــ هذه هى أسرار النفس التى تحدث حقًا فى الإنسان الذى يسعى باجتهاد أن يأتى إلى موعد الحياة ويُفتدى من مملكة الموت، وينال العربون من الله، وتكون له شركة فى الروح القدس . وهكذا فإن النفس إذ تخلص من أعدائها، بعبورها البحر المُر، بقوة الله، وإذ ترى أعداءها الذين كانت مستعبدة لهم، وقد هلكوا أمام عينيها، فإنها تفرح فرحًا لا يُنطق به ومملوء مجدًا (١بط١:٨) وتتعزى بالله وتستريح فى الرب. وحينئذ فإن الروح الذى نالته يسبح فيها تسبيحًا جديدًا لله بالدُف الذى هو الجسد ، وبأوتار القيثارة الروحية التى هى النفس، وبأفكار النفس السامية وبمفتاح النعمة الإلهية الذى يضرب على الأوتار ، فترتفع التسابيح للمسيح الحى ومعطى الحياة . لأنه كما أن نفخة الفم هى التى تنطق وتتكلم حينما تسرى فيها آلات النفخ ، هكذا فإن الروح القدس هو الذى يسرى فى القديسين الذين يحملون الروح، وهو يسبح فيهم تسابيح ومزامير فيصلون لله بقلب نقى. فالمجد لذلك الذى أنقذ النفس من عبودية فرعون وجعلها عرشًا له، جعلها بيتًا وهيكلاً وعروسًا نقية له، وأحضرها إلى ملكوت الحياة الأبدية، وهى لا تزال فى هذا العالم .

١٥ ـ وبحسب الناموس كانت الحيوانات غير العاقلة تُقدم كذبائح . ولكن التقدمات لا يمكن أن تكون مقبولة ما لم تُذبح . وهكذا الآن إن لم تُذبح الخطية فإن تقدمتنا لا هى مقبولة أمام الله ، ولا هى تقدمة حقيقية .

المياه المُرة تصير حلوة :

وعندما جاء الشعب فى القديم إلى مارة (خر١٥:٢٢) كانت هناك عين ماء تنبع ماءً مرًا، لا يصلح للشرب. فلما تحير موسى وصرخ إلى الرب، أمره الرب بأن يلقى شجرة أراه إياها، فى الماء المر ، فحينما أُلقيت الشجرة هكذا فى الماء ، صار الماء عذبًا ، إذ تحول عن مرارته وصار مناسبًا وصالحًا ليشرب منه شعب الله . وبنفس الطريقة ، فإن النفس صارت مُرة من شرب سم الحية ، وصارت مشابهة لطبيعة الحية المُرة وأصبحت خاطئة . **لذلك فإن الله يلقى شجرة الحياة فى داخل ينبوع القلب المُر فيتحول القلب من مرارته ، ويصير حلوًا باتحاده بروح المسيح. وهكذا يصير نافعًا جدًا ويذهب فى خدمة سيده لأنه يصير لابسًا للروح . فالمجد لذلك الذى يحوّل مرارتنا إلى حلاوة الروح وصلاحه . والويل لمن لا تلقى فيه شجرة الحياة ، فإنه لا يستطيع أن يتغير إلى الصلاح أبدًا .**

عصا موسى والصليب :

١٦ ــ إن عصا موسى كان لها وجهان :فإنها كانت بالنسبة للأعداء حية تلدغ وتهلك ، وأما بالنسبة لبنى إسرائيل فقد كانت عكازًا يستندون عليها . **هكذا أيضًا، الخشبة الحقيقية، خشبة صليب المسيح ، فإن صليب المسيح إنما هو موت لأرواح الشر، وأما لنفوسنا فهو سند وملجأ أمين فيه نطمئن ونستريح.**

إن الرموز والظلال فى العهد القديم كانت تشير إلى الحقائق الحاضرة لأن خدمة العبادة القديمة كانت ظلاً وصورة للعبادة الحاضرة . فالختان ، والخيمة، والتابوت، والمن ، وقسط المن، والكهنوت والبخور، والغسلات، وباختصار كل ما كان يُصنع فى إسرائيل وفى ناموس موسى وفى الأنبياء، إنما كان إشارة إلى هذه النفس المخلوقة على صورة الله ، والتى سقطت تحت نير العبودية وسلطان ظلمة المرارة .

عروس كاملة لعريس كامل :

١٧ ــ فإن الله أراد أن يقيم شركة مع النفس البشرية . ويخطبها لنفسه كعروس للملك ، ويغسلها ويطهرها من كل دنس . ويجعلها بهية مضيئة بدلاً من سوادها وعارها ، ويحييها من الموت ، ويشفيها من انكسارها ويعطيها السلام ويصالحها لنفسه من بعد العداوة .

ورغم أن النفس مخلوقة ، إلاّ أن الله يخطبها عروسًا لابن الملك ويضمها إليه بقدرته الخاصة ، ويغيرها شيئًا فشيئًا وينميها ويزيدها بفيض نعمته . فهو يوسع النفس ويقودها إلى نمو وازدياد بلا حدود ولا قياس ، إلى أن تصير عروسًا بلا عيب وبلا لوم تليق به .

فإنه يلد النفس فيه أوّلا ، ثم بنفسه ينميها بفعل نعمته ، إلى أن تصل إلى قامة محبته الكاملة ، فلأنه هو عريس كامل ، لذلك فهو يأخذها كعروس كاملة له إلى شركة العرس المقدسة ، الشركة السرية الطاهرة ، وحينئذٍ فإنها تملك معه إلى أبد الدهور أمين .

✣✣✣✣✣✣✣

العظة الثامنة والأربعون :

الإيمان الكامل بالله

١ ــ لما أراد الرب ، فى الإنجيل ، أن يقود تلاميذه إلى الإيمان الكامل قال لهم : " *الأمين فى القليل أمين فى الكثير ، والظالم فى القليل ظالم أيضًا فى الكثير* " (لو١٦: ١٠) فما هو القليل وما هو الكثير ؟

القليل هو خيرات هذا العالم ، التي وعد أن يعطيها لأولئك الذين يؤمنون به : مثل الطعام واللباس وكل الأشياء الأخرى اللازمة للجسد والصحة وما أشبه ذلك . وهو يدعونا أن لا نهتم أو نقلق بخصوص هذه الأشياء ، بل نثق فيه بيقين تام أنه كفء لحاجات أولئك الذين يلتجئون إليه فى كل شئ .

أما الكثير فهو هبات العالم الأبدى الذى لا يفنى ولا يضمحل ، التى وعد أن يعطيها لأولئك الذين يؤمنون به ويهتمون بطلبها بلا انقطاع ويسألونه لأجلها لأنه هو الذى أوصى بذلك قائلاً: " *أطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تُزاد لكم* " (مت٦: ٣٣)، لكى بواسطة هذه الأشياء القليلة الزمنية يمكن أن يُختبر كل إنسان إن كان يؤمن بالله ، لأنه وعد أن يعطى هذه الأشياء بدون أن نهتم ونقلق من جهتها ، بل نهتم فقط من جهة الأمور الأبدية الآتية .

٢ ــ لذلك فإن كان له إيمان قوى من جهة الأشياء الزمنية فإن هذا يكشف عن إيمانه بخصوص الأمور التى لا تفنى ، وكيف أنه يسعى حقًا طالبًا الخيرات الأبدية ، لذلك ينبغى على كل واحد من أولئك الذين يطيعون كلمة الحق ، أن يختبر نفسه ويمتحنها ، أو يدع الرجال الروحانيين يعينونه

على ذلك لكى يعرف إلى أى درجة قد آمن بالله وأعطى نفسه له ، وهل إيمانه هذا حقيقى بحسب كلمة الله ، أم أنه يعتمد على رأيه الخاص فى تبرير وإيمان كاذبين ، متخيلاً أن له إيمان داخل نفسه . فإن هذا هو السؤال الذى يمتحن به الإنسان نفسه :

هل هو أمين فى القليل ، أى فى الأمور الزمنية ؟

وكيف يتم هذا الامتحان ؟ وهذا ما سأوضحه لكم الان : هل تقول إنك تؤمن أنه قد أعطى لك ملكوت السموات ، وأنك قد وُلدت من فوق وصرت ابنًا لله ، ووارث مع المسيح ، لتملك معه إلى الأبد وتتنعم فى النور الذى لا يُوصف طوال الدهور الأبدية مع الله ؟

لا شك أنك ستقول " نعم فإنه لهذا السبب قد تركت العالم وسلمت نفسى إلى الرب " .

٣ ــ لذلك ، افحص نفسك الآن ، هل لا تزال الاهتمامات الأرضية لها تأثير عليك، وتفكر كثيرًا بخصوص الطعام واللباس وغيرها من الاهتمامات المشابهة ، كأنك تحصل على هذه الأشياء بقوتك الخاصة وكأنه يلزمك أن تقوم بتزويد نفسك بكل احتياجاتك بدلاً من الوصية التى أعطاها لك الرب ألاّ تهتم ولا تقلق أبدًا من جهة هذه الأشياء الأرضية الفانية ، التى يعطيها الله حتى للأشرار ، وللوحوش والطيور ، لقد أعطاك الله وصية أن لا تهتم بهذه الأمور ولا تقلق ، إذ قال : " *لا تهتموا بما تأكلون أو بما تشربون أو بما تلبسون ، فإن هذه كلها تطلبها الأمم* " (مت٦:٢٥ــ٣٢). أما إن كان لا يزال عندك همّ وانشغال بهذه الأمور ، ولم تثق كلية بكلمته، فاعلم أنك لم تؤمن بعد بأنك ستنال الخيرات الأبدية التى هى ملكوت

السموات بالرغم من أنك تظن أنك تؤمن ، بينما أنت توجد غير أمين فى الأشياء القليلة التى تفنى .

وأيضًا كما أن الجسد هو أفضل من اللباس ، كذلك فإن النفس هى أفضل من الجسد (مت٦:٢٥). فهل تؤمن، إذن أن نفسك تحصل من المسيح على الشفاء من الجروح الأبدية التى لا يستطيع البشر شفاءها ، أى جروح شهوات الخطية، التى لأجل شفائها جاء الرب إلينا ههنا، لكى يشفى نفوس المؤمنين ويطهرهم من دنس الخطية ونتانتها وبرصها ــ لأنه هو الشافى والطبيب الحقيقى الوحيد ؟

٤ ــ إنك ستقول " إننى أؤمن بكل تأكيد ــ وهذه هى ثقتى ، وهذا هو رجائى " فالآن أفحص وأنظر إن كانت الأمراض الجسدية تجعلك تجرى إلى الأطباء الأرضيين أم لا ، كما لو أن المسيح الذى تؤمن به لم يستطيع أن يشفيك ــ فأنظر كيف تخدع نفسك ، لأنك تظن أنك تؤمن وأنت فى الحقيقة لا تؤمن كما ينبغى . فلو إنك آمنت أن جروح النفس التى لا تُشفى وأهواء الخطية ، يشفيها المسيح ، لآمنت أيضًا أنه يستطيع أن يشفى أمراض الجسد المؤقتة ولكنت لجأت إليه وحده وتركت جانبًا وسائل الأطباء وأدويتهم [1].

فإن الذى خلق النفس خلق الجسد أيضًا . والذى يشفى النفس غير المائتة ، يستطيع أيضًا أن يشفى الجسد من أمراضة وعلله العابرة المؤقتة.

٥ ــ ولكنك بلا شك ستقول "إن الله قد أعطانا نباتات الأرض والعقاقير لأجل شفاء الجسد وقد أعد وسائل الأطباء ومعالجتهم لأجل أمراض الجسد

---

[1] يُلاحظ أن القديس هنا يخاطب الرهبان ويعتبر اللجوء للأطباء مستوى روحى ضعيف لا يليق بهم أنظر فقرة ٦ .

وآلامه ورتب أن الجسد الذى من التراب يكون شفاؤه بوسائل متنوعة من نفس الأرض ، وإنى أوافقك على صحة هذا الكلام . ولكن أنظر وانتبه ، وأنت ستعرف لمن أعطى الله هذه الأشياء ولأجل من رتبها حسب زحمته العظيمة ومحبته غير المحدودة للبشر . فحينما سقط الإنسان بتعدى الوصية التى أُعطيت له ، صار تحت العبودية والعار وكأنه ذهب ليعمل ويكد فى أحد المناجم ، مطرودًا من أفراح الفردوس إلى هذا العالم ، وصار تحت قوة سلطان الظلمة وانحدر إلى حالة عدم الإيمان بواسطة الخطايا والشهوات ، وحينئذٍ سقط تحت وطأة أمراض الجسد واضطراباته بدلاً من حالته الأولى الخالية من الاضطراب والمرض . وبالتأكيد فإن كل الذين وُلدوا من الإنسان الأول سقطوا تحت الأمراض والاضطرابات .

٦ ــ لذلك فإن الله قد رتب هذه الأدوية والعلاجات للضعفاء وللذين لا يؤمنون ، لأنه لا يريد فى كثرة تحننه ومحبته أن يلاشى جنس البشر الخاطئ كلية ، بل اعطى الطب والأدوية لأهل العالم ، ولكل الذين هم من خارج لأجل شفائهم وصحتهم وعلاج أجسادهم ، وسمح أن تُستعمل هذه الوسائل بواسطة أولئك الذين لم يستطيعوا بعد أن يؤمنوا بالله ويثقوا به كلية مستودعين حياتهم تمامًا له بالإيمان .

وأما أنت أيها الراهب ، يا من أتيت إلى المسيح ، وتريد أن تكون ابنًا لله ومولودًا من الروح من فوق ، وتنتظر المواعيد التى هى أعلا وأعظم مما أُعطى للإنسان الأول ، لأن كل ما كان للإنسان الأول من حالة الحرية من الاضطرابات والشهوات ، قد سُرّ الله أن يعطيك أكثر منه بحضوره معك ــ أنت أيها الذى صرت غريبًا عن العالم ، ينبغى أن يكون لك إيمان وفهم وأسلوب جديد تمامًا للحياة ، يتميز كلية عن أهل العالم ويتفوق عليهم .

والمجد للآب والابن والروح القدس إلى الأبد.

العظة التاسعة والأربعون :

الشبع الإلهى

" لا يكفى أن تتجنب لذات هذا العالم بل يلزم الحصول على غبطة الدهر الآتى " .

فرح الروح بدل فرح العالم :

١ ــ حينما يترك إنسان أهله، ويترك هذا العالم ، ويتغرب عن لذاته ويترك الممتلكات ، والأب والأم ، لأجل الرب ، ويصلب نفسه ويصير غريبًا وفقيرًا ومحتاجًا، ولكنه لا يجد العزاء الإلهى فى داخل نفسه بدلاً من راحة العالم وعزائه ، ولا يشعر بلذة الروح فى داخله بدلاً من اللذة الزمنية العابرة ، ولا يكون لابسًا لثياب نور اللاهوت فى الإنسان الباطن، بدلاً من تلك الثياب التى تفنى ، ولا يعرف شركة العريس السماوى فى نفسه ، بدلاً من فرح هذا العالم الظاهر ولا يحصل على عزاء النعمة السماوى ، والشبع الإلهى فى النفس ــ بظهور مجد الرب ــ كما هو مكتوب[1] ، وبالاختصار بدلاً من التمتع الزمنى العابر ، لا يحصل من الآن فى داخل نفسه على التمتع غير الفاسد الذى لا يضمحل والذى تشتهيه النفس شهوة عظيمة ، فإن هذا الإنسان قد صار ملحًا بلا ملوحة ، بل هو أكثر بؤسًا من جميع الناس لأنه حُرم من الأشياء التى هنا ، ولم يحصل على التمتع بالعطايا الإلهية التى تتم بعمل الروح القدس فى الإنسان الباطن.

---

[1] هنا يشير القديس مقاريوس إلى مز ١٧:١٥ فى الترجمة السبعينية حيث نص الآية هكذا "سأمتلئ حتى الشبع بظهور مجدك " .

العبور بالروح إلى عالم آخر منذ الآن :

٢ ــ فإن الغاية التى من أجلها يصير الإنسان غريبًا عن هذا العالم إنما هى أن تعبر نفسه إلى عالم آخر ودهر آخر كما يقول الرسول " *إن سيرتنا هى فى السموات* " (فى٣: ٢٠) وأيضًا يقول " *وإذ نسير على الأرض لكننا لسنا حسب الجسد نحارب* " (٢كو١٠: ٢) . لذلك فإن من يرفض هذا العالم يجب أن يؤمن بكل يقين ، أنه ينبغى أن يعبر بفكره منذ الآن بالروح إلى عالم آخر، وهناك تكون سيرتنا ولذتنا وتمتعنا بالخيرات الروحية ، وأنه ينبغى أن يولد من الروح فى الإنسان الباطن كما قال الرب " *من يؤمن بى فقد انتقل من الموت إلى الحياة* " (يو٥: ٢٤). لأنه يوجد موت آخر غير الموت الطبيعى المنظور، وحياة أخرى غير هذه الحياة، فإن الكتاب يقول : " *وأما المتنعمة فقد ماتت وهى حية* " (اتى٥: ٦)، وأيضًا يقول الكتاب : *دع الموتى يدفنون موتاهم* " (لو٩: ٦٠). لأن " *ليس الأموات يسبحونك يارب ، بل نحن الأحياء نباركك* " (مز١١٥: ١٧، ١٨).

دخول النفس إلى المسكن السماوى :

٣ــ لأنه كما أن الشمس عند إشراقها على الأرض تضئ عليها بكليتها، ولكن عندما تصير إلى الغروب تنحسر أشعتها عنها، كذلك فإن النفس التى لا تُولد من فوق من الروح ، تكون على الأرض بكليتها وأفكارها مشتتة فى الأرض كلها . ولكن حينما تُحسب أهلاً للحصول على الولادة السماوية وشركة الروح ، فإنها تجمع كل أفكارها معًا فتأخذهم معها وتدخل إلى الرب ، إلى المسكن السماوى غير المصنوع بأيدى. وتصير كل أفكارها سماوية طاهرة ومقدسة وتصعد إلى الجو السماوى الإلهى . وإذ تتحرر من سجن ظلمة رئيس هذا العالم الشرير ، الذى هو روح العالم، فإن النفس

تجد أفكارًا طاهرة إلهية ، لأن الله قد سُرّ بأن يجعل الإنسان شريكًا فى الطبيعة الإلهية (٢بط١:٤).

ستجد فرحًا عظيمًا :

٤ ـ لذلك فإذا كنت تعتزل كل الأمور المختصة بهذا العالم وتواظب على الصلاة ، فإنك ستجد راحة كبيرة فى هذا العمل . بل ستجد فرحًا عظيمًا فى الشدة القليلة والألم وستنتعش انتعاشًا عظيمًا . فإنه إن كنت تنفق نفسك وجسدك ساعة بساعة طوال حياتك لأجل هذه الخيرات العظيمة فماذا تكون النتيجة ؟ .. آه ، يا لعظم تحنن الله الذى يفوق الوصف ، فإنه يعطى نفسه مجانًا لأولئك الذين يؤمنون به حتى أنهم فى وقت قليل يرثون الله ، ويسكن الله فى الإنسان ويتخذ من الإنسان منزلاً حسنًا له ! وكما أن الله خلق السماء والأرض ليسكن الإنسان فيهما ، كذلك فإنه خلق جسد الإنسان ونفسه ليكونا منزلاً له، لكى يسكن ويستريح فى جسد الإنسان كما فى منزله الخاص ، ويتخذ من النفس الحبيبة عروسًا جميلة له مخلوقة على صورته . لأن الرسول يقول : " *خطبتكم لرجل واحد ، لأقدم عذراء عفيفة للمسيح* " (٢كو١١:٢). وأيضًا " *وبيته نحن* " (عب٣:٦).

الله يخزن كنوز الروح فى نفسك وجسدك :

فكما أن رب البيت يخزن باجتهاد كل أنواع الخيرات فى بيته ، هكذا الرب أيضًا فى بيته الذى هو النفس والجسد ، فإنه يضع كنوز الروح السماوية ويخزنها فى هذا البيت .

إن الحكماء بحكمتهم ، والفطناء بفطنتهم لم يستطيعوا أن يدركوا لطافة النفس " أو أن يتكلموا عنها كما هى ، وإنما يدرك لطافتها فقط أولئك الذين

يُعطى لهم هذا الإدراك بالروح القدس . ولهم تُعطى المعرفة الصحيحة عن النفس إذ أن الروح يعلنها لهم .

الرب والنفس :

فأنظر هنا نظرة جادة لكى تفهم وتتعلم . أنصت الآن :

فإنه هو إله ، أما النفس فليست إلهًا .

إنه هو رب ، وهى عبدة .

هو خالق ، وهى مخلوقة .

هو صانع ، وهى صنعة يديه .

وليس هناك شئ مشترك بين طبيعة الله وطبيعة النفس . ولكن بواسطة محبته ورأفته التى لا تحد والتى تفوق الوصف والإدراك ، سُرّ الله أن يسكن فى هذا المخلوق العاقل ، فى صنعة يديه ، الثمينة والعجيبة ، كما يقول الكتاب " *لكى نكون باكورة من خلائقه* " (يع١:١٨) . لنكون نحن حكمته وشركته ، ومسكنه الخاص ، وعروسه الطاهرة .

لنعط أنفسنا لإرضاء الرب :

٥ ــ فحينما تُوضع أمامنا هذه الأشياء الصالحة ، وهذه المواعيد التى وعدنا بها الرب ، وتتضح مسرة صلاحه من نحونا ، فلا نهمل يا أبنائى ولا نتأخر أو نتباطأ فى السعى للحياة الأبدية ، بل نعطى أنفسنا تمامًا لإرضاء الرب، مخصصين ذواتنا له كلية .

فلنتوسل ، إذن للرب أن ينقذنا بقوة لاهوته من سجن ظلمة شهوات الخزى ، وأن يجعل صورته وصنعة يديه تضئ ببهاء ، وأن يجعل النفس صحيحة ونقية ، وهكذا نُحسب أهلاً لشركة الروح ، ممجدين الآب والابن والروح القدس إلى الأبد .

العظة الخمسون :

صانع العجائب

" الله هو صانع العجائب بواسطة قديسيه " .

قوة الله فى إيليا :

١ ــ من هو ذاك الذى أغلق أبواب السماء ؟ هل هو إيليا أم أن الله الذى فيه، هو الذى أمر المطر ألاّ ينزل ؟ إنى أؤمن أن ذاك الذى له السلطان على السموات ، كان هو نفسه جالسًا فى عقل إيليا، وأن كلمة الله أمر المطر أن ينزل على الأرض بواسطة لسان إيليا ، فنزل المطر .

عمل الله فى موسى :

وكذلك موسى أيضًا فإنه ألقى بالعصا على الأرض فصارت حية ، ثم تكلم مرة أخرى فعادت وصارت عصا . وأخذ موسى رمادًا من الأتون وذراه نحو السماء فصار دمامل طالعة فى الناس وفى البهائم . وأيضًا مد عصاه فصار البعوض والضفادع على أرض مصر (خر٨:٥و١٧). فهل تستطيع الطبيعة البشرية أن تصنع هذه الأمور ؟ .. لقد مد موسى أيضًا يده على البحر فشقه ، وكذلك رفع عصاه على النهر فتحولت مياهه إلى دم . فالواضح أن قوة سماوية كانت ساكنة فى قلب موسى وعقله وكانت هذه القوة تعمل هذه الآيات بواسطة موسى .

قوة الله فى ضعف داود :

٢ ــ وكيف استطاع داود أن يقاتل الجبار دون أن يكون متسلحًا ؟ فإن يد الله هى التى قادت الحجر بواسطة يد داود حينما رماه على الفلسطينى..

وأن قوة الله هى التى قتلت الجبار وانتصرت عليه ، فما كان داود ليستطيع أن يفعل ذلك من ذاته إذ كان ضعيفًا جدًا فى الجسد (١صم١٧: ٤٩ـ٥١).

سقوط أسوار أريحا :

وحينما جاء يشوع بن نون إلى أريحا وحاصرها سبعة أيام ، لم يستطع أن يفعل شيئًا بطبيعته ، ولكن حينما صدر أمر الله فإن الأسوار سقطت من نفسها .. ومن هو الذى أمر الشمس أن تقف لمدة ساعتين بينما المعركة حامية الوطيس ؟ هل هى طبيعة يشوع أم القوة التى كانت معه ؟

القتال مع عماليق :

ولما دخل يشوع فى قتال مع عماليق ، كان إذا رفع موسى يديه نحو السماء إلى الله ، أن إسرائيل يغلب ، وإذا خفض يديه أن عماليق يغلب .

حينما ترفع أفكارك إلى السماء :

٣ ـ ولكن حينما تسمع عن هذه الأمور فلا تدع عقلك يذهب بعيدًا ، بل حيث أنها كانت رمزًا وظلاً للحقيقة فطبقها إذن على نفسك . **فإنك حينما ترفع يدى عقلك وأفكارك نحو السماء وتضع فى قصدك أن تلتصق بالرب وتتحد به فإن الشيطان يسقط تحت أفكارك .**

وكما سقطت أسوار أريحا بقوة الله ، كذلك الآن بقوة الله تتحطم مدن الشيطان وأسوار الشر التى تحارب عقلك ويسقط أعداؤك أيضًا .

عمل الروح فى الأبرار والأنبياء :

لقد كانت قوة الله فى القديم حاضرة مع الأبرار بلا انقطاع ، وكانت تعمل عجائب منظورة . وكانت النعمة الإلهية تعمل أيضًا فى الأنبياء ،

وكان الروح يعمل فى نفوسهم للتنبؤ والتكلم حينما كانت تدعو الحاجة أن يخبروا العالم بأحداث عظيمة . لأن الأنبياء لم يكونوا يتكلمون فى كل وقت، بل حينما يشاء الروح الذى فيهم فقط . إلاّ أن القوة الإلهية كانت معهم دائمًا .

انسكاب الروح فى العهد الجديد :

٤ ـ فإن كان الروح القدس قد انسكب بهذا المقدار فى ذلك العهد الذى هو ظل لعهد النعمة ، **كم بالحرى ينسكب فى العهد الجديد، عهد الصليب ومجىء المسيح ، الذى فيه حدث انسكاب الروح والامتلاء به . كما هو مكتوب " *إنى أسكب من روحى على كل بشر* " (أع٢:١٧). وهذا هو المعنى الذى قصده الرب نفسه حينما قال " *وها أنا معكم إلى انقضاء الدهر* " (مت ٢٨:٢٠). " *لأن كل من يطلب يجد* " (مت٧:٨). وأيضًا " *إن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى الآب السماوى يعطى الروح القدس للذين يسألونه* " (لو١١:١٣). " *بقوة وبيقين شديد* " كما يقول الرسول (١تس١:٥).**

الحصول على قوة الروح :

إن هذه الأشياء نحصل عليها بالتدريج ، وتحتاج منا إلى وقت ، وتعب وصبر ومحبة كثيرة وشوق كبير نحو الرب . وهكذا فإن " *حواس النفس* "، " تتدرب " كما يقول الكتاب (عب٥:١٤). بواسطة الخير والشر ، أى من خلال حيل العدو ومؤامراته وخداعاته من ناحية ، ومن الناحية الأخرى بواسطة المواهب والمعونات المتنوعة التى تعطى بعمل الروح القدس وقوته. **وإن الذى يواجه خداع الخطية ، الذى يلوث الإنسان الباطن بواسطة**

الشهوات ، ولا يتعرف فى داخل نفسه على معونة الروح القدس " روح الحق " ، الذى يقويه ويعين ضعفه ، ويجدد نفسه بفرح القلب ، مثل هذا الإنسان يسير فى طريقه بدون تمييز ، إذ لم يكتشف بعد تدبيرات النعمة المتنوعة ، وسلام الله العميق .

هل وجدت الكنز ؟

ومن الناحية الأخرى فإن الذى ينال معونة الرب ، ويحصل على الفرح الروحانى ومواهب النعمة السماوية ، **مثل هذا الإنسان إن كان يتصور أنه لم يعد معرضًا بالمرة لأذى الخطية ، فإنه ينخدع دون أن يدرى ، إذ أنه لا يميز خبث الخطية ولا يدركه ، ولا يعرف أن النمو إنما يتم بالتدريج من الطفولة حتى النضوج والكمال فى المسيح. لأن الإيمان يزداد وينمو بواسطة عمل الروح القدس الإلهى ، وتبعًا لذلك تتحطم تدريجيًا حصون الأفكار الشريرة إلى أن تنهدم كلية (٢كو١٠: ٤).**

لذلك ينبغى على كل واحد منا أن يفتش ويعرف ، هل هو قد وجد " ***الكنز فى هذا الإناء الخزفى*** **" (٢كو٤: ٧)، وهل قد اكتسى بأرجوان الروح ، وهل قد رأى الملك ووجد راحته فى الداخل بالقرب منه ، أم أنه لا يزال يعيش فى الدار الخارجية ؟**

إن النفس لها أعضاء كثيرة ، ولها عمق عظيم ، فعندما دخلت الخطية إلى الداخل امتكلت كل أعضاء النفس وكل مراعى القلب.

النعمة تملك جزئيًا وبالتدريج :

ولذلك حينما يسعى الإنسان ويطلب ، فإن النعمة تأتى إليه ، وتبدأ فى أن تملك عليه ، ولكنها قد تملك ربما على عضو أو اثنين من أعضاء النفس . وبعد أن تبدأ النعمة عملها فإن الإنسان غير المختبر حينما يحصل

على تعزية بالنعمة ، يتخيل أن النعمة قد امتلكت كل أعضاء نفسه وأن الخطية قد استؤصلت منه تمامًا . مع أن القسم الأكبر من النفس لا يزال تحت سلطان الخطية وليس سوى جزء واحد فقط تحت سلطان النعمة ، وهكذا فإنه ينخدع دون أن يدرى .

ويمكننا أن نتحدث كثيرًا إليكم بخصوص هذه الأمور بحسب استعدادكم وإخلاصكم ، ولكننا أعطيناكم نقطة بداية ، تستطيعون كأناس ذوى حكمة وفهم أن تتأملوا فى هذه الكلمات وتفحصوا قوتها وتصيروا اكثر فهمًا وحكمة فى الرب . وتزدادوا فى بساطة القلب ، فى النعمة وفى قوة الحق ، وهكذا إذ تتمسكون بخلاصكم بكل يقين ، وتتحررون من كل محاربات الشرير وخداعات العدو ، فإنكم تُحسبون أهلاً لأن توجدوا بلا عثرة ، ولا دينونة فى يوم ربنا يسوع ، الذى له المجد إلى الأبد آمين .

⁂⁂⁂

كتابات الآباء التى صدرت

١-٣٢ ، ٣٤ : نصوص للآباء صدرت ونفدت .

٣٣ : شرح إنجيل يوحنا ـ الجزء الثانى ـ للقديس كيرلس الأسكندرى .

٣٥ : تفسير إنجيل لوقا (الجزء الثالث) للقديس كيرلس الأسكندرى .

٣٦ : الأسرار للقديس أمبروسيوس مع سيرة حياته (طبعة ثانية لرقم٢)

٣٧ : رسائل القديس أنطونيوس من ١ـ٧ (طبعة ثانية منقحة لرقم ٩) . (نفد)

٣٨ : عظات ثلاث عن ملكيصادق ويوحنا الإنجيلى ـ للقديس كيرلس الأسكندرى

٣٩ : رسائل القديس كيرلس (الجزء الرابع) من ٥٠ ـ إلخ

٤٠ : تفسير الرسالة الثانية إلى تيموثيئوس ـ للقديس يوحنا ذهبى الفم.

٤١ : المقالات الثلاث ضد الآريوسيين ـ للقديس أثناسيوس . (نفد)

٤٢ : شرح إنجيل يوحنا ـ الجزء الثالث ـ للقديس كيرلس الأسكندرى .

٤٣ : تفسير إنجيل لوقا (الجزء الرابع) للقديس كيرلس الأسكندرى .

٤٤ : رسائل القديس أنطونيوس جـ٢ (طبعة ثانية لرقم ١٠).

٤٥ : حوار حول الثالوث ـ للقديس كيرلس الأسكندرى .

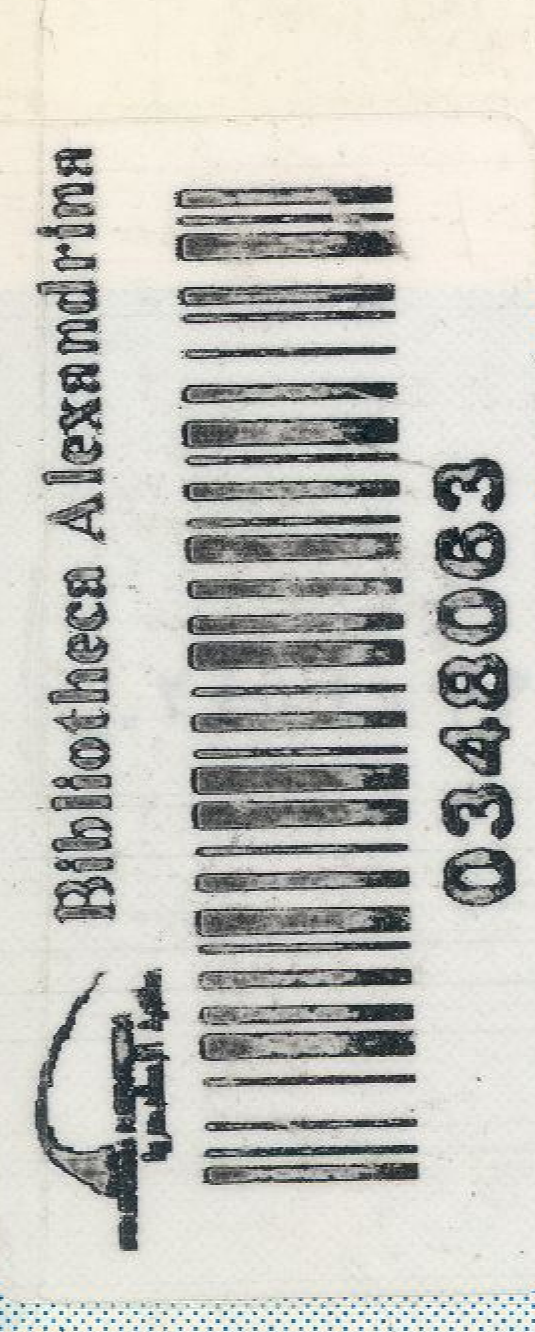
٤٦ : رسالة اكليمندس الرومانى إلى الكورنثيين .

٤٧ : المسيح فى رسائل القديس أثناسيوس (طبعة ثانية منقحة لرقم ١٣).

٤٨ : عن الصليب للقديس يوحنا ذهبى الفم

٤٩ : عيد الخمسين للقديس يوحنا ذهبى الفم

٥٠ : عظات القديس مقاريوس الكبير ـ طبعة ثالثة منقحة



يُطلب هذا الكتاب من

✝ المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية ت :

✝ بيت التكريس ت : ٤٨٣٦٣٨٩.

✝ ومن المكتبات والكنائس بالقاهرة والأقاليم